توجيهات تربوية من حديث:

"اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة،
اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني...." الحديث

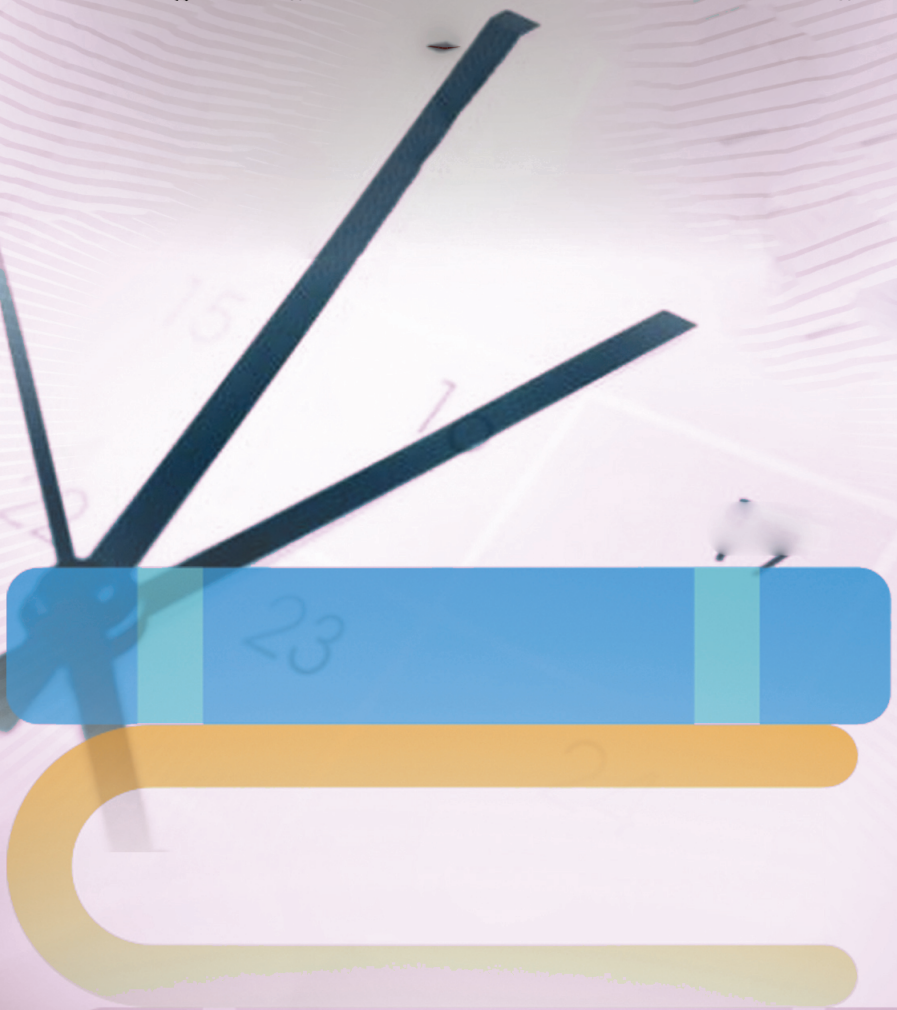

د. عبدالرحمن سيد عبدالغفار

توجيهات تربوية من حديث: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي...."، الحديث.

عبد الرحمن السيد السيد عبد الغفار بلح

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذاكر من ذكره، المغدق سحائب النوال على من شكره، المانع شآبيب رحمته عمن كفره، المخصص بتقريبه من أقر بوحدانيته وألقى لأدلتها فكره، وأشكره على ما من به من العم، وكفه من أكف النقم، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، خير من نبأه، وأشرف من أرسله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلاً وشرفاً لديه، وعلى آله وصحبه، وتابعيه، صلاةً وسلاماً دائمين دوام فيض المتواتر، متكاثرين تكاثر النعم التي عمت البادي والحاضر، وبعد:١

التربية هي: "تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي" ٢، وهي مجموعة التصرفات العملية والقولية التي يمارسها راشد بإرادته نحو صغير، بهدف مساعدته في اكتمال نموه وتفتح استعداداته اللازمة وتوجيه قدراته، ليتمكن من الاستقلال في ممارسة النشاطات وتحقيق الغايات التي يعد لها بعد البلوغ، في ضوء توجيهات القرآن والسنة٣

وتُعد **التربية الإسلامية** أحد فروع علم التربية الذي يُعنى بتربية وإعداد الإنسان في مختلف جوانب حياته من منظور الدين الإسلامي الحنيف٤، ووصف التربية بالإسلامية يميزها عن أنواع التربية الأخرى، فهي تنشئة على مبادئ الإسلام وغاياته ومنهجه الرباني في كل أمور الحياة٥، لأن التربية الإسلامية ذات طابع شمولي تكاملي لجميع جوانب الشخصية الروحية والعقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمية والاجتماعية والإنسانية، وفق معيار الاعتدال والاتزان، فلا إفراط في جانب دون غيره ولا تفريط في جانب لحساب آخر٦، تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه ما أمكن ذلك، وهي عملية متدرجة ومقصودة لأفراد المجتمع المسلم، غايتها توجيه الإنسان نحو خالقه من خلال مجموعة من المبادئ والقيم المستمدة من الكتاب والسنة٧، وتنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ

---

١ - مقتبسةً من مقدمة ابن علان لكتابه: «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» (١ / ٣)

٢- ينظر: "أصول التربية الإسلامية"، (ص ١٩)

٣- ينظر:" دراسات في التربية الإسلامية"، ص١٣)

٤ - ينظر:" التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم"، (ص١)

٥ - ينظر:" طرائق تدريس التربية الإسلامية في مدارس البنات "، كردي، (ص٦)

٦ - ينظر:" التربية الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع"، (ص١٨)، و" التربية الإسلامية وأساليب تدريسها"، (ص٩)، و" ومنهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ"، (ص٥٢)

٧- ينظر: "الأسلوب التربوي للدعوة في العصر الحاضر"،(ص٣٤)، و"أهداف التربية الإسلامية وغايتها"، و "مجالات التربية والتعليم في الدعوة"، شريفي، شبكة الألوكة.

الإسلام وتعاليمه، بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة[٨]، وهي: عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة، أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناءً شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها، وتكون التربية للفرد والمجتمع[٩]، وقد كانت التربية هي السبيل الذي سلكه نبينا محمد لإحداث أصدق تغيير أيدولوجي- عرفه التاريخ - في نفس الإنسان[١٠]، لأن التربية الإسلامية هي التنظيم النفسي، والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام، وتطبيقه كلياً في حياة الفرد والجماعة، وهي بهذا المعنى تهيئة النفس الإنسانية لتحمل هذه الأمانة، وهذا يعني بالضرورة أن تكون مصادر الإسلام هي نفسها مصادر التربية الإسلامية، وأهمها القرآن والسنة[١١]

إن القرآن الكريم هو منهج متكامل، يهتمّ بجميع القضايا التربوية، التي تنمّي الفرد والمجتمع على الخير والصلاح، وتبعدهم عن الشرّ والفساد، فقد اهتم الإسلام بكل جوانب الحياة، قال تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، فالمنهج الإسلامي يتصف بالكمال والشمول، ومراعاة جميع جوانب الحياة المادية والمعنوية، ومن ثم فهو يرافق هذا الإنسان في رحلته الحياتية كلها منذ أن كان جنيناً في بطن أمه إلى أن يموت، وما بعد الموت كذلك[١٢]، ويعتبر **أسلوب** الموعظة والترغيب والترهيب كغيره من الأساليب التربوية المهمة والفاعلة في السلوك البشري، وتنشيط النفس وحفزها للخير والفضيلة، وكذلك في زجر النفس ومنعها من اجتراح المحرمات والمحظورات[١٣]، **وتُقدم** السنة والسيرة النبوية باعتبارها أحد أصول التربية الإسلامية مادة خصبة للباحث التربوي، سواء في قضايا حياة الإنسان الكلية أو الجزئية، كما تُغطي مدىً واسعًا من الوسائل والأساليب التربوية الناجعة، والمناسبة لكافة المراحل العمرية، والباحث حين يتوجه بالنظر إلى كنوز الحديثِ الشريف يجد نفسه أمام كم هائل من النصوصِ النبويَّة المبثوثة في كتب السنة[١٤]، وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم نموذج تربوي كامل للإنسان، وهكذا يجد الباحث في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوي فذ، يراعي حاجات الطفولة، وطبيعتها، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق المادية بينهم، كما يراعي مواهبهم، واستعداداتهم وطبائعهم، يراعي في المرأة أنوثتها، وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته ويلتمس دوافعهم الغريزية، فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه، ويقرب إليه من يحب المكانة؛ لأنه في قومه ذو مكانة، وهو في خلال ذلك كله يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته، لتكميل فطرتهم،

---

٨ - ينظر: "التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً"، (ص ٣٤-٣٨)

٩ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٨)

١٠ - ينظر:" دراسة تحليلية للأصول العقدية للتربية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية"، د. الزهراني، (ص ٩٠)، نقلاً عن:" في التربية الإسلامية"، (ص٣٠٤)

١١ - ينظر: «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع»، (ص٢٣)

١٢ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٣)

١٣- ينظر: "دراسات في الثقافة الإسلامية"، (ص٣٧٦)

١٤ - حاجة الباحث في أصول التربية الإسلامية لعلوم الحديث، د. المطيري

وتهذيب نفوسهم شيئا فشيئا، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقاتهم، وحسن استغلالها للخير والسمو: طاقات العقل وطاقات الجسم، وطاقات الروح، لتعمل معاً وتتجاوب للهدف الأسمى، وبذلك يسمو الفرد، وينهض المجتمع.

وللسنة في المجال التربوي فائدتان عظيمتان:

أ- إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم، وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم.

ب- استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، ومعاملته الأولاد، وغرسه الإيمان في النفوس[١٥]

ومن هذه القيم[١٦] التربوية عبادة الذكر والدعاء لله تعالى.

إن للدعاء درجة سامية، ومنزلة رفيعة وأهمية كبرى، إذ الدعاء هو العبادة، وقد افتتح الله القرآن بالدعاء واختتمه به، فسورة الفاتحة مشتملة على دعاء الثناء كما مشتملة على دعاء المسألة إذ فيها الدعاء بأجل المطالب وأفضل الرغائب، وهو طلب الإعانة على مرضاة الله تعالى وسؤال الهداية، وقد فرض الله علينا أن نناجيه وندعوه بذلك في كل صلاة، وسورة الإخلاص في دعاء الثناء والمعوذتان في طلب العياذة الذي هو أحد أنواع دعاء المسألة وقد سمى الله الدعاء ديناً في غير ما آية، والدين هو الإسلام كله، كما سماه عبادة في غير ما آية، وقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا بالإجابة تفضلاً وتكرماً وإحساناً، وتوعد من استكبر عن دعائه فقال عز من قائل: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)} [غافر: ٦٠]، فالدعاء سمة العبودية وعنوان التذلل والخضوع والاستكانة، وتلبية للاحتياج والافتقار الذاتي، ودليل الصدق في اللجأ والرجاء والرغبة والطمع والخوف والرهبة، فهو لب العبادة ومخها وروحها[١٧]

قال الخطابي في: «شأن الدعاء» (١/ ٤):

«وَمَعْنَى الدعَاءِ: استدعَاء العَبْدِ رَبهُ عز وجل العِنَايَةَ واستمداده إياه المَعُوْنَةَ، وَحَقِيْقَته: إظْهَارُ الافْتِقَارِ إلَيهِ، والتبَرُّؤ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوة، وَهوَ سِمَةُ العبودية، واسْتِشْعَارُ الذِّلةِ البَشَرِيةِ، وَفيهِ مَعْنَى الثنَاءِ عَلى الله عز وجل، وإضَافَةُ الجود، وَالكَرَمِ إليه». انتهى

ومن هذه الأدعية المباركة هذا الدعاء النبوي: "سؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة".

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء، ويأمر بها[١٨]، يقول ابن رجب[١٩]: "وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يحبُّ مثلَ هذه الأدعيةِ الجامعةِ، فجمعَ هذا الدعاءُ طلبَ خير الدنيا وتضمنَ سؤال المغفرةِ والرحمةِ وذلكَ يجمعُ خيرَ الآخرةِ كلَّه فجمعَ هذا الدعاءُ خيري الدنيا والآخرةِ" انتهى

جاء في: «شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره» (ص٢٧٣):

---

١٥ - ينظر: «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص٢٦-٢٧)

١٦ - القيم هي القواعد الكلية الحاكمة والمعايير الثابتة الراسخة والمبادئ المطلقة التي تضبط وتحكم وتقيّم تصرفات ونشاطات المجتمع السلبية والإيجابية، ونقصد بالسلبية تلك القيم المتعلقة بالتروك أو قيم التخلي عن الموبقات والشرور والمفاسد التي تقوض أمن المجتمع واستقراره، ونقصد بالإيجابية قيم التحلي بالفضائل والأخلاق والأعراف المجتمعية التي لا تخالف الشرع.
انتهى من: منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهيارها.

١٧ - ينظر: «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» (١/ ٦)، بتصرف

١٨ - ينظر: " جزء من الكلام على حديث شداد بن أوس «إذا كنز الناس الذهب والفضة»، (ص ٣٦٠)

١٩ -ينظر: «تفسير ابن رجب الحنبلي» (٢/ ١٨٨)

«بَاب الْجَوَامِع من الدُّعَاء إِلَى الجامعة لخير الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَقيل هِيَ مَا كَانَ لَفظه قَلِيلا وَمَعْنَاهُ كثيرا كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: {رَبنَا اتنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الْآخِرَة حَسَنَة وقنا عَذَاب النَّار}، وَمثل الدُّعَاء بِحسن الْعَافِيَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة». انتهى.

فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم طلب الستر من الله[٢٠]، ففي " سنن أبي داود"،(٥٠٧٤)، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي"، وَقَالَ عُثْمَانُ: "عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي".

هذا من **الأدعية الجامعة** فقد استوعب الجهات الست، لأن ما يلحق الإنسان من سوء إنما يصله من أحدها ففيه الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها كما أن طلب العافية من **أجمع** الأدعية، لشمولها السلامة من الآفات الدينية والنقائص الحسية والمعنوية، والحادثات الدنيوية مع طلب الصبر عليها عند حلولها[٢١]

- مداومة النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الدعوات[٢٢]

أخرج الترمذي في " جامعه"، (٣٥١٢)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ"، ثُمَّ أَتَاهُ فِي اليَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: "فَإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ".

وفي «فوائد ابن ماسي» (٥)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَقَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَقَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ»، وفي " جامع الترمذي"، (٣٥١٤)، عَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ عز وجل، قَالَ: "سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ"، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: "يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ".

وفي "مسند أحمد"،(١٧٦٦)، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ أَبِي صَغِيرَةَ، حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي الْمُطَّلِبِ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاسِمِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا عَمُّكَ كَبِرَتْ سِنِّي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، فَعَلِّمْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: "يَا عَبَّاسُ، أَنْتَ عَمِّي وَلا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَكِنْ سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ، وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" قَالَهَا ثَلاثًا، ثُمَّ أَتَاهُ عِنْدَ قَرْنِ الْحَوْلِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

---

٢٠ - ينظر: "النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى"، (٣/ ١١٥ - ١٢٠)، و"فقه الأسماء الحسنى"، (ص ٣٥٣ - ٣٥٧)

٢١ -ينظر: " الكاشف عن حقائق السنن"، للطيبي، (٦/ ١٨٨١)، و"تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، (٣/ ٣٩١)، و«إفراد أحاديث اسماء الله وصفاته» (٣/ ٣٨٠)

٢٢ - ينظر: "الفتوحات الربانية"، (٣/ ١٠٩)

وفي " مسند أحمد"، (١٧٨٣)، عَنِ الْعَبَّاسِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَدْعُو بِهِ، فَقَالَ: "سَلِ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ" قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَدْعُو بِهِ، قَالَ: فَقَالَ: "يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

وفي " صحيح ابن حبان"، (٩٥١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَسْأَلُ اللَّهَ؟، قَالَ: "سَلِ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ"، ثُمَّ، قَالَ: مَا أَسْأَلُ اللَّهَ؟، قَالَ: "سَلِ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ".

وفي " سنن ابن ماجه"، (٣٨٤٨)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ".

وفي " جامع الترمذي"، (٣٥٤٩)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ".

وفي " سنن ابن ماجه"، (٣٨٥١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ".

وفي " جامع الترمذي"، (٣٥٥٨)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ رِفَاعَةَ، أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَامَ الأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: "اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ".

وفي " مسند أحمد"، (١٠)، قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ الْحَارِثِ، يَقُولُ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ عَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ اسْتَعْبَرَ أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَمْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وفي " مسند أحمد"، (٤٦)، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِعَامٍ، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَقَامِي عَامَ الْأَوَّلِ، فَقَالَ: "سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ وَالْبِرِّ فَإِنَّهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ وَالْفُجُورَ فَإِنَّهُمَا فِي النَّارِ".

وفي " سنن ابن ماجه"،(٣٨٤٩)، عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَ بْنَ عَامِرٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَوْسَطَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَجَلِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ، حِينَ قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ بَكَى أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ، وَسَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا".

وفي " سنن ابن ماجه"، (٣٨٤٥)، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو مَالِكٍ سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي - وَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ إِلَّا الْإِبْهَامَ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعْنَ لَكَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ"، وفي " سنن ابن ماجه"،(٢٩٥٧)، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي سَوِيَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ هِشَامٍ، يَسْأَلُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ الرُّكْنِ الْيَمَانِي، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ عَطَاءٌ:

حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " وُكِلَ بِهِ سَبْعُونَ مَلَكًا، فَمَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، قَالُوا: آمِينَ " فَلَمَّا بَلَغَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدِ، قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا بَلَغَكَ فِي هَذَا الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ؟ فَقَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ فَاوَضَهُ، فَإِنَّمَا يُفَاوِضُ يَدَ الرَّحْمَنِ" قَالَ لَهُ ابْنُ هِشَامٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَالطَّوَافُ؟ قَالَ عَطَاءٌ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَلَا يَتَكَلَّمُ، إِلَّا بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ، إِلَّا بِاللَّهِ، مُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ بِهَا عَشْرَةُ دَرَجَاتٍ، وَمَنْ طَافَ، فَتَكَلَّمَ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ، خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ، كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ".

وفي " صحيح مسلم"، (٩٧٥)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ - فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ -: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ - وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ -: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ "، وفي " جامع الترمذي"، (٣٩١١)، عن أَنَسِ بن مَالِكٍ، قال: قال رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "الدُّعاءُ لَا يُرَدُّ بين الأذَانِ وَالإقامةِ". قالوا: فَماذا نَقولُ يَا رَسولَ اللهِ؟ قال: "سَلُوا الله الْعَافية في الدُّنْيا وَالآخِرةِ، وفي " مسند أحمد"، (١٥٨٧٧)، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِذَا أَتَاهُ الْإِنْسَانُ يَقُولُ: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي - وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ إِلَّا الْإِبْهَامَ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعْنَ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ "، وفي رواية عند أحمد في " المسند"، (١٥٨٨١)، «هَؤُلَاءِ يَجْمَعْنَ لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ»، وفي " صحيح ابن خزيمة"، (٧٤٤)، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَغْدُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَجِيءُ الرَّجُلُ وَتَجِيءُ الْمَرْأَةُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ؟ قَالَ: " قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، فَقَدْ جَمَعَ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ "، وفي " جامع الترمذي"، (٣٤٩٢)، عَنْ بِلَالِ بْنِ يَحْيَى العَبْسِيِّ، عَنْ شُتَيْرِ بْنِ شَكَلٍ، عَنْ أَبِيهِ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِكَفِّي فَقَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي " يَعْنِي فَرْجَهُ".

وفي " صحيح مسلم"، (٢٧٢٥)، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ"، وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ يَعْنِي ابْنَ إِدْرِيسَ، أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "قُلِ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ" ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ، وفي " سنن النسائي"، (٥٢١٠)، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَا عَلِيُّ، سَلِ اللَّهَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ"، وفي " مسند أحمد"، (٧٩٨٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "، وفي مسند أحمد، (٢٣٣٥٥)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي إِذْ سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، إِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، فَأَهْلٌ أَنْ تُحْمَدَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي، وَارْزُقْنِي عَمَلًا زَاكِيًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «ذَاكَ مَلَكٌ أَتَاكَ يُعَلِّمُكَ تَحْمِيدَ رَبِّكَ»، وفي " سنن الترمذي"،(٣٥٢١)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، قُلْنَا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"[٢٣]، وفي " مسند أحمد"،(٣٦٦٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أُصَلِّي، فَقَالَ: "سَلْ تُعْطَهْ يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ" فَابْتَدَرَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، قَالَ عُمَرُ: مَا بَادَرَنِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلَاهُ عَنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ: " مِنْ دُعَائِي الَّذِي لَا أَكَادُ أَدَعُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَبِيدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ، جَنَّةِ الْخُلْدِ "، وفي " صحيح مسلم"، (٢٧٢٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ"، وفي " سنن النسائي"،(١٣٤٦)، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ كَعْبًا حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ الَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى إِنَّا لَنَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ: أَنَّ دَاوُدَ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عِصْمَةً، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي جَعَلْتَ فِيهَا مَعَاشِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ"، قَالَ: وَحَدَّثَنِي كَعْبٌ، أَنَّ صُهَيْبًا حَدَّثَهُ، أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُهُنَّ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صَلَاتِهِ، وفي " صحيح ابن خزيمة"،(٧٤٥)، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ كَعْبًا، حَلَفَ لَهُ بِالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى، إِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ دَاوُدَ نَبِيَّ اللَّهِ كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عِصْمَةً، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي جَعَلْتَ فِيهَا مَعَاشِي، اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ" قَالَ وَحَدَّثَنِي كَعْبٌ أَنَّ صُهَيْبًا صَاحِبَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُهُنَّ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صَلَاتِهِ، وفي " سنن ابن ماجه"، (٢١٤٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَعْظَمُ النَّاسِ هَمًّا، الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَهْتَمُّ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَمْرِ آخِرَتِهِ"، وفي " صحيح مسلم"، (٢٧٢١)، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى"، وفي " جامع الترمذي"، (٣٤٨٩)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدعُو: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى"، وفي " جامع الترمذي"، (٣٤٨٠)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي، وَعَافِنِي فِي بَصَرِي، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ"، وفي " سنن ابن ماجه"، (٣٨٣٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ

---

[٢٣] - قال الشوكاني في: «تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين»، (ص٤٥٨):

«وَلَا شَيْء أجمع وَلَا أَنْفَع من هَذَا الدُّعَاء فَإِن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قد صَحَّ عَنهُ من الْأَدْعِيَة الْكثير الطّيب وَصَحَّ عَنهُ من التَّعَوُّذ مِمَّا يَنْبَغِي التَّعَوُّذ مِنْهُ الْكثير الطّيب حَتَّى لم يبْق خير فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة إِلَّا وَقد سَأَلَهُ من ربه وَلم يبْق شَرّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة إِلَّا وَقد استعاذه ربه مِنْهُ فَمن سَأَلَ الله عز وجل من خير مَا سَأَلَهُ مِنْهُ نبيه صلى الله عليه وسلم واستعاذ من شَرّ مَا استعاذ مِنْهُ نبيه صلى الله عليه وسلم فقد جَاءَ فِي دُعَائِهِ بِمَا لَا يحْتَاج بعد إِلَى غَيره وَسَأَلَهُ الْخَيْر على اخْتِلَاف أَنْوَاعه واستعاذ من الشَّرّ على اختلاف أَنْوَاعه وحظى بِالْعَمَلِ بإرشاده صلى الله عليه وسلم إِلَى هَذِه القَوْل الْجَامِع وَالدُّعَاء النافع ». انتهى

ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مُطِيعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي" قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيُّ: قُلْتُ لِوَكِيعٍ: أَقُولُهُ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٤٠٧)، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، قَالَ: صَحِبْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ" ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ، يَقْرَأُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا، فَلَا يَقْرَبُهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ حَتَّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ"، وفي " سنن النسائي"، (١٣٠٦)، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَخَفَّهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا، فَقَالَ: أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَمَا إِنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدُعَاءٍ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو بِهِ: "اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ"، وفي " جامع الترمذي"، (٣٥٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ"، وفي " سنن ابن ماجه"، (٢٥١)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ"، وفي " مسند أحمد"، (٨١٠١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: دَعَوَاتٌ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا أَتْرُكُهَا مَا عِشْتُ حَيًّا، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَعْظِمُ شُكْرَكَ، وَأَكْثِرُ ذِكْرَكَ، وَأَتْبَعُ نَصِيحَتَكَ، وَأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ"، وفي " مسند أحمد"،(٨٢٧٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَوْصَى سَلْمَانَ الْخَيْرَ، فَقَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يُرِيدُ أَنْ يَمْنَحَكَ كَلِمَاتٍ تَسْأَلُهُنَّ الرَّحْمَنَ تَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِنَّ، وَتَدْعُو بِهِنَّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، قُلِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةَ إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي خُلُقٍ حَسَنٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ - يَعْنِي - وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا» قَالَ أَبِي: " وَهُنَّ مَرْفُوعَةٌ فِي الْكِتَابِ: يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ وَرَحْمَةٌ مِنْكَ وَعَافِيَةٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْكَ وَرِضْوَانٌ "، وفي " صحيح مسلم"،(٢٧٣٩)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ"، وفي " صحيح مسلم"،(٢٧١٦)، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو بِهِ اللهَ، قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ"، وفي "جامع الترمذي"،(٣٤٨٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ"، وفي " صحيح مسلم"،(٢٧٢٢)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"، وفي " مسند أحمد"،(٢١٦٦٦)، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَّمَهُ دُعَاءً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: " قُلْ حِينَ تُصْبِحُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ، اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ، أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ، فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ

يَدَيْهِ، مَا شِئْتَ كَانَ، وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ وَمَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ، فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنَةٍ، فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ، إِنَّكَ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ. أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَلَذَّةَ نَظَرٍ إِلَى وَجْهِكَ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ، مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ أَنْ أُظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ، أَوْ أَكْتَسِبَ خَطِيئَةً مُحْبِطَةً، أَوْ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ، اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي، تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "، وفي " سنن النسائي"، (٥٥١٩)، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٠٢)، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ تَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا".

في هذه **الأحاديث** نستفيد **استحباب** هذا الدعاء في الصباح والمساء اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، **وإرشاد** إلى أنه ينبغي لكل أحد **سؤال** العافية في الدنيا بالسلامة من الأسقام والمحن والآلام، وفي الآخرة بالعفو عن الذنوب وإنالة المطلوب، يقول ابن الأثير في: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٢٦٥):" العَفو: مَحْوُ الذُّنوب، والعَافِيَة: أنْ تَسْلَم مِنَ الأسْقام والبَلَايا، وَهِيَ الصحةُ وضِدُّ المرَض، ونظيرُها النَّاغِيةُ والرَّاغية، بِمَعْنَى الثُّغاء والرُّغاء، والمُعَافَاة: هِيَ أنْ يُعَافِيَك اللهُ مِنَ النَّاسِ ويُعَافِيَهُم مِنْكَ: أيْ يُغْنِيك عَنْهُمْ ويُغْنيهم عَنْكَ، ويَصْرف أذاهُم عَنْكَ وأذاكَ عَنْهُمْ، وَقِيلَ: هِيَ مُفاعَلة مِنَ العَفو، وَهُوَ أنْ يَعْفُوَ عَنِ النَّاسِ ويَعْفُوَ هُم عَنْهُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «تَعَافَوُا الحدودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ» أيْ تَجاوَزُوا عَنْهَا وَلَا تَرْفَعُوها إليَّ، فإنِّي مَتَى عَلِمتُها أقَمْتُها..." انتهى

لماذا بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية؟

لأن العافية لا يَعدِلُها شيءٌ، ومن أُعطي العافيةَ في الدنيا والآخرة فقد كَمُلَ نَصِيبُه من الخير.

والعَفْوُ: مَحْوُ الذنوب وسترُها، **والعافيةُ**: هي تأمين الله لعبده مِنْ كلِّ نِقْمَةٍ ومِحنَة، بصرف السُّوء عنه ووقايته من البلايا والأسقام وحفظه من الشرور والآثام.

وأمَّا **سؤال العافية في الدِّين** فهو طلبُ الوقاية من كلِّ أمرٍ يَشِينُ الدِّينَ أو يُخِلُّ به.

وأمَّا في **الدنيا** فهو طَلَب الوقاية من كلِّ أمرٍ يَضُرُّ العبدَ في دنياه مِنْ مُصيبة أو بَلاء أو ضَرَّاء أو نحو ذلك، وأمَّا في الآخرة فهو طَلَبُ الوقاية من أهوال الآخرة وشدائدها وما فيها من أنواع العقوبات وأمَّا في الأهل فبِوِقايَتِهم مِنْ الفتَن وحِمايَتِهم من البَلَايا والمحن، وأمَّا في المال فبِحفظِه مِمَّا يُتْلِفُه مِنْ غَرَقٍ أو حَرْقٍ أو سَرِقةٍ أو نحو ذلك، فجَمَع في ذلك سؤالَ الله الحفظَ من جَميع العَوارِض المُؤْذِيَة والأخطار المُضِرَّة، وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَحَادِيث فِي الْأَمْر

بِسُؤَالِ الْعَافِيَة، وَهِيَ مِنْ الْأَلْفَاظ الْعَامَّة الْمُتَنَاوِلَة لِدَفْعِ جَمِيع الْمَكْرُوهَات فِي الْبَدَن وَالْبَاطِن، فِي الدِّين وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَة٢٤

يقول المباركفوري في: «تحفة الأحوذي» (٩/ ٣٤٨):«قوله (أسأله الله) أي أطلبه من الله تعالى، سل الله العافية في أمره صلى الله عليه وسلم للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئا يسأل الله به دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى به ذو الجلال والإكرام وقد تقدم تحقيق معنى العافية أنها دفاع الله عن العبد فالداعي بها قد سأل ربه دفاعه عن كل ما ينويه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عمه العباس منزلة أبيه ويرى له من الحق ما يرى الولد لوالده **ففي** تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية تحريك لهمم الراغبين على ملازمته وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم سبحانه وتعالى ويستدفعون به في كل ما يهمهم ثم كلمه صلى الله عليه وسلم بقوله سل الله العافية في الدنيا والآخرة، فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا». انتهى

يقول المناوي في: «فيض القدير» (٤/ ١٠٨): «ثم إنه جمع بين عافيتي الدنيا والدين لأن صلاح العبد لا يتم في الدارين إلا بالعفو واليقين، فاليقين يدفع عنه عقوبة الآخرة والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، قال ابن جرير: فإن قلت هذا الخبر يناقض خبر إذا أحب الله عبدا ابتلاه قلت إنما أمر بطلب العافية من كل مكروه يحذره العبد على نفسه ودينه ودنياه والعافية في الدارين السلامة من تبعات الذنوب فمن رزق ذلك فقد برئ من المصائب التي هي عقوبات والعلل التي هي كفارات لأن البلاء لأهل الإيمان عقوبة يمحص بها عنهم في الدنيا ليلقوه مطهرين فإذا عوفي من التبعات وسلم من الذنوب الموجبة للعقوبات ...» انتهى

يقول ابن القيم: «ومن تأمَّل هدي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وجده أفضلَ هديٍ يمكن حفظُ الصِّحَّة به، .... ولمَّا كانت الصِّحَّة والعافية من أجلِّ نعمِ الله على عبده، وأجزلِ عطاياه وأوفرِ مِنَحِه، بل العافية المطلقة أجلُّ النِّعم على الإطلاق، فحقيقٌ لمن رُزِق حظًّا من التَّوفيق مراعاتُها وحفظُها وحمايتُها عمَّا يضادُّها، وقد روى البخاريُّ في «صحيحه» من حديث ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصِّحَّة والفراغ»، وفي «الترمذي» وغيره من حديث عبد الله بن مِحْصَن الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح مُعافًى في جسده، آمنًا في سِرْبه، عنده قوتُ يومه؛ فكأنَّما حِيزَت له الدُّنيا».

وفي «الترمذي» أيضًا من حديث أبي هريرة عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: «أوَّل ما يُسْأل عنه العبدُ يوم القيامة من النَّعيم أن يقال له: ألم نُصِحَّ لك جسمَك، ونُرْوِك من الماء البارد؟»، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سَلُوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتي أحدٌ بعد اليقين خيرًا من العافية»، فَجَمَعَ بَيْنَ عَافِيَتَيِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَا يَتِمُّ صَلَاحُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا بِالْيَقِينِ وَالْعَافِيَةِ، فَالْيَقِينُ يَدْفَعُ عَنْهُ عقوبات الآخرة، والآخرة تَدْفَعُ عَنْهُ أَمْرَاضَ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ، فاليقين يدفع عنه عقوباتِ الآخرة، والعافيةُ تدفع عنه أمراض الدُّنيا في قلبه وبدنه، وفي «سنن النَّسائيِّ» من حديث أبي هريرة يرفعه: «سَلُوا الله العفو والعافية والمعافاة، فما أوتي أحدٌ بعد يقينٍ خيرًا من معافاةٍ». وهذه الثَّلاثة تتضمَّن إزالة الشُّرورِ الماضيةِ بالعفو، والحاضرةِ بالعافية، والمستقبَلةِ بالمعافاة؛ فإنَّها تتضمَّن المداومة والاستمرار على العافية٢٥

---

٢٤ - ينظر: «شرح بلوغ المرام»، اللهيميد، (٤/ ٧٦٠)

٢٥ - ينظر: «زاد المعاد»، (٤/ ٣٠٦-٣٠٩)، و«الطب النبوي لابن القيم» (ص١٥٩-١٦٠)

هذا **الدعاء** المبارك الجليل القدر فيه أجلّ المطالب، وأهم المقاصد التي يتمنّاها كل عبد في دينه، ودنياه، وآخرته، ففيها سؤال اللَّه تبارك وتعالى السلامة، والوقاية من كل الشرور، بكل أنواعها الظاهرة والباطنة، الجليّة والخفيّة، فإن السلامة والحفظ مبتغى كل الخلائق، في هذه المعمورة، وخاصة عباد اللَّه تبارك وتعالى المؤمنين، ولهذا كانت هذه الدعوة وما تتضمنه من مقاصد عظيمة عزيزة وجليلة عند الشارع الحكيم، في قوله، وأمره، وفعله، ولما كانت الآفات والبلايا منها ظاهرة، كأمراض البدن، وعلله الحسية، ومنها باطنة معنوية كآفات القلب، قُدِّم سؤال السلامة في أهمّ أنواعه، وهو القلب: ((اللَّهم إني أسألك اليقين))، وهو تمام العلم وكماله، وهو المنافي للشك والريب، فهذا سؤالٌ لِأعلى درجات الإيمان، الذي عليه الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((اليقين الإيمان كله))، فلذا كان من دعائه رضي الله عنه: ((اللَّهم زدنا إيماناً ويقيناً وفهماً))، فإذا رسخ اليقين في القلب، انقطع عن الدنيا، وتعلّق بالآخرة، قال سفيان الثوري رحمه الله: ((لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقاً إلى الجنة، وهروباً من النار))، قال ابن حجر رحمه الله معلقاً: ((فإذا أيقن القلب، انبعثت الجوارح كلها للقاء اللَّه عز وجل بالأعمال الصالحة))، ولا شك أن هذا هو منتهى الإرادات والمنى، فدلّ هذا المطلب العظيم على أنه أهمّ مسائل الدِّين، لأنه يتعلّق في أهم منازله، وهو مسائل الإيمان والتوحيد، الذي هو حق اللَّه تعالى على كل العبيد، وقوله: ((والعفو والعافية في الدنيا والآخرة)): جمع بين عافيتي الدين والدنيا؛ لأنه لا غنى عنهما للعبد، فإن النجاة والفلاح منوطة بهما[٢٦]

❖ وقفات تربوية:

الإسلام شريعة الله للبشر، أنزلها لهم ليحققوا عبادته في الأرض، وإن العمل بهذه الشريعة ليقتضي تطوير الإنسان وتهذيبه، حتى يصلح لحمل هذه الأمانة، وتحقيق هذه الخلافة، وهذا التطوير والتهذيب هو التربية الإسلامية: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢]، فلا تحقيق لشريعة الإسلام إلا بتربية النفس، والجيل والمجتمع، على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده، ومن هنا كانت التربية الإسلامية فريضة في أعناق جميع الآباء والمعلمين، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده، ويؤديها المربون[٢٧]، وعلم التربية أحد أهم العلوم في حياة الإنسان، وحتى يحقق علم التربية لأبناء المسلمين أهدافه وغاياته لابد أن ينضبط بضوابط الشريعة الإسلامية، لينطلق مما شرعه خالق الإنسان العالم بما يصلح حاله ومآله، وذلك بصدوره من معين الكتاب والسنة، فالتربية معنية بتعليم الأبناء والمربين ما يجب عليهم

---

٢٦ - ينظر: «شرح الدعاء من الكتاب والسنة» (ص٣٤٤)
٢٧ - ينظر: «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص ٣٠)

من أمور دينهم ودنياهم، ومن خلالها يتم تعليمهم كيفية التعامل مع أنفسهم ومع غيرهم من مخلوقات الله، ووظيفة **التربية** وظيفة الأنبياء والمرسلين، فمن خلالها تنتقل المعرفة والسلوك، وتُبنى المهارات، وتُزكى النفوس، إن التربية في الإسلام موقعاً خاصاً، فالإسلام والتربية **متلازمان** وصنوان لا يفترقان واقتران الإسلام بالتربية في كل مراحله، وظل كذلك طوال التاريخ الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية، حتى صار للإسلام دولة كبرى، لها فلسفة خاصة تحدد مسار حياتها، وتشكل نظامها التربوي[٢٨]

- مفهوم التربية الإسلامية:

التربية في الإسلام كما يعرفها علماء التربية هي:

" تشكيل شخصية المسلم إيمانياً وخلقياً وفكرياً ونفسياً ووجدانياً وجسدياً، وتنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه، وتزويده بالمعارف والثقافات الإسلامية، وبالخبرات العلمية اللازمة لتنميته تنمية متوازنة وسليمة طبقاً لمقاصد الشريعة الإسلامية، ولينجم عن ذلك الفرد المستقيم سلوكياً، ليكون لبنه صالحة في بناء المجتمع المسلم، ولتحقيق رسالة الإسلام في شتى مجالات الحياة[٢٩]، والتربية الإسلامية ذات طابع **شمولي** تكاملي لجميع جوانب الشخصية الروحية والعقلية والوجدانية والجسمية والاجتماعية والإنسانية، وفق معيار **الاعتدال والاتزان**، فلا إفراط في جانب دون غيره ولا تفريط في جانب لحساب آخر[٣٠]، بالإضافة إلى ذلك فإن التربية الإسلامية هي تلك التربية التي من خلالها يمكننا أن نقوم بتنمية الفكر الخاص بالإنسان، والعمل على تنظيم مختلف السلوكيات الإنسانية، وبالتالي فإن التربية الإسلامية هى العملية التى من خلالها تربية القيم مما يساهم فى صلاح الحياة البشرية، بالإضافة إلى أنه يساهم فى تحقيق حالة من

---

٢٨ - ينظر: "دراسة تحليلية للأصول العقدية للتربية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية"، د. الزهراني، (ص ٩٠)

٢٩ - ينظر: "التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً"، (ص ٣٤-٣٨)

٣٠- ينظر: "التربية الإسلامية وأساليب تدريسها"، (ص٩)، و"منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ"، (ص٥٢)، و" التربية الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع"، (ص١٨)

التوازن وحالة من التكامل بين جميع الاتجاهات الداخلية للفرد، وبالتالى فإنها تتمثل فى طريقة من خلالها يتم الجمع بين الخلق والعلم والعمل والإيمان[٣١]، وعرف العلماء التربية الإسلامية بأنها **المنهج** الواضح الذي رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية، وتتكفل برعاية الإنسان من حيث البدن والعقل والروح، وقد تعددت تعريفات العلماء للتربية الإسلامية، ومنها **تعريفها** بأنها تحضير الإنسان للحياة في الدنيا والآخرة، ومن **تعريفاتها** : أنها المفاهيم المترابطة التي تنضبط بفكر وأساس واحد وتعتمد على مبادئ وأخلاق الإسلام، وتبين للفرد الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه بما يتوافق مع تلك المفاهيم والمبادئ، وجاء أيضاً في **تعريفها** أنها الطريقة الأفضل في التعامل مع فطرة الإنسان، وتعليمه بطريق مباشر وغير مباشر، كالكلمة والقدوة، بناء على منهج ووسائل تختص بتلك الطريقة، لتوجيه الإنسان وتغييره نحو الأفضل، فالتربية الإسلامية منهج متكامل لرعاية الإنسان وتربيته على الأخلاق الحسنة، وتضمن له التوازن والتوافق بين الحياة الدنيا والآخرة، كما عرفها **القاضي**[٣٢]بأنها **التنمية الشاملة** لجميع جوانب شخصية الفرد: جسميًا، وعقليا، واعتقاديًا وروحيا وخلقيا واجتماعيا، ونفسيا، وإراديا، وجماليا، في ضوء ما جاء به الإسلام، حتى يكون الفرد عابداً الله وحده عبودية تحقق له الفوز بالدنيا والآخرة، وتجعله لبنة خيرة في بناء مجتمعه ولإسعاد البشرية.

يتضح من التعريفات السابقة أن للتربية والتربية الإسلامية عدة خصائص ومميزات يمكن تقديمها في النقاط التالية:

- شمولهم جوانب شخصية الفرد المختلفة الجسمية والعقلية والخلقية، والنفسية والجمالية.
- تأكيد أن التربية والتربية الإسلامية، إنما تهتم بجميع جوانب الشخصية وتنميتها، وأن تنمية الفرد تكون في إطار المجتمع، مما يؤكد أن بناء المجتمع وتنميته يتم من خلال بناء أفراده.

---

٣١ - منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، د. العنزي، مجلة التربية بجامعة أسيوط، م ٣٥، ع ٧، يوليو ٢٠١٩، ص ٤٦١-٤٩٦

٣٢ - ينظر: " التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصر"،(ص٢٢)

- لم يحصر التعريف بالتربية الإسلامية في حدود ما ورد بمصدريها الأساسيين القرآن والسنة وحدهما، وإنما جعلها ترتوي من أية مصادر أخرى بجانبهما، شريطة أن يكون ذلك على ضوء المصدرين الأساسيين[٣٣]

ويتضمن هذا المعنى المعالم الأساسية للتربية الإسلامية وهي:

١- التركيز على الإنسان فهو مناط التربية، فإذا صلح الفرد صلحت الأسرة والمجتمع والدولة والأمة، ويُصبح قوة فعالة قائدة ورائدة ومقدامة في كافة جوانب الحياة.

٢- شمولية التربية لتغطى كافة جوانب تكوين الشخصية الإسلامية، عقائدياً وخلقياً ونفسياً وفكرياً واجتماعياً واقتصادياً ..... ونحو ذلك.

٣- ارتباط عملية التربية بمقاصد وأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية لتحقيق الغايات من خلق الإنسان وهي عبادة الله والعمل بشريعته في هذه الحياة الدنيا.

٤- المعاصرة في استخدام سبل ووسائل وأدوات التربية متى كانت لا تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

٥- غاية التربية: تكوين السلوك المستقيم للإنسان وفق شرع الله، أي إصلاح الفرد والبيت والمجتمع والدولة[٣٤]

ويؤكد كثيرٌ من التربويين أن **الأهداف** تشتق من طبيعة **المجتمع**، من حيث عقيدته، وفلسفته، وتطلعاته، وآماله، ومشكلاته، وقيمه، كما أن الممارسة التطبيقية للأهداف تعبِّر عما يريده المجتمع لنفسه، فالمجتمع له ثقافة معينة، وله فلسفة يؤمن بها، ويسعى إلى تربية أبنائه في إطارها، **والهدف** هو: «الغاية التي يتصوَّرها الإنسان، ويضعها نُصبَ عينيه، وينظِّم سلوكه من أجل تحقيقها»، **والأهداف التربوية** هي: «تلك التغيرات التي يراد إحداثها في سلوك الفرد، وفي ممارساته، واتجاهات المجتمع، أو المجتمعات الإنسانية».

---

٣٣ - ينظر: "أساليب تربية الطفل على الانضباط في ضوء سورة "لقمان""، (ص٢٧-٢٨)

٣٤ - ينظر: "أصول منهج التربية الاقتصادية في الإسلام"، د. شحاتة، (ص٤)، بتصرف

ومن أهم معايير صياغة الأهداف في التربية الإسلامية أن تكون **الأهداف** نابعة من مصادر الإسلام الأصلية كالقرآن والسنة، وما يتفرَّع منها من علوم شرعية تستند إليها في مبادئها وأحكامها، وأن تسهم في تحقق أهداف الرسالة الإسلامية في بناء الإنسان والأمة، وأن تساعد على إثارة الهمم العالية، ورفع الناس إلى تنفيذها، فهي **تزيد** من طاقات الإنسان وفعاليته بقدر عظمتها وسُموِّها، كما يجب أن تمتاز الأهداف **بالشمولية** لكافة جوانب شخصية المتعلم الجسمية، والانفعالية، والخلقية، والعقلية، والروحية، والاجتماعية.

وهناك أربعة مستويات لأهداف التربية الإسلامية:

- أولها: العبودية لله تعالى، وهو الهدف الغائي الوحيد للتربية الإسلامية.
- وثانيها: تنمية وبناء الإنسان بناءً بآداب الإسلام.
- وثالثها: إقامة مجتمع مسلم على أساس الإيمان.
- أما رابعها، فيدور حول تحقيق المنافع الدينية والدنيوية، ويتمثل هذا المستوى في الإعداد للحياة الدنيا والآخرة[٣٥]

الشريعة الإسلامية أساس عظيم من أسس التربية الإسلامية، فهى بمعناها القرآني الواسع بيان للعقيدة، وللعبادة، وتنظيم الحياة، وبالتحديد تنظيم جميع العلاقات الإنسانية[٣٦]

---

[٣٥] - ينظر: "أصول التربية الإسلامية"، (ص ٩٦)، و"أهداف التربية الإسلامية"، (ص١٣)، و "فلسفة المنهج التربوي من منظور إسلامي"، (ص٥٦ – ٥٧٩)، والأهداف التربوية عند علماء المسلمين، الأحمدي، الألوكة.

[٣٦] - ينظر: "الإسلام وضرورات الحياة"، (ص ١١٦)، و"أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص ٦١)

١- دور القيم والتربية الإسلامية لدى الفرد والمجتمع:

التربية الإسلامية هي تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه، وعواطفه، على أساس الدين الإسلامي، وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة، أي في كل مجالات الحياة، فالتربية الإسلامية على هذا عملية تتعلق قبل كل شيء بتهيئة عقل الإنسان، وفكره وتصوراته عن الكون والحياة، وعن دوره وعلاقته بهذه الدنيا، وعلى أي وجه ينتفع بهذا الكون وبهذه الدنيا، وعن غاية هذه الحياة المؤقتة التي يحياها الإنسان، والهدف الذي يجب أن يوجه مساعيه إلى تحقيقه، وقد قدم الإسلام هذه الأفكار كلها في منظومة من التصورات مترابطة، متينة البنيان، كما قدم لنا العقائد التي يجب على الإنسان أن يؤمن بها، لكي تحرك في نفسه الأحاسيس والمشاعر، وتغرس العواطف الجديرة بأن تدفعه إلى السلوك الذي نظمت الشريعة له قواعده وضوابطه، السلوك التعبدي الذي يحقق الهدف الذي خلق من أجله الإنسان، سواء أكان هذا السلوك فردياً، أو جماعياً، فالجانب الإيماني الاعتقادي من الدين يقدم لنا أساساً راسخاً من العقيدة الثابتة، والتصورات الواضحة والمترابطة، والأهداف النيرة، والحوافز الدافعة إلى السعي، الباعثة على بعد الأمل، والتفاؤل والجد والوعي، والجانب التشريعي يقدم لنا قواعد، وضوابط نقيم عليها سلوكنا، وننظم بها علاقاتنا بل هو الذي يرسم لنا خطة حياتنا وسلوكنا، والجانب التعبدي هو سلوك المسلم الذي يحقق به كل تلك التصورات، والأهداف والضوابط، والأوامر التشريعية، **وعملية التربية**، هي تنمية شخصية الإنسان على أن تتمثل كل هذه الجوانب، في انسجام وتكامل، تتوحد معه طاقات الإنسان، وتتضافر جهوده لتحقيق هدف واحد تتفرع عنه، وتعود إليه جميع الجهود والتصورات، وضروب السلوك، ونبضات الوجدان[٣٧]، وتعد التربية الأداة الرئيسة في إعداد الأفراد وتنميتهم، وفي إصلاح الأمم وبنائها، وفي إقامة الحضارات وترقيتها وذلك لأنها في المقام الأول استثمار لأثمن ما في المجتمعات والأمم من الثروات وهي ثرواتها البشرية ولأنها من خلال هذه الثروات ترسى دعائم التقدم والرقي والازدهار، وللتربية دور مهم في حياة الأمم والشعوب فهي عماد تطورها

---

٣٧ - ينظر: «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص٣٨)

الاجتماعي والاقتصادي وهي وسيلتها الأساسية في البقاء والاستمرارية وفي قدرتها على مواجهة التحديات والمستجدات[٣٨]، ولا شك أن التربية الإسلامية هي وسيلة الأمم في بناء أجيال ناهضة قادرة على الحفاظ على شخصيتها وهويتها[٣٩]، وحاجة الإنسان للقيم حاجة مُلحّة، فالإنسان يعيش جملة من العلاقات، علاقة مع الله، وعلاقة مع نفسه، وعلاقة مع أسرته وصحبه وعلاقة مع الكون حوله ومع بقية الكائنات، وكل واحدة من هذه العلاقات تحتاج إلى ضوابط ومعايير لن تأتيه إلاّ بمعرفة ما عليه للتعامل معها، والمعرفة لها خُلق، وتقع عليها مسؤولية فردية في الحياة وبعد الممات[٤٠]، فالقيم أكبر باعث وأقوى وسيلة للتقدم الحضاري للمجتمع، و هي تنتقل من جيل إلى جيل، عن طريق التربية والتدريب والتلقين والتعليم والتثقيف، فالتربية هي العملية الأساسية التي يلجأ إليها الأفراد للمحافظة على تراثهم الحضاري بكل ما ينطوي عليه من قيم ومبادئ إنسانية وأخلاقية لحياة الفرد لكي ينشأ الفرد متوافقاً ومتجاوباً مع جماعته، وليست القيم إلا وقاية للمجتمع من تفشي الجرائم بشتى أنواعها من الانحرافات الخلقية التي يعاني منها الأفراد والـمجتمعات الإنسانية، كما أنـها هي الوسيلة الوحيدة لبناء الفرد المثالي، والمجتمع الأفضل[٤١]

مفهوم القيم وأهميتها[٤٢]:

القيم هي تلك المكونات النفسية التي تحتل قمة التنظيم الوجداني للفرد وتشمل معتقداته الخاصة التي تضع له حدوداً وضوابط عامة حاكمة لسلوكه الفعلي المرتقب ومراقبته والحكم عليه.

---

٣٨ - ينظر: "مدخل إلى التربية"، (ص٢٣)
٣٩ - ينظر: " التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات"، (ص١١)
٤٠ - أهميّة القيم وأثرها في تغيير المجتمعات، والقيم الإنسانية وأثرها في الإنسان والمجتمع، ومنظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهيارها
٤١ - القيم و أثرها في نفوس الأفراد و الجماعات
٤٢ - ينظر: "دَوْرُ الحَيَاةِ الجامعيةِ فِي تَشْكِيلِ النّسَقِ القِيَمِي لدى طُلاب جامعة الملك عبد العزيز"، يوسف جلال، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، المجلد ٢٠١٨، العدد ٤٩ - يناير ٢٠١٨، ص٧٥٣-٨٠٦

القِيَمُ مفردها القِيمَةُ، والقيمة هي ثمن الشيء بالتقييم، وقد تعددت وتباينت تعريفات القيم بكثرة أهمية وعمق هذا المصطلح في الحياة اليومية للأفراد سواء كانت الدينية أم الاجتماعية أم الاقتصادية وغيرها من شتى مناحي الحياة الإنسانية، ويرجع هذا التباين وربما الخلط في تعريفات القيم لكثرة المداخل البحثية وميادين المعرفة المهتمة بها سواء في الفلسفة أو الدين أو التربية أو علم الاجتماع أو الاقتصاد أو علم النفس وغيرها[٤٣]

القيم هي عبارة عن الأحكام التي يقوم بإصدارها الفرد بدرجة معينة من التفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء من حوله، وذلك بتقويمه لهذه المواضيع، وتقوم هذه العملية من خلال مشاركة بين الفرد بمعارفه ومهاراته، وممثلي الأطر الحضارية التي يعيش فيها ويكتسب من خلاله هذه المهارات والمعارف[٤٤]

القيمة هي صفة في شيء تجعله موضع تقدير واحترام أي أن هذه الصفة تجعل ذلك الشيء مطلوبًا ومرغوبًا فيه، سواءً كانت الرغبة عند شخص واحد، أو عند مجموعة من الأشخاص[٤٥]، والآيات القرآنية تشير إلى عظم اللفظ، وهذا ما يعطي دلالته - عندما تضاف إلى الحضارة - معنى الفضل والاستقامة[٤٦]

تعرف القيم التربوية بأنها القيم التي تصدر عن الأهداف العامة للتربية ليتم تناقلها إلى الأجيال القادمة، وتعتبر كموجهات للالتزام بها من قبل المعلمين لما لها من تأثيرات على تربية الأجيال، وهي مجموعة من المعايير والأسس التي يكتسبها المتعلمون داخل المؤسسات التربوية بطريقة مقصودة أو غير مقصودة والتي تؤثر تأثيراً مباشرا على سلوكهما[٤٧]، وعرفت بأنها: "هي المبادئ والمعتقدات الأساسية، والمثل، والمقاييس أو أنماط الحياة التي تعمل مرشداً عاماً للسلوك، أو نقاط تفضيل في صنع القرار، أو لتقويم المعتقدات والأفعال، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا

---

٤٣ - دَوْرُ الحَيَاةِ الجامعيةِ فِي تَشْكِيلِ النَّسَقِ القِيَمِي لدى طُلاب جامعة الملك عبد العزيز، يوسف جلال، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، المجلد ٢٠١٨، العدد ٤٩ - يناير ٢٠١٨، ص٧٥٣-٨٠٦

٤٤ - ينظر: " القيم التربوية لدى طالب كليات التربية" ، (ص ٤٠٥)

٤٥ - ينظر: " القيم الإسلامية"،(ص١)
٤٦ - ينظر: " القيم الحضارية وتقاطعاتها المعرفية رؤية إسلامية"، (ص٥)
٤٧ - ينظر: " القيم التربوية لدى طالب كليات التربية" ، (ص ٤٠٥)

بالسمو الخلقي والذاتي للأشخاص" [٤٨]، أما المعنى الإنساني للقيمة فيتمثل في أنها هي المثل الأعلى الذي لا يتحقق إلا بالقدرة على العمل والعطاء، كما عُرِّفت القيم بأنها: " مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ في جماعةٍ ما، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام والضرورة والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف على اتجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا "، القيم مقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها٤٩

نستخلص مما سبق:

أ-القيم مجموعة من الصفات الأخلاقية والمبادئ والأهداف والمعايير المقبولة من الفرد ويتمسك بها المجتمع.

ب-القيم كل ما يكون موضع اهتمام الإنسان أو مصدر نافع له.

ج-القيم هي طرق تعامل الأفراد معًا والموافقة على السلوك المقبول ورفض غير المقبول.

ويستنتج مما سبق أن **القيم نوعان**: قيم إيجابية، وقيم سلبية، أما القيم الإيجابية فهى : القيم المرغـوب فيها وتشترط قبولاً من المجتمع، وهى القيم المعبرة عن الأوصاف والسلوكيات الإيجابية التى يتحلى بها الفرد ويتبناها بصفتها اعتقاداً أو قناعة راسخة تدفعه إلى النجاح والتفوق.

أما القيم السلبية فهى: القيم المرغوب عنها من المجتمع٥٠

٤٨ - ينظر: " مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي"،(ص٨٢)
٤٩ - ينظر: "القيم وطرق تعلمها وتعليمها"، فؤاد علي، (ص٣-٥)
٥٠ - ينظر: " القيم الإسلامية وسبل تعزيزها _ قيمة اتقان العمل أنموذجاً"، د. المحضار، بتصرف

القيم الإسلامية هى القيم المستمدة من مصادر التشريع الإسلامى الذى يعتبر الحسن هو ما وافق شرع الله واستوجب الثواب فى الآخرة، ويعتبر القبيح هو ما خالف شرع الله ويترتب عليه العقاب فى الآخرة [٥١]، القيم الإسلامية: " حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"[٥٢] القيم الإسلامية هي: "مجموعة من الأوامر والنواهي التي تجعل سلوك الإنسان متطابقًا مع قواعد الشرع الحنيف، والتي تشمل عقيدة الإنسان وعباداته ومعاملاته مع بني جنسه، وعلاقته مع الكون الذي يعيش فيه، وتكون نابعة من القرآن الكريم والحديث الشريف"[٥٣]، فهي "مجموعة المعايير والفضائل التي جاء بها الإسلام، ثم أصبحت محل اعتقاد واعتزاز لدى الإنسان عن اقتناع واختيار، ثم صارت موجهات لسلوكه، ومرجعًا لأحكامه في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال تنظم علاقته بالله، وبالكون وبالمجتمع، وبالإنسانية جمعاء"[٥٤]

القيم الخلقية: " هى مجموع الأخلاق التى تصنع الشخصية الإسلامية، وتجعلها قادرة على التفاعل الحق، وعلى التوافق مع أعضاء المجتمع، وعلى العمل من أجل العقيدة والنفس" [٥٥]

والملاحظ من التعاريف أن:

- القيم الإسلامية مستمدة من الكتاب والسنة.
- أنها معايير تحكم سلوك الفرد.
- أنها معتقدات راسخة لدى الفرد بناءً على قناعاته.
- أنها موجهة لسلوك الفرد[٥٦]

---

٥١ - ينظر: " القيم الإسلامية وسبل تعزيزها _ قيمة اتقان العمل أنموذجاً"، د. المحضار

٥٢ - ينظر: "الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية"، (ص ٣٠)

٥٣ - ينظر: "القيم الحضارية في رسالة الإسلام"، (ص ٤٢)

٥٤ - ينظر: "القيم الأخلاقية لدى طلاب جامعة طنطا، دراسة ميدانية"، (ص٣١)

٥٥ - ينظر: "المدخل إلى القيم الإسلامية "، (ص٣٨)، ودور المدرسة الثانوية في المحافظة على القيم الخلقية لطلابها في ظل عصر الإعلام الجديد

٥٦ - القيم الإسلامية وتأثيرها على التحصيل الدراسي، الألوكة.

وعلى ضوء هذا يتضح أن للقيم ثلاث وظائف أساسية تعكس أهميتها النظرية والتطبيقية وهي:

١. تحدد نوع وطبيعة السلوك المطلوب من الفرد القيام به في المواقف المختلفة.

٢. تراقب الفرد أثناء قيامه بهذا السلوك وتوجه أداءه بما يتفق مع هذه القيم التي يعتنقها.

٣. تحكم على هذا السلوك الذي قام به الفرد بمجرد الانتهاء منه، وتُزوده بتعزيزات إيجابية أو سلبية بحسب اتساقه أو عدم اتساقه مع منظومة القيم لديه.

للقيم ثلاثة مكونات أساسية هي[٥٧]:

١. المكون المعرفي

٢. المكون الوجداني

٣. المكون السلوكي

تصنيفات القيم[٥٨]:

تُصنَّف القيم وفق عدد من الاعتبارات، فقد تُصَنَّفُ وفق طبيعتها إلى قيم مادية وقيم روحية. أو حسب مجالها إلى قيم فيزيقية وقيم اجتماعية وقيم علمية وقيم معرفية.

وقد صنَّف المجلس القومي المصري للتعليم (١٩٩٣) القيم إلى ثلاثة مجالات هي:

١. مجال العقيدة: ويشمل القيم الإيمانية وقيم العبادات والمعاملات والتي يدين بها الفرد ويحرص على أدائها.

٢. مجال علاقة الفرد بغيره: وتشمل قيم التعامل مع الآخرين من صدق القول والعمل والعفة وصلة الرحم والإيثار وغيرها.

---

٥٧ - ينظر:" دَوْرُ الحَياةِ الجامعيةِ في تَشْكِيلِ النَّسَقِ القِيَمِي لدى طُلاب جامعة الملك عبد العزيز"، (ص٧٥٣-٨٠٦)

٥٨ - ينظر: التغير القيمي لدى طلاب جامعة أسيوط في ضوء بعض التغييرات المعاصرة، عبد السلام، م ٣٩، ع ١٠,٢، أكتوبر ٢٠٢٣، ص ٤٩٤-٥٦٨، و دَوْرُ الحَياةِ الجامعيةِ في تَشْكِيلِ النَّسَقِ القِيَمِي لدى طُلاب جامعة الملك عبد العزيز، (ص٧٥٣-٨٠٦)

٣. مجال علاقة الإنسان بالكون: وتشمل القيم العلمية من التفكير والتدبر والتخطيط والعمل وغيرها.

ويحدد المغربي نوعين من القيم فقط هما:

١. القيم الأساسية: وهي قيم راسخة لا تتغير نشأت على أساس التعاليم الدينية التي مصدرها القرآن والسنة، وتتمثل في التوحيد والقيم المتعلقة بالصلاة والأمانة والمساواة والعدالة.

٢. القيم الثانوية: وهي قيم من صنع الإنسان سواء ما يقوم منها في المجتمع أو بيئة العمل وبالإمكان تحويلها وتغييرها لأنها من صنع الواقع الاجتماعي والثقافي.

كما صنف بدوي القيم إلى الأقسام التالية:

- قيم روحية وعقدية مثل حب الله والايمان بالله.
- قيم أخلاقية وتشمل العدل والأمانة والصدق وإكرام الضيف والتعاون.
- قيم جمالية وتشمل التذوق الجمالي وإدراك الاتساق في الأشياء والاعتناء بالمظهر والنظافة والنظام.
- قيم اجتماعية وتشمل بر الوالدين والتكافل الاجتماعي والإحسان للجيران.
- قيم اقتصادية مثل الاقتصاد والادخار والنظرة للمال.
- قيم الانتماء للأسرة والمجتمع.

وقد وضع جلال تصنيفاً للقيم في بحثه[٥٩]، التزم به في إطار اطلاعه على العديد من التصنيفات والذي يضم الأنواع الخمسة التالية:

٥٩ - دَوْرُ الحَياةِ الجامعيةِ في تَشْكِيلِ النَّسَقِ القِيَمِي لدى طُلاب جامعة الملك عبد العزيز ، ص٧٥٣-٨٠٦

١. القيم الدينية: هي مجموعة القيم التي يتميز بها الفرد من حيث إدراكه لخالقه ومراقبته له والالتزام بما أمر والانتهاء عما نهى خصوصاً في أداء العبادات والمعاملات، وتشمل العديد من القيم الفرعية ومنها: الإخلاص والصدق والأمانة والتسامح وأداء الشعائر.

٢. القيم الاجتماعية: هي مجموعة القيم التي يتميز بها الفرد من حيث احترامه لخصائص مجتمعه، وعلاقاته واهتماماته الاجتماعية، ومبادراته التطوعية، وتعاونه وبذل وقته وجهده وماله لإنجاز الأعمال الخدمية في مجتمعه، وتشمل العديد من القيم الفرعية ومنها: التعاون والصداقة والمبادرة والتضحية وصلة الرحم.

٣. القيم الاقتصادية: هي مجموعة القيم التي يتميز بها الفرد من حيث احترامه لقيمة العمل، وتحقيق المكاسب المادية والسعي لإحراز الثروة والحفاظ عليها والاقتصاد في إنفاقها وحسن استغلالها، وتشمل العديد من القيم الفرعية ومنها: حب التملك والترشيد والاستثمار تقدير العمل والادخار.

٤. القيم الوطنية: هي مجموعة القيم التي يتميز بها الفرد من حيث حبه وفخره واعتزازه بوطنه واحترامه لتاريخه، واستعداده للدفاع عنه وحمايته من أية أخطار داخلية أو خارجية، وتصديه للقضايا ذات النفع العام والمشاركة في رفعة وطنه وسلامة أراضيه وتشمل العديد من القيم الفرعية ومنها: حب الوطن والشجاعة والتفاني والالتزام والقيادة.

٥. القيم الجمالية: هي مجموعة القيم التي يتميز بها الفرد من حيث إدراكه للجمال واهتماماته الفنية الراقية وذوقه العام ونزعته لتحقيق النظام والنظافة والتناسق والانسجام الحسي والمعرفي والوجداني، وتشمل العديد من القيم الفرعية ومنها: النظافة والنظام واللون واقتناء الجمال وتذوق الجمال.

أهمية القيم٦٠:

القيم الإسلامية هى القيم المستمدة من الكتاب والسنة ، لذلك وجب على كل المسلمين الالتزام بتطبيق مبادئها ومقاييسها، فهى ثابته لا تتغير مع الظروف لأن معيارها الأساسى ثابت وهو تقوى الله سبحانه وتعالى، وفى إطار هذه القيم تحددت معايير السلوك وآداب التعامل بين الناس، كما انتظمت العلاقات بينهم على أساس: التعاون ، والإخاء ، والشورى ، وحسن الخلق ، والاحترام ، والمساواة، والعدل ومن ثم نجد أن المجتمع الإسلامى يتخذ من القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة دستوراً للحياة، وتظهر أهمية القيم الإسلامية فى حياة الفرد والمجتمع واضحة، لأنها تمثل ركناً أساسياً فى تكوين العلاقات بين الناس، وتسهم بشكل فعال فى تحديد طبيعة التفاعل بينهم، علاوة على أنها تشكل معايير وأهداف تنظم سلوك الفرد والجماعة، فغرس القيم فى نفوس الناس لا يقل أهمية عن المعارف التى يزودون بها، إذ القيم قوة دافعة للعمل، كما تعتبر معايير يقيم الإنسان على أساسها هذا العمل وهى الدعامة الأساسية التى تسهم فى تكوين شخصية الفرد ، كما أن لها أثراً عظيماً على المجتمع ، فهى تعمل على توحيد أفراد المجتمع وتماسكهم ، وأيُّ عملٍ اجتماعىّ أو اقتصادىّ لحلّ مشكلات المجتمع يهتمُّ بالقيَم المادية ويتجاهل القيَم الإيمانيّة فإنه يسلك طريقَ الضَّعف، وما أصاب المسلمين اليومَ مِن قصورٍ ليس مرجعُه قيَمَ الإسلام ومبادِئَه ومقاصدَه وغاياته، وإنما سببُه الفرقُ بين العِلم والعمل والفصلُ بين العقيدة والمبادئ والقِيَم، واللّحاقُ بركب الحضارة لا يكون على حساب الثوابت، إنَّ ثوابتَنا وقِيَمنا نحن المسلمين هى سبَبُ عزِّنا وهى سبَبُ تقدُّمنا، ويجب أن يعرفَ كلُّ فردٍ فى الأمّة التى تريد النهوضَ إلى المجد أنَّ العقيدة هى التى تبنى القوى وتبعثُ العزائمَ وتضىء الطريقَ للسالكين، إنَّ الحفاظَ على قِيَم

٦٠ - ينظر: " القيم الإسلامية وسبل تعزيزها _ قيمة اتقان العمل أنموذجاً"، د. المحضار، بتصرف

العمل كالإتقان والجودة والبعد عن الربا والرياء والتبذير والاسراف والبخل هى أحدَ أكبر صمّامات الأمان للمجتمع إزاءَ الكوارث المادية والاجتماعية التى تصيب العالم اليوم[٦١]

العلاقة بين القيم والتربية[٦٢]:

القيم هى التى توجه العملية التربوية كاملة، وهى فى نفس الوقت بحاجة إلى وسائل وأساليب ومعلمين ونظام ، أى أنها فى حاجة للتربية، فالعلاقة إذن بين القيم والتربية علاقة تبادلية ، فبدون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها ، وبدون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة، والتربية التى نقصدها هنا تشمل التربية فى البيت وفى المدرسة وفى المؤسسات الأخرى، وتشمل التربية النظامية وغير النظامية، وتبدأ عملية زرع القيم وتنميتها لدى الفرد منذ أيام حياته الأولى وهو طفل بواسطة الأسرة، ولا تنتهى إلا بانتهاء حياته على وجه هذه البسيطة، فهي "تنمية الإنسان في أبعاده الستة: الروحي، والبيولوجي، والعقلي، والمعرفي، والانفعالي العاطفي، والسلوكي الأخلاقي والاجتماعي، في إطار بعد مركزي هو الإيمان بالله وبوحدانيَّته، للوصول بالإنسان نحو الكمال، ضمن مجتمع متضامن قائم على قيم ثابتة"[٦٣]

ولإيضاح العلاقة بين القيم والتربية ذكر (خياط)[٦٤] النقاط التالية[٦٥]:

١- تقوم التربية بتكوين شخصية الإنسان، وهذه الشخصية يشكلها نوع السلوك الذى تحدده القيم.

٢- التربية عملية تكيف وتوافق، والقيم هى التى تحدد ذلك التكيف والتوافق.

٣- التربية تعمل على توفير الأمان للإنسان، والقيم هى التى تحدد له الإحسان بذلك الأمان.

٤- التربية تعمل على فهم الذات وإمكاناتها، والقيم هى التى تعطى الفرد الفرصة للتعبير عن نفسه.

---

٦١ - ينظر: " القيم الإسلامية وسبل تعزيزها _ قيمة اتقان العمل أنموذجاً"، د. المحضار، بتصرف

٦٢ - ينظر: "دور المدرسة الثانوية في المحافظة على القيم الخلقية لطلابها في ظل عصر الإعلام الجديد"، د. الشهراني

٦٣ - ينظر: "الفكر التربوي"، (ص١٢١)، والقيم الإسلامية وتأثيرها على التحصيل الدراسي، الألوكة

٦٤ - المبادئ والقيم فى التربية الإسلامية ، محمد خياط، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، (ص٤٤-٤٥)، بتصرف

٦٥ - ينظر: "دور المدرسة الثانوية في المحافظة على القيم الخلقية لطلابها في ظل عصر الإعلام الجديد"، د. الشهراني

٥- التربية تعمل على تنمية الجانب العقدى أو الروحى فى الإنسان، والقيم مستمدة من تلك المعتقدات.

٦- التربية تعمل على تنمية علاقات الفرد مع غيره، والقيم هى الإطار المرجعى لتحديد نوعية تلك العلاقات.

٧- التربية عملية غرس للقيم والاتجاهات التى يؤمن بها المجتمع، ونقلها من جيل لآخر، وتستهدف التربية تشجيع الإبداع والإنتاج والتطوير والتغيير، إلا أنها فى كل ذلك تراعى القيم السائدة فى المجتمع.

تصنيفات القيم[٦٦][٦٧] :

تتميز القيم الإسلامية بطبيعتها وخصائصها وتصنيفها ومصادرها عن باقى القيم الأخرى، وعلى الرغم من تنوع مصادر اشتقاق القيم الإسلامية، إلا أنها ترجع إلى نوعين من المصادر هما[٦٨]: المصادر الإلهية، والمصادر البشرية.

١- المصادر الإلهية (الأساسية): وهما القرآن الكريم دستور المجتمع المسلم ومنه يشتق قيمه، والسنة النبوية التى تزخر بالقيم الإسلامية.

٢- المصادر البشرية (الثانوية): وهذه المصادر مستمدة من المصادر الإلهية ومعتمدة عليها، مثل الإجماع، والقياس، والمصلحة المرسلة، والعرف.

-صنفها بدوي إلى ثلاث مجالات:

قيم عقلية وقيم جمالية وقيم أخلاقية.

-وصنفها البعض على أساس ما هو مادي محسوس وغير محسوس.

أ-قيم مادية ب-قيم روحية.

-وصنفها البعض بحسب الأشخاص:

---

٦٦ - ينظر: "دور المدرسة الثانوية في المحافظة على القيم الخلقية لطلابها في ظل عصر الإعلام الجديد"، د. الشهراني

٦٧ - التغير القيمي لدى طلاب جامعة أسيوط في ضوء بعض التغييرات المعاصرة، عبد السلام، ص ٤٩٤-٥٦٨

٦٨ - ينظر: "دور المدرسة الثانوية في المحافظة على القيم الخلقية لطلابها في ظل عصر الإعلام الجديد"، د. الشهراني

أ- قيم نظرية ب-قيم اقتصادية ج-قيم جمالية ء-قيم اجتماعية هـ قيم دينية و- قيم فنية[٦٩]

-وصنف الهاشمي وعبد السلام القيم إلى :

أ-قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع ربه .

ب-قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه .

ج-قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين .

-أما أبو العينين فقد صنف القيم إلى :

١. قيم روحية وعقدية كحب الله والإيمان بالله.

٢. قيم خلقية كالعدل والأمانة والصدق وإكرام الضيف والعدل والتعاون .

٣. قيم عقلية تتصل بالمعرفة وطرق الوصول إليها كاستخدام التجربة والتفكير الناقد.

٤. قيم وجدانية وانفعالية كالحب والكره وضبط النفس عند الغضب.

٥. قيم اجتماعية مثل بر الوالدين والتكافل الاجتماعي والإحسان للجيران.

٦. قيم مادية تتصل بالعناصر المادية كالاعتناء بالجسم والاقتصاد في الانفاق.

٧. قيم جمالية تتصل بالتذوق الجمالي وإدراك الاتساق في الأشياء والاعتناء بالمظهر والنظافة والنظام ٧٠

الطرق التى اتبعها الإسلام فى تعليم القيم [٧١]:

أهم الطرق التى يمكن اتباعها فى تعليم القيم واكتسابها هى :

الطريقة الأولى: القدوة الحسنة.

الطريقة الثانية: الموعظة.

---

٦٩ - ينظر: "القيم التربوية فى القصص القرآنى"، طهطاوي، (ص ٤٦-٤٨)

٧٠ - ينظر: "القيم وطرق تعلمها وتعليمها"، (ص٧-٨)

٧١ - ينظر: القيم الإسلامية وسبل تعزيزها _ قيمة اتقان العمل أنموذجاً، المحضار، ص ٢٤٠-٢٧٩

الطريقة الثالثة : استخدام العقاب.

الطريقة الرابعة: أسلوب القصة.

الطريقة الخامسة: أسلوب العادة.

الطريقة السادسة: أسلوب الملاحظة.

الطريقة السابعة: أسلوب الأحداث.

الوسائط المؤثرة فى اكتساب القيم[٧٢]:

هناك العديد من الوسائط التى تؤثر فى حياة الناشئة وتساهم فى رسم معالم تكوينهم الخلقى والاجتماعى وتربيتهم، ومن أهم الوسائط المؤثرة فى تكوين القيم وتوجيه السلوك الناشئة فى حياتهم اليومية ما يلى:

١- الأسرة.

٢- المدرسة.

٣- جماعة الرفاق.

٤- المجتمع.

ويرى أبو المعاطي٧٣ أن هناك عدة مصادر تلعب الدور الأكبر في تشكيل النسق القيمي لدى الأفراد، هي[٧٤]:

١- الدين: وما يتضمنه من وحي سماوي يحض على الفضيلة والأخلاق والمثل العليا، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، ويتألف الدين من شطرين أساسيين متكاملين هما العقيدة والشريعة، فالعقيدة تحكم علاقة الإنسان بربه، وينبثق عن ذلك عديد من القيم مثل: المراقبة والاخلاص والتقوى والخوف والرجاء

---

[٧٢] - القيم الإسلامية وسبل تعزيزها _ قيمة اتقان العمل أنموذجاً، رجاء المحضار، م ٣٣، ع ٧، سبتمبر ٢٠١٧، ص ٢٤٠-٢٧٩

٧٣ - دور الحياة الجامعية في تشكيل النسق القيمي لدى طلاب جامعة الملك عبد العزيز ببعض التخصصات الأكاديمية. مجلة بحوث التربية النوعية، ٤٩، (ص٧٦٩- ٧٧١).

وغيرها، أما الشريعة فتحكم علاقة الإنسان بغيره من البشر، ويتولد عن ذلك عديد من القيم الأخرى كالصداقة والتعاون والتعاطف والمساندة والصدق والأمانة وغيرها، ولا شك أن الدين في المجتمعات يمثل الركيزة الأولى لتشكيل أي نسق قيمي.

٢- الثقافة: وتشمل كافة التقاليد والأعراف والعادات والخبرة الجماعية التي تشكلت في المجتمع عبر السنين وتناقلتها الأجيال محافظة عليها كملامح مميزة لهذا المجتمع، وتحكم عديد من تصرفاته وأحواله في كافة مواقف الحياة فيه، من معاملات فردية أو جماعية في التعليم والعمل والبيع والشراء والزواج والجيرة وكافة المناسبات الدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وبالتالي تشكل الثقافة وكافة مكوناتها رافدًا مهما للقيم في المجتمع، ومصدرًا مهمًا أيضًا في تشكيل النسق القيمي للفرد الذي يعيش فيه.

٣- الإعلام والتقنيات المستحدثة:

يؤدي الإعلام بوسائله المختلفة سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية وما تبثه هذه المصادر المؤثرة والفعالة والمشوقة من أخبار صحيحة أو مشوهة أو مغلوطة دورًا لا يخفى على متابع في تشكيل النسق القيمي للأفراد المتلقين لها.

٤- دور الحياة الجامعية في تشكيل القيم لدى الشباب:

الجامعة لم تعد مجرد مرحلة تعليمية دراسية يقضي فيها الطالب عددًا من السنوات ويتخرج ليعمل في مجال ما، وإنما صارت الجامعة حياة واسعة تزخر بعديد من مجالات التفاعل والتفكير والتنمية والاستمتاع في الوقت ذاته بالنسبة للطالب.

وظائف القيم في حياة الفرد والمجتمع [٧٥]:

للقيم وظائف عديدة في حياة الفرد والمجتمع يمكن إيجازها كما يلي ٧٦:

- **بالنسبة للفرد:** تهيئ القيم للفرد خيارات معينة ، فتكون لديه إمكانية الاختيار والاستجابة لموقف معين ، فتلعب دوراً هاماً في بناء شخصيته ، كما أن القيم تعطي الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه ، لذلك فهي تجعله أقدر وأصبر على التكيف كذلك فإنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان لأنها تقويه على مواجهة ضعف النفس، ومثال على ذلك بلال بن رباح الذي جعله الإسلام يسخر ممن كانوا يسومونه سوء العذاب ويصدع بالآذان من فوق الكعبة يوم فتح مكة، والقيم تدفع الفرد لتحسين أفكاره ومعتقداته، وتساعده على فهم الآخرين من حوله، وتوسع إطاره المرجعي في فهم علاقاته مع الآخرين ، كما أنها تعمل على إصلاح الفرد اجتماعياً وأخلاقياً ونفسياً وفكرياً وثقافياً ..الخ ، لأن القيم وسيلة علاجية ووقائية للفرد ، كما أنها تعمل على ضبط نزوات الفرد وشهواته ومطامعه ، وكل هذه الوظائف يكمل بعضها بعضاً وصولاً إلى مرحلة الرضا " رضي الله عنهم ورضوا عنه " ، أي رضا الله ورضا النفس .

-تعمل على إصلاح الفرد نفسيًا وخلقيًا وتوجهه نحو الإحسان والواجب، وتعمل على ضبط الفرد لشهواته؛ كي لا تتغلب على عقله ووجدانه.

- **بالنسبة للمجتمع:** تحافظ القيم على تماسك المجتمع، وتساعده على مواجهة التغيرات التي تحدث كما أنها تربط بين أجزاء الثقافة في المجتمع لأنها هي التي تعطي النظم الاجتماعية أساساً عقلياً، والقيم تحمي المجتمع من الأنانية والدونية الطائشة، وتزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع المجتمعات الأخرى من حوله، كما أن القيم تجعل سلوك الجماعة عملاً تبتغي به وجه الله تعالى.

---

[٧٥] - ينظر: القيم الإسلامية وسبل تعزيزها _ قيمة اتقان العمل أنموذجاً، والتغير القيمي لدى طلاب جامعة أسيوط في ضوء بعض التغييرات المعاصرة.

٧٦ - ينظر: "القيم وطرق تعلمها وتعليمها"، (ص١١)، و"التغيير بالقيم"، الحجي، (ص٩٦)

- تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديد الاختيارات الصحيحة.
- تربط ثقافة المجتمع بعضها حتى تبدو متناسقة كما أنها تعمل على اعطاء النظم الاجتماعية أساسا عقليا يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة.
- تزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم وتحدد له أهداف ومبررات وجوده[٧٧]

والوظائف الفردية والمجتمعية تتكامل فيما بينها وتؤدي إلى ما يلي:

أ-بناء الذات الإنسانية القادرة على التكيف الإيجابي مع ظروف الحياة لأداء دورها الحضاري المحدد.

ب-إعطاء المجتمع الشكل المميز الذي يميزه عن المجتمعات الأخرى

خصائص القيم [٧٨]:

تعد القيم لب الثقافة لأي مجتمع، فهي تمثل الرموز الثقافية التي تحدد ما هو مرغوب فيه وما هو غير المرغوب فيه، كما تتميز بأنها متوارثة من جيل لآخر عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، إذ إنها تمثل أحد الروافد الأساسية للإرث التاريخي والثقافي لأي مجتمع، والقيم وثيقة الصلة بممارسات الإنسان وسلوكياته في مختلف المواقف، إذ يمكن التعرف على ما يمثله الفرد من قيم من خلال ما يصدر عنه من أقوال أو أفعال في كل موقف، وتتميز القيم بأنها عامة، أي موجودة لدى المجتمعات كافة، والقيم ذات طبيعة مجتمعية مثل الظواهر المجتمعية الأخرى، تخضع للتغير نتيجة التركيب الداخلي لبناء المجتمع، أو نتيجة لضغوط خارجية على المجتمع ذاته، والتي تتمثل في تأثير انفتاح المجتمع على الثقافات الخارجية، وكذلك تأثير وسائل الإعلام، وتكون القيمة مقبولة من قبل الفرد، لأنها مكتسبة من خلال الجماعة التي ينتمي إليها ويتفاعل معها، لذلك نجده يرضى بها وبحكمها وعدالتها، ومن ثم فهي أحد مفاصل الضبط

---

٧٧ - التغير القيمي لدى طلاب جامعة أسيوط في ضوء بعض التغييرات المعاصرة، عبد السلام، ص ٤٩٤-٥٦٨

[٧٨] - التغير القيمي لدى طلاب جامعة أسيوط في ضوء بعض التغييرات المعاصرة، عبد السلام، ص ٤٩٤-٥٦٨

الاجتماعي، كما أن التضامن والتماسك الاجتماعي يحدد ويعرف من خلال القيم العامة التي يشترك فيها أعضاء الجماعة.

وقد حدد الحجي [٧٩] مجموعة من السمات التي تميز القيم كما يلي:

١- القيم موضوعية: وهي القيم التي اتفق عليها الناس مثل بعض القوانين العلمية (قانون الجاذبية).

٢- القيم ذاتية: وهي تتعلق بالنفس البشرية، حيث تشمل على الرغبات والميول والعواطف، وهذه الرغبات والميول والعواطف تتغير من شخص لآخر.

٣- القيم نسبية: أي أنها ليست مطلقة فهي تتميز بالثبات النسبي، وهي تختلف من فرد لآخر نظرًا لعوامل الزمان والمكان والثقافة.

٤- القيم متعلمة ومكتسبة: أي انها ليست وراثية.

٥- القيم ذات منطق جدلي: تمتاز القيم بشمولها لتناقضين مثل الخير والشر والحق والباطل.

٦- القيم متسامية: لدينا جميعًا إحساس بعلو القيمة وتسامى قدرها، وقد يكون علو القيم مصدرها الضمير الذي يفترض هذه القيم أو يكون مصدرها المجتمع الذي يشعره بالإلزام تجاه القيم.

٧- القيم متغيرة: تتصف القيم بأنها ليست ثابته بل متغيرة بتغير الحراك الاجتماعي والتفاعل المستمر بين الفرد وبيئته.

٨- القيم مثالية: تتميز القيم بأنها غير مادية بل معنوية.

٩- القيم تتصف بالترتيب الهرمي: هناك قيم تتفوق على غيرها، وقد يلجأ الفرد؛ لإخضاع القيم قبولا في المجتمع للأكثر قبولا.

١٠- القيم انسانية: ترتبط القيم بالإنسان دون أي كائن آخر.

---

٧٩ - ينظر: "التغيير بالقيم"، إبراهيم الحجي، (ص٩٨)

مجالات القيم:

تشمل القيم الإسلامية جميع مناشط الحياة، وجميع مناحي التفكير والاعتقاد، وجميع العلاقات التي تربط المسلم بخالقه وبغيره من البشر، بل وبالكون جميعاً.

ويمكن تصنيف أهم المجالات التي تشملها القيم الإسلامية إلى ما يلي:

١- مجال العقيدة : فالمسلم مطالب بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ومطالب بأن يقر بأن الدين عند الله الإسلام وأنه خاتم الأديان، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل ، أنزل الله عليه القرآن وحياً ، وهو المصدر الأساسي والأول للشريعة ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم المصدر الثاني ..الخ ، وكل أولئك قيم حاكمة على العبادات والمعاملات ، يدين بها الفرد وينهض لها ، وتحرص الجماعة على غرسها صحيحة في نفوس أفرادها ، وتتصدى لمن يهملها ويتهاون فيها ، ولمن يشوهها وينحرف عنها .

٢- مجال علاقة الفرد المسلم بغيره من البشر: إذ يجعل الإسلام حسن الخلق جزءاً لا يتجزأ من التدين، ومن هنا تفسير دعوة الإسلام إلى الالتزام بقيم الآداب والتوافق السلوكي معها فيما جاء به الأمر من صدق القول والفعل في السر والعلن، والأمانة والعفة والإخلاص وطهارة اليد واللسان وحسن الظن وإتقان العمل وصلة الأرحام وتوقير الكبار ورحمة الصغار ... الخ، وفيما جاء به النهي عن أضداد هذه من قبيح الخصال والموبقات.

٣-مجال علاقة الإنسان بالكون: إذ يجعل الإسلام النظر في ملكوت الله والتفكر فيه قيمة، يدعو إلى الحرص عليها بما يترتب فيه من إعلاء قيم العلم وكشف أسرار الله في الأرض وفي السماء، وللإسلام قيم

تتعلق بالتعامل مع الحيوان والنبات ومع الجماد لخير البشرية، ونصوص القرآن والحديث النبوي الشريف في كل أولئك ماثلة شاهدة[٨٠]

وترجع أهمية القيم في حياة الفرد والمجتمع إلى أنها تمثل الضوابط الحاكمة للسلوك الإنساني بشكل عام، فهي التي تُحدد للفرد ما الذي عليه أن يفعله وتراقب هذا الفعل وتُصَوِّبه ثم تَحكم على نتائجه النهائية والآثار المترتبة عليه، وبذلك تُنظِّم حياة الفرد والمجتمع بوازع داخلي لا يحتاج إلى مراقبة خارجية[٨١]، وتقف التربية والتعليم في مقدمة الوسائل التي يمكن أن تستخدم في تنمية وتطوير القيم لدى الفرد، وتحصين المجتمع[٨٢]

دور القيم الاجتماعية في بناء المجتمع:

تشكل القيم الاجتماعيّة أهم الركائز في بناء المجتمعات، وترتبط القيم بشكل كبير بالأخلاق والمبادئ، وهي معايير عامّة وضابطة للسلوك البشري الصحيح، **والقيم الاجتماعيّة** هي الخصائص أو الصفات المحببة والمرغوب فيها لدى أفراد المجتمع، والتي تحددها ثقافته مثل التسامح، وللقيم الاجتماعيّة أمثلة وأنواع، ولها أسباب تؤدي إلى غيابها عن واقع الحياة، كما أنّ هناك سُبُل لتعزيزها وبنائها، والذي يحدد وجود هذه القيم هو الإطار التربوي العام في المجتمع، ومدى الوعي الذي وصل إليه النّاس في تعاملهم مع بعضهم، **نذكر منها:**

الصدق، حيث يظهر الصدق كقيمة في التعامل اليومي في المجتمع، ابتداء من الأسرة، وانتهاء بالمجتمع.

الإيثار، وهو قيمة متقدمة في السلوك، ويعبِّر عن تخلي الإنسان عما يحبه لصالح غيره. الكرم والسخاء.

الحياء، وهو من الضوابط المهمة للسلوك البشري في المجتمع.

البذل والتضحيّة، وذلك بجعل اهتمامات الفرد الخاصة لصالح المجتمع ككلّ.

---

٨٠ -ينظر: "المجلس القومي للتعليم"، (ص٢١٨-٢١٩)، و " القيم وطرق تعلمها وتعليمها"، (ص١٢)

٨١ - دَوْرُ الحَياةِ الجامعيةِ فِي تَشْكِيلِ النَّسَقِ القِيَمِي لدى طُلاب جامعة الملك عبد العزيز، يوسف جلال، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، المجلد ٢٠١٨، العدد ٤٩ - يناير ٢٠١٨، ص٧٥٣-٨٠٦

٨٢ - ينظر: "القيم وطرق تعلمها وتعليمها"،(ص١)

التعاون والتعاضد، ويعدّ التعاون من أهم مقوِّمات وركائز التواصل البشري، ولا غنى عنه لفرد من الأفراد أو مجتمع من المجتمعات.

التكافل الاجتماعي، وفيه يكمل أبناء المجتمع بعضهم في شتى جوانب الحياة، ممّا يقلل ويقلص من منابع الفقر والعوز في المجتمع.

أهميّة القيم الاجتماعيّة:

تُعدُّ القيم الاجتماعيّة والأخلاق من أقوى ما تبنى به المجتمعات، ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع، ففيها تنتشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتعم الأخوّة بينهم، ويقوى التماسك والترابط بينهم بهذه القيم، فهي الضمانة لاستقرار المجتمعات وازدهارها، ونجد أنّ الأمم التي تنهار بداية انهيارها إنّما تكون في انهيار القيم والأخلاق؛ فلا يمكن فصل القيم عن الأخلاق، فهي تشترك معاً في تحديد وضبط السلوك البشري في وجهته العامّة والخاصّة.

أثر القيم على تغيير المجتمع:

المجتمع ليس سوى مجموعة من الضمائر الفرديّة، ومجموعة ممّا في هذه الضمائر من قناعات وقيم، والمعنى الواسع لكلمة (مجتمع) هو الشعور بالأخوة الإنسانيّة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، ويقول سبحانه وتعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}، والأمّة تتألّف من مجتمعات، والمجتمع يتألّف من أسر، والأسرة تتألّف من أفراد يجب أن تكون حياتهم قائمة على منهج منضبط تحكمه مبادئ، ويجب أن يكون في قناعاتهم تقويم صحيح لهذه المبادئ لتتحوّل إلى قيمٍ عمليةٍ إيجابيّةٍ تُرى آثارها في الأسرة وفي المجتمع ومن ثمَّ في الأمة، فللأخلاق أثرٌ قويٌّ في بناء المجتمعات وتقويتها ورد العدوان عنها، فهي التي تجعل الروح المعنويّة للأفراد مُرتفعة وقادرة على مواجهة التحديات، وكلّما ارتقت الأخلاق ارتقت

الأمة والعكس صحيح، قال سبحانه: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}، وكما تتشكّل أخلاق المجتمع من مجموعة القيم التي يؤمن بها أفراده، فإنها أيضاً تتغيّر سلباً أو إيجاباً عندما تتغيّر قيم أغلبيّة أفراده، (منهجية التغيير)، والثقافة مجموعة من القيم والمعتقدات تحكم مجتمعاً ما فتتجلّى في سلوك أفراده وأخلاقهم وتُحدّد توجهاتهم، القيم الصحيحة سدٌّ منيعٌ أمام الانحراف، القيم ليست الحاجات ولا الدوافع، ولا الأفكار الإبداعيّة، إنها صمّام الأمان الذي يتحكّم بكلِّ هذه الأمور، فيسمح أو يمنع أو يُهدّد أو يُشجّع، القيم لا تُلغي الحاجات وإنما تُساعد على قضائها بشكلٍ سليم، الدين صالح إلى آخر الزمان وربنا يعلم ما كان وما سيكون، لذلك جعل المبادئ والقيم الإسلامية تتفق وتتماشى مع كلِّ مكونات خلقة الإنسان، تُلبّي وتُكرم[٨٣]

ختاماً: من خلال التتبع للتوجيهات القرآنية، والإرشادات النبوية، استخلص المهتمون بدراسة الأخلاق مجموعة من القيم التي تتعلق بأبعاد الشخصية الإنسانية، أجملوها فيما يلي[٨٤]:

- القيم الروحية: وهي التي تنظم علاقة الإنسان بربه وتحدد صلته به.
- القيم الخُلُقية: وهي التي تتصل بشعور الإنسان بالمسؤولية والالتزام.
- القيم العقلية: وهي التي تتعلق بالمعرفة وطرق الوصول إليها، ووظيفة المعرفة.
- القيم الاجتماعية: وهي التي تتصل بوجود الإنسان الاجتماعي، وتنظيم العلاقات الاجتماعية.
- القيم الوجدانية: وهي التي تتصل بالجوانب الانفعالية في حياة الإنسان، من غضب وكره وحب وغير ذلك.
- القيم المادية: وهي التي تتصل بالعناصر المادية المساعدة على الوجود الإنساني.

٨٣ - منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهيارها، وأهميّة القيم وأثرها في تغيير المجتمعات، وأهمية غرس القيم وأثرها في بناء الإنسان الصالح

٨٤ - ينظر: "غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة"، (ص١٢)

❖ القيم الجمالية: وهي التي تتصل بالتذوق الجمالي، وإدراك الاتساق في حياة الإنسان.

وهي كلها قيم تترابط وتتعاضد لبناء الشخصية الإنسانية السوية المتزنة[٨٥]

٢- ميزات وخصائص التربية الإسلامية:

التربية عملية اجتماعية، يتغير مفهومها في المجتمع تبعاً للظروف التي يمر بها من عصر إلى آخر، فالتربية هي المرآة التي تعكس فكر المجتمع وثقافته[٨٦]

ويمكن تلخيص تعريف للتربية بأنها: تنمية أفراد مجتمع معيّن وفق تصوره للحياة الكلية، وتقوم التربية بوظيفة تنظيم السلوك الإنساني، وتحويله إلى أعمال هادفة للنظام الاجتماعي الذي يعيش الأفراد في كنفه وظله، وتزودهم، حسب أعمارهم وقدراتهم ومستويات نضجهم بالمواقف التي تنمي العقلية الابتكارية التي تمكنهم من استشراف آفاق نهضوية لواقعهم الموجود، وتسهم في تطور مجتمعهم، ومن تعريفات التربية الإسلامية هو أنها: ذلك التنظيم الاجتماعى والنفسى الذى من خلاله يمكن للإنسان أن يقوم باعتناق الإسلام والعمل على تطبيقه بشكل كبير فى حياته وبين جماعته، بالإضافة إلى أنه هو العملية التى من خلالها يمكن تحقيق أهداف الإسلام[٨٧]، والدين الإسلامى هو ذلك الدين الذى اهتم بأن يقوم بتربية أبنائه بالشكل الصالح والسليم حتى يصبحوا أفرادا نافعين لأنفسهم وللمجتمع الذى يعيشون به، وكان القرآن الكريم قد أوصانا على تلك التربية الإسلامية فى العديد من الآيات القرآنية التى منها قول الله عز وجل:{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}.

كما يمكن عرض مجموعة من التعريفات التى ذكرها التربويون لمفهوم التربية الإسلامية ومنها على سبيل المثال لا الحصر[٨٨]:

- تعريف مقداد يالجن (تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل في جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإدارية والإبداعية، في جميع مراحل نموه على ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، وفي ضوء أساليب التربية التي بيّنها).

- تعريف علي مدكور (مجموعة الخبرات والمعارف والمهارات التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها بقصد تنميتهم تنمية شاملة متكاملة جسمياً عقلياً ووجدانياً، وتعديل سلوكهم في الاتجاه الذي يمكنهم من عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله وشريعته).

---

٨٥ - أهمية غرس القيم وأثرها في بناء الإنسان الصالح.
٨٦ - ينظر: " ملخص كتاب التربية الإسلامية بين الأصالة والحداثة"، (ص٢)
٨٧ - ينظر: " ملخص كتاب التربية الإسلامية بين الأصالة والحداثة"، (ص٤)
٨٨ - ينظر: " ملخص كتاب التربية الإسلامية بين الأصالة والحداثة"، (ص٥-٦)، ومنهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، د. العنزى

- تعريف محب الدين أبو صالح (مجموعة التصرفات العملية والقولية المأخوذة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أو الاجتهاد على ضوئهما، والتي يمارسها إنسان بإرادته مع إنسان آخر بهدف مساعدته في اكتمال جوانب نموه، وتفتيح استعداداته، وتحقيق الغايات التي يحددها الإسلام)

- حجازي (هي مجموعة التصرفات العملية أو القولية المستضيئة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والاجتهاد على ضوئهما؛ لتحقيق الغايات التي حددها الإسلام لنمو المسلم وسعادته في الحياة الدنيا والآخرة، أو لنمو غيره وسعادته).

- "التربية الإسلامية هى تلك المفاهيم التى يرتبط بعضها ببعض فى إطار فكرى واحد يستند إلى المبادىء والقيم التى أتى بها الإسلام والتى ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدى تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام"، ويستخلص العودة من التعريفات الحديثة تعريفاً يقول فيه (مجموعة التصرفات العملية أو القولية المستضيئة بالوحي، والتي يمارسها الإنسان لتحقيق الغايات والأهداف التي حددها الإسلام لنمو المسلم وسعادته، أو لنمو غيره سعادته)، لذا وصفت حميدة عبدالله (١٩٨٩م،ص٧٤) مفهوم التربية الإسلامية بأنه: "يتميز بوجود إطار فكرى رصين يوجه الممارسات التربوية المختلفة، بالشمولية والواقعية، وبالجمع بين الأصالة والمعاصرة، وارتباط الجانب النظرى بالعملى أو بالجمع بين الدراسات الدينية والدنيوية، كما تتسع التربية الإسلامية لتشمل طرائق وأساليب عديدة لدراستها".

فالتربية هي تلك التنمية التى تتم فى مختلف جوانب الشخصية الإسلامية والعاطفية والجسدية، بالإضافة إلى إنها العملية التى من خلالها يتم تنظيم جميع سلوكيات الإنسان بما يتناسب مع مبادئ الدين الإسلامى وتعاليمه وأغراضه المختلفة، ويكون الهدف منها هو تحقيق الأهداف الإسلامية بمختلف مجالات الحياة، بالإضافة إلى ذلك فإن التربية الإسلامية هى تلك التربية التى من خلالها يمكننا أن نقوم بتنمية الفكر الخاص بالإنسان، والعمل على تنظيم مختلف السلوكيات الإنسانية، وبالتالى فإن التربية الإسلامية هى العملية التى من خلالها تربية القيم مما يساهم فى صلاح الحياة البشرية، بالإضافة إلى أنه يساهم فى تحقيق حالة من التوازن وحالة من التكامل بين جميع الاتجاهات الداخلية للفرد، وبالتالى فإنها تتمثل فى طريقة من خلالها يتم الجمع بين الخلق والعلم والعمل والإيمان[٨٩]

- أهداف التربية الإسلامية:

إن الأهداف التربوية الإسلامية هى مجموعة من الأغراض والغايات التى تسعى إليها العملية التربوية حتى تقوم بتحقيقها والوصول إليها، وذلك سواء إن كانت غريبة أو بعيدة، وبالتالى فإن عملية تحديد الأهداف قبل الشروع بالعملية التربوية هى واحدة من الأعمال التربوية الهامة التى تساهم فى تحديد مجال الدراسة وأساليبها من أجل تحقيق تلك الأهداف، بالإضافة إلى ذلك فإن الأهداف والأهمية بشكل عام دائماً ماتكون هى المحرك والموجه للسلوك،

٨٩ - منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، د. العنزى، نقلاً عن: التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد الحاج على، (ص١٩)

فالإنسان بلا هدف هو إنسان بلا معنى، والإنسان بلا هدف لا يمكنه أن يعرف طريقه فى الحياة أو العمل أو الحماس، وبالتالى فتصبح حياته ضائعة، وهنا يجب توضيح أهمية التربية الإسلامية وأهدافها والتى تتمثل فى أربعة مستويات كما يلى٩٠:

الهدف الأول: تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل.

الهدف الثانى: ويتمثل فى الأهداف على مستوى الفرد، وذلك من أجل بناء تلك الشخصية الإسلامية التى تكون ذات مثل أعلى لله عز وجل.

الهدف الثالث: يدور هذا الهدف فى بناء المجتمع على أن يكون مجتمع إسلامي كامل مؤمن وموحد لله عز وجل.

الهدف الرابع: ويجمع مجموعة الأهداف التى تسعى إلى تحقيق مختلف المنافع الدينية والدنيوية.

ولكن يجب العلم أنه من أجل تحقيق تلك الأهداف يجب أن يكون هناك مصادر أساسية لاشتقاق الأهداف فى التربية الإسلامية والتى تتمثل فى:

١- **الوحى الإلهى:** وهو القرآن الكريم فكتاب الله عز وجل، بالإضافة إلى سنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

٢- **المجتمع المسلم:** وهو المجتمع الذى يجب أن يقوم بتحديد الاحتياجات الخاصة به والظروف والمتطلبات من حوله.

٣- **الفرد المسلم:** أيضا يجب أن يتعرف على طبيعته وميوله ورغباته حتى يتم وضع الأهداف بما يناسب احتياجاته.

بالإضافة إلى ذلك فيمكن أن يتم تقسيم أهداف التربية الإسلامية من خلال المصادر التى يتم اشتقاقها منها إلى مستويين ونوعين وهما الهدف العام للتربية الإسلامية والأهداف الفرعية فى التربية الإسلامية[٩١]

أولاً: الهدف العام للتربية الإسلامية:

ويطلق على هذا الهدف أنه الهدف العام حيث يجب أن يتم من خلاله تحقيق معنى العبودية لله وحده لا شريك له، وذلك حتى يتم تطبيق الآية القرآنية فى قول الله عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، وبالتالي فإن الهدف الأساسي لوجود الإنسان فى الكون بشكل عام هو أن يتم عبادة الله والخضوع لأوامره والبعد عن نواهيه، بالإضافة إلى ذلك فيجب العلم أن العبودية لله وحده لا شريك له لا تتوقف فقط على كونها أداء للشعائر الدينية أو أنها أداء للمناسك مثل الحج والصلاة والزكاة، بينما تتمثل العبادة فى مجموعة كبيرة من الأقوال والأفعال ومنها الأعمال الظاهرة والباطنة، وبالتالى فيقوم الإنسان بتحقيق معنى العبودية من خلال الخضوع لأوامر الله عز وجل والبعد عن النواهى التى نهانا عنها، فالمسلم دائما يطبق ما أمر به الله عز وجل، كما أنه يتخذ تلك الأوامر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[٩٢]

---

٩٠ - ينظر:" الخلاصة فى أصول التربية الإسلامية، (ص١٦)، و "منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م"

٩١ - ينظر:" الخلاصة فى أصول التربية الإسلامية، (ص١٧)، و "منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م"

٩٢ - ينظر:" التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية"،(ص٩)، و "منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م"

ثانيا: الأهداف الفرعية للتربية الإسلامية:

كما سبق ذكره أن الهدف العام فى التربية الإسلامية هو أن يتم تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، ولكن الأهداف الفرعية تتمحور فى العديد من الأهداف الأخرى والتي منها[٩٣]:

- التنشئة الإسلامية والعقدية الصحيحة لجميع المسلمين، وذلك من خلال إعدادا لمسلم الصالح الذى يقوم بعبادة الله وحده لا شريك له.
- أن يكون الإنسان فى المجتمع الإسلامى على قدر كبير من التمسك بالأخلاق الحميدة، والتى تتمثل فى الأمانة والإخلاص والصدق، ويكون فى هذا الأمر مقتدياً برسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام والصحابة من بعده، كما يكون هذا الأمر من خلال تهيئة الإنسان المسلم لأن يقوم بمهمة الدعوة لله وحده لا شريك له والعمل على تنمية الشعور الجماعى الخاص بالأفراد فى المجتمع الإسلامى، وذلك من أجل تنمية وترسيخ مبادئ الانتماء للمجتمع، وذلك حتى يتم الارتباط بين أفراد المجتمع، فيكون هذا الأمر من خلال التكاتف والتعاون كما أمرنا الله عز وجل.
- العمل على تكوين الفرد على أن يكون متزنا نفسيا وعاطفيا، ويكون هذا الأمر من خلال التوجيه الجيد والحوار العاقل مع الأطفال حتى يتم حل جميع المشاكل النفسية الخاصة بهم، وهذا الهدف مرتبط بوضوح فى إيجاد التوازن النفسى الدينى لدى الفرد المسلم.
- الاهتمام بمواهب الأطفال الصغيرة والعمل على تنميتها، فهذا الأمر يساهم فى تكوين الأفراد المبدعين والتمتع بمختلف الملكات والمواهب التى ربما تكون السبب فى يوما ما فى تقدم المجتمعات وحل المشاكل المختلفة فى المجتمع.
- الاهتمام بتكوين الأفراد الأصحاء عقديا وجسديا ونفسيا وفكريا، فهذا الأمر يساهم فى أن يقوم الإنسان بدوره فى الحياة وهو عمارة الأرض واستثمار ما حوله، فى منطقية وسطية وفق التشريع الإسلامى[٩٤]

يمكن إيجاز نظرة التربية الإسلامية نحو الإنسان والحياة والكون على النحو التالي:

١- الإنسان: مخلوق مكرم خلق من أجل عباده الله وهو يتحمل كامل مسؤولية أعماله.

٢- الكون: مخلوق لله خاضع لله وحده وهو مسخر للإنسان وخدمته.

٣- الحياة: هي دار اختبار يعيش فيها الإنسان حياة مؤقتة.

ومما سبق يتضح لنا إن أهداف التربية الإسلامية في الإسلام، ليس ابتغاء الدار الآخرة فقط ولكنه يشمل أيضاً أخذ الإنسان بنصيبه من الدنيا [٩٥]

---

٩٣ - ينظر:" أهداف التربية الإسلامية"،(ص١٦) ، و" أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع "، (ص ٩٠)

٩٤ - منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، د. العنزى

٩٥ - ينظر: "التربية في المنظور الإسلامي"، (٢-٣)

- سمات وخصائص التربية الإسلامية:

تستمد التربية الإسلامية سماتها وميزاتها من الإسلام نفسه، الذي يوجه مسيرتها، ويقود خطواتها ومراحلها، فهي تقوم عليه وتستند إليه[٩٦]

١- التربية الإيمانية:

إن الغرض من التربية الإيمانية عقد الصلة بين الإنسان وخالقه مما يجعل لحياة الإنسان معنى في هذه الدنيا، فتسمو أخلاقه وتتنامى دوافعه مما يؤهله لخلافه الله في الأرض، وإيمان الفرد يزيد بكثرة الطاعات لله، وينقص بارتكاب الفرد المعاصي والآثام.

٢- التربية العلمية:

اهتم الإسلام بالجانب العلمي، وتنمية العقل وشجع عليه، فالعلم نور والعلم عبادة، فعلى كل فرد أن ينمي ويغذي عقله بالعلم النافع الذي يفيده ويفيد مجتمعه.

٣- التربية العملية:

إن ثمرة الإيمان العمل، لذلك يُذكر العمل في كثير من آيات القرآن الكريم والتأكيد على أهميته؛ فالعمل ليس فقط مقتصر في هذه الحياة، وإنما على الإنسان أن يوازي بين أعماله الدنيا وأعمال الآخرة وألا يغفل عنها، تميزت التربية الإسلامية بتركيزها على الجانب العملي في التربية، واعتمدت التربية على التلقين والمحاكاة في مجتمع ناشئ على تعاليم الإسلام المعتمدة على أصلين هما: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وتمثلت أصولها في مفاهيم عامة، تمكن المسلمين من مسايرة التطور الإنساني مع اختلاف الزمان والمكان، وتتكيّف مع المطالب البشرية المستحدثة من خلال الاجتهاد، وركزت التربية الإسلامية على توجيه المسلمين إلى تطبيق ما تعلموه بالواقع العملي، وأصبحت التربية الإسلامية تعني العمل على أن ينسجم المسلم مع قوانين الفطرة، وأن تتناسق حياته مع نواميس العالم الذي يعيش فيه، والكون الذي يحيط به، وأن تهيئ له الأسباب وتوفر له المعطيات التي تساعده على أداء وظيفته في خلافة الأرض، واستحقاق الجزاء الحسن عند الله، وأن تعمل التربية على تحقيق التوازن بين حاجات الإنسان الروحية والمادية والاجتماعية.

تؤكد التربية الإسلامية على الجانب العملي في حياة الفرد والمجتمع، ولا تكتفي بالنظريات فقط، بل لابد من التوازن بين النواحي النظرية والعملية قال تعالى :{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}، وقد حث الإسلام على العمل وشجع عليه وبين أن الإيمان مرتبط ارتباطا وثيقا بالعمل، وبين أن الإنسان يجزى بما عمل قال تعالى :{ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) }، وقال تعالى :{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ

---

٩٦ - ينظر: " تدريس التربية الإسلامية للمبتدئين"،(ص ٣٠)

أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، وقد حث رسول الله على العمل وأثنى على العمال ونهى عن الكسل وحذر منه وحرّم التسول.

٤- التربية الاجتماعية:

إن التربية الإسلامية تسعى إلى تنمية القيم الاجتماعية في الفرد المسلم حتى يصبح مقبولًا ومندمجًا في المجتمع المسلم، وأن يتحلى بالصفات الحميدة والتعاون والتكافل والإيثار والعدالة.

٥- التربية الخلقية:

تستهدف التربية الخلقية إلى بناء إنسان على خلق قويم، وقيام مجتمع تسوده مجموعة من القيم الحميدة والمثل العليا والقيم، والأخلاق الإسلامية تتميز بأنها واقعية بمقدور الإنسان أن يتخلق بها وأن يلتزمها٩٧

وتتضمن خصائص التربية الإسلامية ما يلي٩٨:

- الربانية: فمن الخصائص المميزة للتربية الإسلامية صفة الربانية في الغاية والوجهة وربانية المصدر والمنهج، فمن حيث إنها ربانية الغاية والوجهة، فنجد أن الإسلام يجعل غايته السامية هو حسن الصلة بالله تعالى، والحصول على مرضاته، ومن حيث ربانية المصدر والمنهج فنجد أن هذا المنهج منهج رباني خالص، لأن مصدره وحي الله تعالى، (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ومع أنه منهج رباني حث العقل البشري على الاجتهاد والإضافة فيما يتجدد في حياة الناس.
- التكامل: حيث إن منهج التربية الإسلامية بمفهومه وخصائصه، وأسس بنائه، وعناصره يكون كلا متكاملاً كل جزء فيه يتأثر ببقية الأجزاء ويؤثر فيها، فهو نظام حياة الإنسان السوي الذي يسير على نظام الفطرة السوية.
- التوازن: حيث تحرص التربية الإسلامية على تحقيق التوازن، في تربية الفرد، بين الجسم والروح، فتتعامل التربية الإسلامية مع الواقع وليس مع التطورات العقلية أو المثاليات التي لا مقابل لها في عالم الواقع، سواء في العقيدة، أو في الكون، أو مع الإنسان، وتحدد العلاقة بها وقعياً، ويمكن وصفها بالوسطية في كل أمورها، لا إفراط ولا تفريط، فهي توازن بين الروحية والمادية والفردية والمجتمع.
- الإيجابية: حيث تتميز التربية الإسلامية بأنه تربية إيجابية، حيث تنظر إلى الأشياء والأشخاص والأحداث نظرة فاعلة مؤثرة، وموظفة، كل الإمكانات والأسباب والدواعي التي يمكن الاستفادة منها للارتقاء نحو الأفضل، ويقصد بالإيجابية في التربية الإسلامية تحول الإنسان المسلم إلى طاقة إيجابية عاملة في واقع الحياة، وهي الإيجابية السوية التي لا تتنكب الطريق، فالإنسان قوة فاعلة مريدة

---

٩٧ - ينظر: "تدريس التربية الإسلامية للمبتدئين"،(ص ٣٠)

٩٨ - ينظر: "تدريس التربية الإسلامية"، (ص٥٩)، و" التربية الإسلامية"، رسلان، (ص٣١-٣١)، و" التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية"،(ص٥٩)

وقوة موجبة في الحياة، وتتضح المظاهر الإيجابية في التربية الإسلامية في النظر إلى الإله الرب الخالق المدبر المعبود، والنظرة الإيجابية للكون والحياة.

- التربية الإسلامية تقوم على الإيمان بالله عز وجل:

فهي تدعو الإنسان أول ما تدعوه إلى اليقين بوجود الله عز وجل وقدرته، قال تعالى :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، ولا ينحصر همها في تنمية الإيمان عن طريق الغيبيات والظواهر الروحية والعبادات فقط، بل تدعو إلى النظر في هذا الكون ومطالعة ما فيه من ظواهر كونية وعلوم مختلفة، يعيش المسلم في ظل التربية الإسلامية حياة ملؤها السعادة والاطمئنان، فهو يشعر بالراحة النفسية والاجتماعية، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن كل شيء في هذا الكون يحصل بقدر الله عز وجل .

من هنا تتجلى أهمية التربية الإسلامية وقيمتها، ولا شك أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان والتربية الإسلامية جزء منها مناسبة لكل زمان ومكان، وبالتالي فهي مستمرة ومتتابعة لا تتوقف أبدا، والإنسان محتاج إليها في كل مراحل حياته، والتربية الإسلامية أصيلة بأصالة الإسلام، محافظة تقوم على مبادئ سامية وقيم عريقة وثابتة، ولكنها في نفس الوقت ليست جامدة، بل متجددة متطورة في ظل مبادئ الشرع الحنيف، فالإنسان في التربية الإسلامية يستحق الاحترام بصفته الإنسانية على عكس ما يحصل في غير التربية الإسلامية[٩٩]

■ **ولعل أهم خصائص التربية الإسلامية:**

١- أنها مرتبطة بنصوص القرآن والسنة، والاجتهاد في ضوئهما.

٢- طرفاها من البشر، قد يكونان كبيرين، أو كبير وصغير، وهذا الأغلب.

٣- أنها مقصودة ومرتبة، ولا يمنع أن تحدث عبر مواقف غير مقصودة.

٤- أنها شاملة تتناول جميع جوانب النمو في الفرد العقلي والجسمي والنفسي والاجتماعي والصحي والروحي والخلقي وجميع قدراته وطاقاته.

٥- أنها مستمرة مع الإنسان في جميع مراحل نموه، منذ تكوينه حتى وفاته.

٦- أنها هادفة لتمكين الإنسان من القيام بالأنشطة والممارسات المحققة لغايات الإسلام وأهدافه في بناء الفرد والمجتمع والحضارة[١٠٠]

الأهداف الخاصة للتربية الإسلامية:

١. أن تكون انعكاساً للتصور الإسلامي للتربية ولأهداف المجتمع.

---

٩٩ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص١٦-٢٤)

١٠٠ - ينظر: "التربية في المنظور الإسلامي"، (ص٤-٥)، والخصائص الرئيسة للتربية الإسلامية، الجماز

٢. أن تكون مراعيةً ظروف المجتمع البيئية والاقتصادية.

٣. أن تكون مواكبة لتطور العصر الذي يعيشه المسلم.

٤. أن تراعي مراحل نمو الإنسان ومتطلباته وقدراته في كل مرحلة من هذه المراحل وظروفه الخاصة.

٥. أن تراعي تطبيق تعاليم الدين الحنيف في كل مجالات الحياة.

ختاماً:

هدف التربية الإسلامية هو: إعداد الإنسان للعبادة فالهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو بناء الإنسان العابد الذي يفي بشرط الخلافة في الأرض وشرط الاستخلاف هو العمل بمقتضى التكريم الإله، فينشط في عمارة الأرض ويستغل الطاقات الممنوحة له ولكن على المستوى الرفيع وفي حدود التقوى والاستمداد من منهج الل، والوصول إلى الكمال الإنساني الذي رسمه الله اجتهادا واختيارا واعياً مستخدماً في ذلك الملكات التي وهبها الله له.

٣- الدعاء بالعافية أفضل الدعاء:

إن من أعظم المطالب، وأرفع المراتب التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها سؤال الله العافية[١٠١]، بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أفضل ما سأله العباد أن يعافيهم اللَّه، لأن العمدة الكبرى والمنحة العظمى في نيل السعادة الدنيوية والأخروية هي العافية[١٠٢]، فإن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، نعمة العافية[١٠٣]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه صباحًا ومساءً هذه العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك[١٠٤]عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِيْنَ يُمْسِي وَحِيْنَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِيْنِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ... » الحديث

يقول ابن القيم في: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص٢٧٠): «اللَّه سبحانه يُحِبّ أن يُسألَ العافية، وما سُئل شيئًا أحبَّ إليه من العافية، وقال في دعائه يوم الطائف: "إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك

١٠١ -ينظر: «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» (٣/ ٦٤٢)
١٠٢ - ينظر: «عناية الإسلام بصحة الإنسان» (ص٣١)
١٠٣ -ينظر: «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» (٣/ ٦٤١)
١٠٤ - ينظر: «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» (٣/ ٦٠٦)

أوسعُ لي"[١٠٥]، فلاذ بعافيته كما استعاذ بها في قوله: "أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك"[١٠٦]، وفي حديث آخر: "سلوا اللَّه العفو والعافية والمعافاة"، وهذا السؤال متضمن للعفو عما مضى، والعافية في الحال، والمعافاة في المستقبل بدوام العافية واستمرارها». انتهى

ومعنى العافية[١٠٧]

العافية هي السلامة من كل شر وإذا وفقك الله لها وعافاك من كل شر من شر الأبدان والقلوب والأهواء وغيرها فأنت في خير، قَالَ اللَّيْث: الْعَفو عَفْو الله عَن خَلْقه. وَالله العَفُوّ الغفور، قَالَ: وكل من اسْتحق عُقُوبَة فتركتها فقد عفوتَ عَنهُ، وَقَالَ أَبُو بكر بن الْأَنْبَارِي: الأَصْل فِي قَوْله الله: {عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ}، محا الله عَنْك مَأْخُوذ من قَوْلهم: عفت الرِّيَاح الْآثَار إِذا درستها ومحتها، فأَمَّا الْعَفو فَهُوَ مَا وَصفنَا من مَحْو الله ذنُوب عبدِه عَنهُ، وأَمَّا الْعَافِيَة فَأن يعافيه الله من سقم أَو بليّة، يُقَال: عافاه الله، وأعفاه أَي وهب لَهُ الْعَافِيَة من العِلَل والبلايا، وأَمَّا المعافاة فَأن يعافيك الله من النَّاس ويعافيهم مِنْك، وَقَالَ اللَّيْث: الْعَافِيَة: دفاع الله عَن العَبْد يُقَال: عافاه الله من الْمَكْرُوه يعافيه معافاة وعافية، وَقَالَ غَيره: يُقَال: عافاه الله عَافِيَة؟ .

جاء في: «الحرز الثمين للحصن الحصين» (١/ ٤٥٠):

«وفي "القاموس"[١٠٨]: "العافية: دفاع الله عن العبد، عافاه الله عن المكروه معافاةً وعافية: وهب له العافية من العلل والبلاء، كأعفاه الله من المكروه معافاة وعافية"، فما ذكره الحنفي نقلًا عن "النهاية"[١٠٩] هنا أن المعافاة هي أن يعافيك الله من الناس، ويعافيهم منك، أي: يغنيك عنهم، ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم، وقيل:

---

١٠٥ - رواه ابن إسحاق ـ كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٤١٩ - ٤٢٢)

١٠٦ - أخرجه مسلم في " صحيحه"،(٤٨٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: "اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ".

١٠٧ - ينظر: «لسان العرب» (١٥/ ٧٣)، و«تهذيب اللغة» (٣/ ١٤١)

١٠٨ - ينظر: " القاموس"، (ص ١٣١٣).

١٠٩ - ينظر: "النهاية" (٣/ ٢٦٦)

"هي مفاعلة من العفو، وهو أن يعفو عن الناس ويعفوا عنه"، فكلام مقبول، لكنه ليس في هذا المحل بمعقول». انتهى

«فـ (العفو): محو الذنوب.

و (العافية): السلامة من الأسقام والبلايا، وهي الصحة وضدها المرض.

و (المعافاة): أن يعافيك الله من الناس، ويعافيهم منك، أي: يغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم، وقال الشيخ محب الدين الطبري: يستحب تكرار هذا الذكر ثلاثاً»[١١٠]

العافية لفظة جامعة لخير الدارين من الصحة في الدنيا، والسلامة فيها، وفي الآخرة، وقيل: العافية السلامة من البلاء في أمر الدين سواء أكان معه صحة البدن أم لا، وقيل: هي السلامة من جميع الآفات الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة، ومن معاني العافية: دفاع الله عن العبد، وهذا يشمل كل نوع من أنواع البلايا والمحن فكل ما دفعه الله عن العبد منها فهو عافية، وهي العمدة في صلاح أمور الدنيا والسلامة من شرورها ومحنها، قال الزمخشري: العفو أن يعفو عن الذنوب والعافية أن يسلم من الأسقام والبلايا والمعافاة أن يعفو الرجل عن الناس ويعفوا عنه فلا يكون يوم القيامة قصاص وهي مفاعلة من العفو وقيل هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك. إلى هنا كلامه، وقال الحكيم: العفو والعافية مشتق أحدهما من الآخر إلا أنه غلب عليه في اللغة استعمال العفو في نوائب الآخرة والعافية في نوائب الدنيا وذكرهما في الحديث في الدارين إيذانا بأنهما يرجعان إلى شيء واحد فيقال في محل العقوبة عفا عنه وفي محل الابتلاء عافاه ثم المطلوب عافية لا يصحبها أشر ولا بطر واغترار بدوامها[١١١]

---

١١٠ - ينظر: «النجم الوهاج في شرح المنهاج» (١/ ٢٩٨)

١١١ - ينظر: «فيض القدير» (٢/ ٣٢)، و«إفراد أحاديث اسماء الله وصفاته» (٣/ ١٨٥)، و "تحفة الذاكرين"، (ص٤١٤- ٤١٥)

فالعافية في الدنيا هي دفع اللَّه عن العبد جميع الأسقام والبلايا وجميع ما يكرهه ويشينه، والعافية في الآخرة هي دفع اللَّه عنه جميع أهوال الآخرة وأفزاعها، ولا يخرج مطلوب العبد من هذين القسمين[١١٢]

يقول الشوكاني في «تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين» (ص٤٢١) :

« استعاذ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم من زَوَال نعْمَته لِأَن ذَلِك لَا يكون إِلَّا عِنْد عدم شكرها والمضي على مَا تستحقه وتقتضيه كالبخل بِمَا تَقْتَضِيه النعم على صَاحبهَا من تأدية مَا يجب عَلَيْهِ من الشُّكْر والمواساة وَإِخْرَاج مَا يجب إِخْرَاجه واستعاذ أَيْضا صلى الله عليه وسلم من تحول عافيته سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ إِذا كَانَ قد اختصه الله سُبْحَانَهُ بعافيته فقد ظفر بِخَير الدَّارين فَإِن تحولت عَنهُ فقد أُصِيب بشر الدَّارين فَإِن الْعَافِيَة يكون بهَا صَلَاح أُمُور الدُّنْيَا وَالْآخِرَة واستعاذ صلى الله عليه وسلم من فَجْأَة نقمة الله سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ إِذا انتقم من الْعَبْد فقد أحل بِهِ من الْبلَاء مَا لَا يقدر على دَفعه وَلَا يستدفع بِسَائِر المخلوقين وَإِن اجْتَمعُوا جَمِيعًا كَمَا فِي الحَدِيث الصَّحِيح الْقُدسِي أَن الْعباد لَو اجْتَمعُوا جَمِيعًا على أَن ينفعوا أحدا لم يقدروا على نَفعه أَو اجْتَمعُوا جَمِيعًا على أَن يضروا أحدا لم يقدروا على ضره». انتهى

ويقول الشوكاني في «تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين» (ص٤٥٩-٤٦٥) :

«(قَوْله الْعَفو) هُوَ التجاوز عَن الْعَبْد بغفران ذنُوبه وَعدم مؤاخذته بِمَا اقترفه مِنْهَا (قَوْله والعافية) قَالَ فِي الصِّحَاح وَعَافَاهُ الله وأعفاه بِمَعْنى وَاحِد وَالِاسْم الْعَافِيَة وَهِي دفاع الله سبحانه وتعالى عَن الْعَبْد وتوضع مَوضِع الْمصدر فَيُقَال عافاه عَافِيَة فَقَوله دفاع الله عَن الْعَبْد يُفِيد أَن الْعَافِيَة جَمِيع مَا يَدْفَعهُ الله عَن الْعَبْد من البلايا كائنة مَا كَانَت وَقَالَ فِي النِّهَايَة والعافية أَن يسلم من الأسقام والبلايا وَهَذَا يُفِيد الْعُمُوم كَمَا أَفَادَهُ كَلَام صَاحب الصِّحَاح .... وَهَكَذَا كَلَام سائر أَئِمَّة اللُّغَة وَبِهَذَا تعرف أَن الْعَافِيَة هِيَ دفاع الله عَن الْعَبْد وَهَذَا الدفاع الْمُضَاف إِلَى الِاسْم الشريف يَشْمَل كل نوع من أَنْوَاع البلايا والمحن فَكل مَا دَفعه الله عَن الْعَبْد مِنْهَا فَهُوَ عَافِيَة وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي هَذَا الحَدِيث فَإِن أحدا لم يُعْط بعد الْيَقِين خيرا من الْعَافِيَة سَأَلَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى أَن يرزقه الْعَفو الَّذِي هُوَ الْعُمْدَة فِي الْفَوْز بدار الْمعَاد ثمَّ سَأَلَهُ أَن يرزقه الْعَافِيَة الَّتِي هِيَ الْعُمْدَة فِي صَلَاح أُمُور الدُّنْيَا والسلامة من شرورها ومحنها فَكَانَ هَذَا الدُّعَاء من الْكَلم الْجَوَامِع والفوائد النوافع فعلى العَبْد أَن **يستكثر** من الدُّعَاء **بالعافية**

١١٢١١٢ - ينظر: «عناية الإسلام بصحة الإنسان» (ص ٣٠)

وَقد أغْنى عَن التَّطْوِيل فِي ذكر فوائدها ومنافعها مَا ذكره رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فِي هَذَا الحَدِيث فَإِنَّهَا إِذا كَانَت بِحَيْثُ أَنه لم يُعْط أحد بعد الْيَقِين خيرا مِنْهَا فقد فاقت كل الْخِصَال وَارْتَفَعت درجتها على كل خير وَسَيَأْتِي فِي حَدِيث الْعَبَّاس رضي الله عنه مَا يدل على أَن الْعَافِيَة تَشْمَل أُمُور الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَهُوَ الظَّاهِر من كَلَام أهل اللُّغَة لِأَن قَوْلهم دفاع الله عَن العَبْد غير مُقَيّد بدفاعه عَنهُ لأمور الدُّنْيَا فَقَط بل يعم كل دفاع يتَعَلَّق بالدنيا وَالْآخِرَة وَقَالَ فِي النِّهَايَة والمعافاة أَن يعافيك الله من النَّاس ويعافيهم مِنْك أَن يُغْنِيك عَنْهُم ويغنيهم عَنْك وَيصرف أذاهم عَنْك وأذاك عَنْهُم وَقيل هِيَ مفاعلة من الْعَفو وَهِي أَن يعْفُو عَن النَّاس ويعفوا هم عَنْك، وَقَالَ فِي الْقَامُوس والمعافاة أَن يعافيك الله من النَّاس ويعافيهم مِنْك، أخبر صلى الله عليه وسلم بِهَذَا القَوْل الْعَام وَالْكَلَام الشَّامِل بِأَنَّهُ مَا سَأَلَ الْعباد رَبهم من الْمسَائِل الْمُتَعَلّقَة بِأُمُور الدُّنْيَا وَالْآخِرَة أفضل من أَن يسألوه أَن يغْفر لَهُم ويعافيهم لما قدمنَا من أَن الْعُمْدَة الْكُبْرَى فِي نيل السَّعَادَة الأخروية هِيَ مغْفرَة الذُّنُوب وعفو الله عَنْهَا والعمدة الْعُظْمَى فِي نيل السَّعَادَة الدُّنْيَوِيَّة هِيَ الْعَافِيَة وَهَذِه الْكَلِمَة كَمَا ترى فِيهَا مَا يبْعَث رغبات الراغبين إِلَى إِمَامَة الطّلب من رب الْعَالمين أَن يغْفر ويعافي فَمن رزق الاستكثار من هَذَا السُّؤَال وحظي بتكرير هَذَا الدُّعَاء فقد لَاحَ لَهُ عنوان السَّعَادَة وَفتح لَهُ بَاب الْفَوْز وَأخذ بطرفي النجَاة، وَمر رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بِقوم مبتلين فَقَالَ أما كَانَ هَؤُلَاءِ يسْأَلُون الله الْعَافِيَة، وَفِي الحَدِيث دَلِيل على أَن سُؤال الله سبحانه وتعالى الْعَافِيَة يدْفع كل بلية وَيرْفَع كل محنة وَلِهَذَا جَاءَ صلى الله عليه وسلم بِهَذَا الِاسْتِفْهَام بِمَعْنى الاستنكار فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُم كَيفَ تتركون أَنفسكُم فِي هَذِه المحنة والابتلاء وَأَنْتُم تَجِدُونَ الدَّوَاء الحاسم لَهَا والمرهم الشافي لما أَصَابَكُم مِنْهَا وَهُوَ الدُّعَاء بالعافية واستدفاع هَذِه المحنة النَّازِلَة بكم بِهَذِهِ الدعْوَة الكافية وَفِي هَذَا مَا يزِيد النُّفُوس نشاطا والقلوب بَصِيرَة بِاسْتِعْمَال هَذَا الدَّوَاء عِنْد عرُوض كل دَاء ومساس كل محنة ونزول كل بلية، وَفِي أمره صلى الله عليه وسلم للْعَبَّاس بِالدُّعَاءِ بالعافية بعد تَكْرِير الْعَبَّاس سُؤَاله بِأَنَّهُ يُعلمهُ شَيْئا يسْأَل الله بِهِ دَلِيل جلي بِأَن الدُّعَاء بالعافية لَا يُسَاوِيه شَيْء من الْأَدْعِيَة وَلَا يقوم مقَامه شَيْء من الْكَلَام الَّذِي يَدعِي بِهِ ذُو الْجلَال وَالْإِكْرَام وَقد تقدم تَحْقِيق معنى الْعَافِيَة أَنَّهَا دفاع الله عَن العَبْد فالداعي بهَا قد سَأَلَ ربه دفاعه عَنهُ كل مَا ينوبه وَقد كَانَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عَمه الْعَبَّاس منزلَة أَبِيه وَيرى لَهُ من الْحق مَا يرَاهُ الْوَلَد لوالده فَفِي تَخْصِيصه بِهَذَا الدُّعَاء وقصره على مُجَرّد الدُّعَاء بالعافية تَحْرِيك لهمم الراغبين على ملازمته وَأَن يَجْعَلُوهُ من أعظم مَا يتوسلون بِهِ

إِلَى رَبهم سبحانه وتعالى ويستدفعون بِهِ فِي كل مَا يهمهم ثمَّ كَلمه صلى الله عليه وسلم بقوله سل الله الْعَافِيَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَكَانَ هَذَا الدُّعَاء من هَذِه الحيثية قد صَار عدَّة لدفع كل ضرّ ولجلب كل خير اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلك الْعَافِيَة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة يَا أرْحم الرَّاحِمِينَ آمين، وَكَانَ يَقُول لَهُ يَا عَم أَكثر الدُّعَاء بالعافية، فَلْينْظر **الْعَاقِل** مِقْدَار هَذِه الْكَلِمَة الَّتِي أختارها رَسُول الله صلى الله عليه وسلم لِعَمِّهِ من دون الْكَلم وليؤمن بِأَنَّهُ صلى الله عليه وسلم أعطي جَوَامِع الْكَلم واختصرت لَهُ الحكم فَإِن من أعطي الْعَافِيَة فَازَ بِمَا يرجوه وَيُحِبهُ قلبا وقالبا ودينا وَدُنْيا وَوُقِيَ مَا يخافه فِي الدَّارَيْنِ علما يَقِينا فَلَقَد تَوَاتر عَنهُ صلى الله عليه وسلم دعاؤه بالعافية وَورد عَنهُ صلى الله عليه وسلم لفظا وَمعنى من نَحْو خمسين طَرِيقا هَذَا وَقد غفر لَهُ مَا تقدم من ذَنبه وَمَا تَأَخّر وَهُوَ الْمَعْصُوم على الْإِطْلَاق حَقِيقَة فَكيف بِنَا وَنحن عرض لسهام الْقدر وغرض بَين النَّفس والشيطان والهوى.... فَفِي هَذَا الحَدِيث التَّصْرِيح بِأَن الدُّعَاء بالعافية أفضل الدُّعَاء وَلَا سِيمَا بعد تكريره للسَّائِل فِي ثَلَاثَة أَيَّام حِين أَن يَأْتِيهِ للسؤال عَن افضل الدُّعَاء فَأفَاد هَذَا أَن الدُّعَاء بالعافية أفضل من غَيره من الْأَدْعِيَة مَعَ مَا قدمْنَاهُ من اشتماله على جلب كل نفع وَدفع كل ضرّ ثمَّ فِي قَوْله صلى الله عليه وسلم فِي آخر هَذَا الحَدِيث، فَإِذا أَعْطَيْت الْعَافِيَة فِي الدُّنْيَا وأعطيتها فِي الْآخِرَة فقد أفلحت دَلِيل ظَاهر وَاضح بِأَن الدُّعَاء بالعافية يَشْمَل أُمُور الدُّنْيَا وَالْآخِرَة لِأَنَّهُ قَالَ هَذِه الْمقَالة بعد أَن قَالَ لَهُ سل رَبك الْعَافِيَة ثَلَاث مَرَّات فَكَانَ ذَلِك كالبيان لعُمُوم بركَة هَذِه الدعْوَة بالعافية لمصَالح الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ثمَّ رتب على ذَلِك الْفَلَاح الَّذِي هُوَ الْمَقْصد الْأَسْنَى وَالْمَطْلُوب الْأَكْبَر.....فَهَذَا الحَدِيث قد دلّ على أَن الدُّعَاء بالعافية أحب إِلَى الله سبحانه وتعالى من كل دُعَاء كَائِنا مَا كَانَ كَمَا يفِيدهُ هَذَا الْعُمُوم وتدل عَلَيْهِ هَذِه الْكُلية فَجمع هَذَا الدُّعَاء بِهَذِهِ الْكَلِمَة بَين ثَلَاث مزايا **أَولهَا** شُمُوله لخيري الدُّنْيَا وَالْآخِرَة

وَثَانِيهَا أَنه أفضل الدُّعَاء على الْإِطْلَاق

وَثَالِثهَا أَنه أحب إِلَى الله سُبْحَانَهُ من كل دُعَاء يَدْعُو بِهِ العَبْد على الْإِطْلَاق كَائِنا مَا كَانَ، وَفِيه دَلِيل على شُمُول هَذِه الدعْوَة بِهَذِهِ الْكَلِمَة لخيري الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَبِالْجُمْلَةِ فالأحاديث فِي هَذَا الْمَعْنى كَثِيرَة جدا..... وَبِه تعرف أَن ثُبُوت الدُّعَاء عَن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بالعافية قولاً مِنْهُ وتعليماً للْغَيْر مَقْطُوع بِهِ مَعْلُوم صدقه وَصِحَّة مَا اشْتَمَل عَلَيْهِ من الْفَوَائِد الشاملة للدارين وَمِنْهَا حسن الخاتمة الْمشَار إِلَيْهَا فِي علم البديع من أَئِمَّة ذَلِك.....» انتهى بتصرف

أخرج الترمذي في "جامعه"، (٢٣٤٦)، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا".

قوله: «أَصْبَحَ» أي: أصبح في ذلك اليوم، وفيه إشارة إلى أن المؤمن عليه ألا يحمل هم المستقبل، فإن أمره بيد الله، وهو الذي يدبر الأمور، ويقدر الأقدار، وعليه أن يحسن الظن بربه، ويتفاءل بالخير، قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، قيل: المعنى: في أهله وعياله، وقيل: في مسكنه وطريقه، وقيل: في بيته، فهو آمن أن يقتله أحد، أو يسرق بيته، أو ينتهك عرضه، قوله: «مُعَافًى فِي بَدَنِهِ»، أي: صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام، أخرج النسائي في " سننه"،(٥٤٩٣)، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَالْبَرَصِ، وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ"، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه صباحًا ومساءً هذه العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك[١١٣]،وأهم مَا يسأل العبد ربه سؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، العبد يسأل ربه كل شَيْءٍ يحتاجه في أمر دينه ودنياه؛ لأن الخزائن كلها بيده سبحانه وتعالى، قَالَ سبحانه: {و إن من شَيْءٍ إلا عندنا خزائنه وَمَا ننزله إلا بقدر معلوم}، وهُوَ سبحانه لَا مانع لما أعطى ولَا معطي لما منع، كَمَا في " صحيح البخاري"،(٧٢٩٢)، عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ المُغِيرَةِ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى المُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» وَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّهُ «كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ».

العفوُّ من أسماء الله تعالى، وهو يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " أعوذ برضاك من سَخَطِك وبمعافاتك من عقوبتك"، ويشرع للمسلم أن يكثر من سؤال الله العفو، وينبغي للإنسان سؤال الله العفو، لأن الإنسان لا يخلو من تقصير في المأمورات؛ فيسأل الله العفو عن تقصيره؛ لقوله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ

---

[١١٣] - ينظر: «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» (٣/ ٦٠٥)

ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦ }.

وفي «مسند ابن الجعد» (١٨٦٦)، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، نَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: «مَا لَا أُحْصِي اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمِ اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْهَا إِلَى خَيْرٍ، وَارْزُقْنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وفي «الشكر»، لابن أبي الدنيا، (١٥٧)، عَنْ مِسْعَرٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الْأَعْلَى التَّيْمِيُّ يَقُولُ: " أَكْثِرُوا سُؤَالَ الْعَافِيَةِ، فَإِنَّ الْمُبْتَلَى وَإِنِ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ، وَمَا الْمُبْتَلَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْعَافِيَةِ بِالْأَمْسِ، وَمَا الْمُبْتَلَوْنَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْعَافِيَةِ الْيَوْمَ، وَلَوْ كَانَ بَلَاءٌ يَجُرُّهُ إِلَى خَيْرٍ مَا كُنَّا مِنْ رِجَالِ الْبَلَاءِ، إِنَّهُ رُبَّ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا قَدْ أَجْهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَأَجْزَى فِي الْآخِرَةِ، فَمَا يَأْمَنُ مَنْ أَطَالَ الْمُقَامَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ لَهُ فِي بَقِيَّةِ عُمْرِهِ مِنَ الْبَلَاءِ مَا يَحْذَرُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَفْضَحُهُ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِنْ نَعُدَّ نِعَمَهُ لَا نُحْصِيهَا، وَإِنْ نَذْأَبْ لَهُ عَمَلًا لَا نُجْرِيهَا، وَإِنْ نُعَمَّرْ فِيهَا لَا نَبْلَى "، وفي "الدعوات" للبيهقي، (٢٨٧)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِرَجُلٍ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ، قَالَ: «سَأَلْتَ اللَّهَ الْبَلَاءَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ» وَمَرَّ بِرَجُلٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا تَمَامُ النِّعْمَةِ؟» قَالَ: سَأَلْتُ وَأَنَا أَرْجُو الْخَيْرَ، فَقَالَ لَهُ: «تَمَامُ النِّعْمَةِ الْفَوْزُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ» وَمَرَّ بِرَجُلٍ يَقُولُ: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: «قَدِ اسْتُجِيبَ لَكَ، فَسَلْ».

وفي الحديث أيْضًا فَائِدَةٌ هَامَةٍ وَجَلِيلَةٌ، وَهِيَ: أنَّ اَلدُّعَاءَ اَلْمَشْرُوعَ إنَّمَا يَكُونُ فِي طَلَبِ اَلآخِرَةِ وَاَلدُّنْيَا، قال تعالى: {فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (البقرة : ٢٠٠- ٢٠١)، قال الفَخْرُ الرَّازِي في تفسيره على الآية الكريمة (٥/ ٣٣٦):«بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ فَرِيقَانِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُمْ مَقْصُورًا عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالثَّانِي: الَّذِينَ يَجْمَعُونَ فِي الدُّعَاءِ بَيْنَ طَلَبِ الدُّنْيَا وَطَلَبِ الْآخِرَةِ، وَقَدْ كَانَ فِي التَّقْسِيمِ قِسْمٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ مَنْ يَكُونُ دُعَاؤُهُ مَقْصُورًا عَلَى طَلَبِ الْآخِرَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ هَلْ هُوَ مَشْرُوعٌ أَوْ لَا؟ وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مُحْتَاجًا ضَعِيفًا لَا طَاقَةَ لَهُ بِآلَامِ الدُّنْيَا وَلَا بِمَشَاقِّ الْآخِرَةِ، فَالْأَوْلَى

لَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِرَبِّهِ مِنْ كُلِّ شُرُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، رَوَى الْقَفَّالُ فِي «تَفْسِيرِهِ» عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ وَقَدْ أَنْهَكَهُ المرض، فقال: ما كنت تدعوا اللَّهَ بِهِ قَبْلَ هَذَا قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ. اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ تُعَاقِبُنِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ النَّبِيُّ عليه السلام: «سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ أَلَا قُلْتَ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ [الشعراء: ٨٣]» قَالَ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَشُفِيَ. انتهى

التوازن الكامل والدقيق بين الجسد والروح في الإسلام، ما الآخرة إلا جزاء العمل في الدُّنْياَ، ومن هنا جاء الاهتمام في الدُّنْياَ، فالقرآن يُلْهِمُ المسلم الدُّعَاءُ لِلْدُّنْياَ، وليس الآخرة فقط {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[١١٤]

سؤال الله العافية: سؤالُ الله العافية المطلقة وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والأمراض والأسقام والفتن، وفعل ما لا يحبُّه وترك ما يحبه، فهذه **حقيقةُ العافية**، ولهذا ما سُئل الرَّبُّ شيئاً أحبَّ إليه من العافية، لأنَّها كلمةٌ جامعةٌ للتخلُّص من الشَّرِّ كلِّه وأسبابه، عند الترمذي في " جامعه"، (٣٥١٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ"، ثُمَّ أَتَاهُ فِي اليَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: "فَإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ"، وعند ابن ماجة (٣٨٥١)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "، وفي "صحيح ابن حبان"،(٩٥٠)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْيَوْمَ عَامَ أَوَّلٍ يَقُولُ، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ أَبُو بَكْرٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَبَكَى، ثُمَّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[١١٤] - ينظر: «فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب» (٨/ ٥٦٨)

وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ، فَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ"، وأخرج الترمذي(٣٥١٣)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ:"قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"، فهذا دَلِيلٌ جَلِيٌّ على أَنَّ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ لا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ الأَدْعِيَةِ، والدعاء بالعافية؛ أي: بدوامها واستمرارها عليك من أفضل الأدعية التي ينبغي الحرص عليها، وينبغي سؤال الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على سؤال الله العافية، بل كان يتعوذ من تحوُّلها عنه، أخرج مسلم،(٢٧٣٩)،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ" فينبغي ألا نغفل عن أهمية الإكثار من سؤال الله العافية في الدنيا والآخرة.

٤- أهمية العقيدة ودورها في حياة الإنسان:

أمور العقيدة هي: كل ما ثبت بالشرع، فسائر ما ثبت من أمور الغيب هو من أصول العقيدة، والأخبار التي جاءت في كتاب الله وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي من العقيدة، والثوابت والمسلمات العلمية أو العملية داخلة في أصول الاعتقاد، ومن ذلك التزام شرع الله عز وجل في الجملة، والتزام أصول الفضائل والأخلاق الحميدة ونفي ما يضاد ذلك، كل هذا داخل في مسمى الأصول والقطعيات، التي هي في مجموعها تسمى **العقيدة**، فالعقيدة: هي الأسس التي يقوم عليها الدين، اعتقادية وعلمية وعملية، وهي بمثابة الأسس للبناء، ولذلك جاء وصفها في الشرع بالأركان، فالعقيدة هي الأسس التي يقوم عليها الدين، وهي الركائز الكبرى، وأصول الدين العظمى التي ينبني عليها الدين للفرد والجماعة[١١٥]

١١٥ - ينظر: «مجمل أصول أهل السنة» (١/ ٤)

العقيدة هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والتحكيم والإتباع[١١٦]

تقوم **التربية** في الإسلام على عقد الصلة بين الإنسان وخالقه، وهذه الصلة تمثل الجانب الروحي في الإنسان، وهي التي تسمو به إلى كريم السجايا وغر الخلال ونبالة الطبع وحميد الأخلاق، وتعتبر **التربية الروحية** الحلقة الأساسية في سلسلة التربية الإسلامية التي تبدأ بمعرفة الله عز وجل وصولاً إلى طاعته وتقواه، فالتربية الروحية تعني: زيادة الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتقرب إليه ومحبته وخشيته والتعرف عليه بآلائه وفضله، والطمع في رحمته والخوف من عقابه والإيمان بكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، والخلق الحسن منبعه العقيدة الصافية، وما الأخلاق إلا الجانب التطبيقي للعقيدة الإسلامية، ولا تقل أهمية الأخلاق الفاضلة في حياة الإنسان عن أهمية العقيدة الإسلامية الصافية، والالتزام بالأخلاق الفاضلة هو السبيل إلى تحقيق العبودية لله، وهي غاية الوجود الإنساني، وقد جاءت أحكام الشريعة الإسلامية داعية إلى الأخلاق الحميدة التي أساسها المحبة، فالعبادات جميعاً ما هي إلا رياضة لترويض النفس على الخلق الحسن، وغاية الخلق القويم الصلة بالذات الإلهية العليا وبناء حياة الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية الراقية، وفي المفهوم الإسلامي لا قيمة لأي عمل مهما عظم إن لم يتحقق فيه شرطان هما: الإخلاص والمتابعة، وهما من سمات الخلق الحسن، وتكمن أهمية التربية الخلقية في الإسلام في سعيها إلى تكوين خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة[١١٧]، وتعد العقيدة في الإسلام هي الأصل الذي تبنى عليه الشريعة، فلا وجود للشريعة إلا بوجود العقيدة، ولا ازدهار ولا تطبيق للشريعة إلا في ظل سيادة العقيدة، وللإنسان

١١٦- ينظر: " مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة"، (ص٩)، و"العقيدة الإسلامية وأثرها في النجاة من الفتن المعاصرة"، (ص١٩)
١١٧ - ينظر: " التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها"، (ص١٣٤)

قوتان، إحداهما نظرية -وكمالها يتحقق في معرفة الحقائق على ما هي عليه، والأخرى عملية- وكمالها يتحقق في القيام بما ينبغي من الشئون في الحياة، وإذ يقرر الإسلام هذا المبدأ يستهدف تحقيق سعادة الإنسان وتحقيق أمنه الجسمي والنفسي والاجتماعي في الحياة الدنيا، وسعادته وفوزه بالنعيم في الآخرة، وقد جاءت التكاليف الإسلامية على نوعين: الأول، يتطلب علمًا، والثاني، يتطلب عملًا، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: ٩٧]، وقد اصطلح العلماء على تسمية التكاليف التي تطلب علمًا بالعقائد أو أصول الدين، كما اصطلحوا على تسمية التكاليف التي تطلب عملًا بالشريعة أو الفروع، والشريعة[١١٨] اسم للنظم والأحكام التي شرعها الله أو شرع أصولها وكلف المسلمين بها ليأخذوا أنفسهم بها في علاقتهم بالناس، وهي على كثرتها ترجع إلى ناحيتين أساسيتين هما: **أولًا**: الجوانب السلوكية التي تحدد العلاقة بين الإنسان وربه، ومن خلالها يتم التقرب إليه سبحانه واستحضار عظمته، وتكون عنوانًا على صدق الإيمان بالله ومراقبته، والتقرب إليه سبحانه، وهذه الناحية هي ما يعرف بالعبادات، **ثانيًا**: الجوانب السلوكية الذاتية والاجتماعية والتي تستهدف الحفاظ على المصالح وتجنب الأضرار والمظالم، وسيادة الأمن والاطمئنان والتماسك الجماعي والتكامل الاجتماعي داخل المجتمع، هذه الناحية هي التي تعرف في الإسلام باسم المعاملات [١١٩]

إنّ العقيدة الإسلامية تؤثر في الفرد والمجتمع، فهي تشعر الإنسان بقيمته الذاتية وخصائصه الإنسانية، ليسير في سلوكه الحيوي بوحي من هذه العقيدة، وهذا أرقى مستوى يصل إليه الفرد، وحين تنغرس العقيدة المؤمنة في نفوس معتنقيها، فإنها تعطي ضمانات لأصحابها بإصلاح النفوس والعقول والأرواح، فبدون عقيدة لا ينفع علم ولا

---

١١٨ - في "الكليات"، لأبي البقاء الكَفَوِيّ ، (ص٤٢٥):
" الشريعة: اسْم للْأَحْكَام الْجُزْئِيَّة الَّتِي يتهذب بهَا الْمُكَلف معاشا ومعادا، سَوَاء كَانَت منصوصة من الشَّارِع أَو رَاجِعَة إِلَيْهِ، وَالشَّرْع كالشريعة: كل فعل أَو ترك مَخْصُوص من نَبِي من الْأَنْبِيَاء صَرِيحًا أَو دلَالَة فإطلاقة على الْأُصُول الْكُلية مجَاز، وَإِن كَانَ شَائِعا، بِخِلَاف الْمِلَّة فَإِن إِطْلَاقهَا على الْفُرُوع مجَاز، وَتطلق على الْأُصُول حَقِيقَة كالإيمان بِاللَّه وَمَلَائِكَته وَكتبه وَغير ذَلِك، وَلِهَذَا لَا تتبدل بالنسخ، وَلَا يخْتَلف فِيهَا الْأَنْبِيَاء، وَلَا تطلق على آحَاد الْأُصُول... ". انتهى
وقال ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ٤٦):
«والشريعة هي ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الديانة وعلى ألسنة الأنبياء عليهم السلام قبله والحكم منها للناسخ..». انتهى
١١٩ - ينظر: «بناء المجتمع الإسلامي» (ص٤٨-٤٩)

تنفع تربية ولا يردع قانون، كذلك العقيدة تنمي بالفرد حب الخير لذاته لا طمعاً بنفعٍ ولا انسياقاً وراء غرض دنيوي أو هوى، كما تشيع فيه روح التفاؤل وتبعد عنه روح القنوط واليأس، وبذلك يحيا المسلم للأمل والعمل والجد، والعقيدة لها أثر كبير في المجتمع، فهي توحد الهدف بين الفرد ومجتمعه، مما يضمن لها التماسك والتحاب[١٢٠]، فالعقيدة الصحيحة هي الأساس المتين، والركن العظيم لدين الإسلام، ولذا فإنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أول ما قاموا به في دعوة أقوامهم هو دعوتهم إلى تصحيح الاعتقاد، وإلى توحيد الله جلَّ وعلا، فصلاح الأمم مرهون بسلامة عقيدتها، وصحة أفكارها، وكل بناءٍ لا تكون العقيدة أساسه، إنما هو بناء متهدم الأركان، وليس له بقاء ولا قرار، وبدون تصحيح العقيدة لا فائدة من الأعمال أياً كان نوعها[١٢١]

ويدل على أن العقيدة لها أهمية عظيمة في حياة الإنسان، بل في حياة البشرية جمعاء ذلك أمور كثيرة يمكننا أن نوجزها في النقاط التالية[١٢٢]:

١ –الكمال والشمول؛ لأنها دين الله، ودين الله كامل وشامل لكل زمان ولكل مكان ولكل فئة ولكل مجتمع ولكل دولة، لأنها ربانية: {تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤٢]، وهو سبحانه العليم الخبير بمصالح العباد[١٢٣]، ولما كان الدين الإسلامي بناءً متكاملًا اعتقادًا وعبادةً وسلوكًا، لزم أن يكون هذا البناء متناسقًا ومنسجمًا، لذا نجد أن العنصر الأساسي فيه هو العقيدة الإسلامية التي يقوم عليها، وهي عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، مما يكسبها مركزًا مهمًّا لفهم الدين الإسلامي فهمًا صحيحًا، فالعقائد الإسلامية والعبادات والمعاملات والسلوك كلها تتجه لوجهة واحدة هي إخلاص الدين لله تعالى وهذا الاتجاه المتحد له أهمية قصوى في فهم الدين الإسلامي، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء: ١٢٥]

---

١٢٠ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص١١٦)

١٢١ - ينظر: «المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى» (ص١٣٣)، بتصرف

١٢٢ - ينظر: "نحو ثقافة إسلامية أصيلة (ص٨١-٨٢)، و " الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية"، (ص٦-١٠)

١٢٣ - ينظر: «مجمل أصول أهل السنة» (١/ ١٢)

٢- العقائد هي الركائز والأسس التي تقوم عليها المبادئ والشرائع، فالبشر أسرى المعتقدات والأفكار، فالذين يعتقدون أن الله هو ربهم ومعبودهم، وأن مصيرهم إليه، وأن الدنيا معبر وطريق، يقيمون حياتهم وفق شريعة الله، بحيث تهيمن هذه الشريعة على تصرفاتهم وأعمالهم.

٣ - العقائد تستولي على أنفس أصحابها، وتدفعهم لبذل أموالهم وأنفسهم في سبيل تحقيق ما يعتقدونه، وهم راضون مطمئنون، وهذا يفسر لنا السرّ في انتصار أصحاب العقائد وعدم تنازلهم عن مبدئهم على الرغم من الآلام والمصائب التي تعترض طريقهم، ويدلنا على صدق هذا المعنى اللغوي للعقيدة، فعقد الحبل نقيض حله، ومادة (عقد) في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق، ففي القرآن:{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيمَانَ} [المائدة: ٨٩]، وتعقيد الإيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه، بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصد، والعقائد في الإسلام هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينًا عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك.

٤ - ضلال الإنسان في معتقده، يجر عليه البلاء، ويضل عمله وسعيه، وعندما يقدم على الله يكن من الأخسرين، الذين خسروا أنفسهم وأهليهم، ويخلدون في النار.

٥ - أعظم مهمات الرسل تصحيح عقائد البشر الزائفة، وتصحيح تصوراتهم عن الله والكون والحياة، فنوح نهى قومه عن عبادة الأصنام والأوثان، فلم يستجيبوا {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: ٢٣]، وإبراهيم قال لقومه مناقشا إياهم فيما يعبدون {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)} [الشعراء: ٧٢]، وقال القرآن للعرب منكرًا عليهم {أَفَرَأَيتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)} [النجم: ٢٠ - ٢٢]، أمّا العقيدة الصافية المستقيمة، فإنها تجلب المودة والمحبة بين البشر {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: ١٠٣]، العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة التي تحقق

الأمن والاستقرار، والسعادة والسرور، كما قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ١١٢]، كما أن العقيدة الإسلامية وحدها هي التي تحقق العافية والرخاء، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]، والعقيدة الإسلامية هي السبب في حصول التمكين في الأرض، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥]١٢٤

٦- العقيدة التي جاء بها الرسل ضرورية للبشر ضرورة الماء والهواء، لأنها تحرر العقل من الخرافة، وتفسر للإنسان لغز الحياة، وتدله على مصدر وجوده ومصدر وجود الكون، كما تعرِّفه بالعلاقة التي بينه وبين الله، وبينه وبين الكون، وتحدثه عن العوالم الأخرى التي هي من عالم الغيب، وتبصره بمصيره بعد الحياة، والإنسان إذا لم يجد الإجابة الشافية عن هذه القضايا فإنه يبقى متعبًا قلقا حائرًا، إن تلك التربية الإيمانية التي ربى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم هي التي جعلت إيمانهم بالغيب أقوى من إيمانهم بعالم الشهادة، وجعلتهم يشتاقون إلى الجنة، فبذلوا نحورهم، ودماءهم الغالية رخيصة في سبيل الله، لإعلاء كلمته ونشر دينه. وبذلك الإيمان العميق، وتلك العقيدة الراسخة - لا بالعدة والعدد - دكوا صروح قيصر وكسرى، وبنوا حضارة عظيمة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، ومن تأمل ذلك الفعل الحضاري الفريد في الدهر أدرك أهمية العقيدة في بناء الأمم وحركة التاريخ١٢٥، فالإنسان دائمًا في حاجة إلى الإيمان والتدين، والعقيدة والدين ضرورة من ضرورات حياته، وحاجة من حاجات نفسه، فلا غنى له عن الإيمان بربه وعن عبادته بحال من الأحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين، ومصداق ذلك قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤]١٢٦

---

١٢٤ - ينظر: «التوحيد للناشئة والمبتدئين» (ص٣٢)، بتصرف

١٢٥ - ينظر: من خصائص الدعوة إلى الله عز وجل، إبراهيم بن يوسف، «مجلة البيان» (٣٥/ ١٦٥)، بتصرف

١٢٦ - ينظر: " محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص٦٩)، بتصرف

٧- العقيدة الإسلامية هي أعظم الواجبات وآكدها، لذا فهي أول ما يطالب به الناس، كما في "صحيح البخاري"،(٢٨٥٦)، و"صحيح مسلم"،(٣٠)، عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»، وفي "صحيح البخاري"،(٥٤٠١)، و"صحيح مسلم"،(٣٣)، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ، أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ لَهُمْ، فَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَقَالَ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَكَبَّرَ فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ، فَثَابَ فِي البَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ، لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " لَا تَقُلْ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ؟ " قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قُلْنَا: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى المُنَافِقِينَ، فَقَالَ: " فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ "، وفي "صحيح البخاري"،(٣٤٣٥)، و"صحيح مسلم"،(٢٨)، ، عَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ

عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»، وفي رواية: "أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ"، فحاجتنا إلى العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة، لأنه لا سعادة للقلوب، ولا نعيم، ولا سرور إلا بأن تعبد ربها وفاطرها تعالى[١٢٧]

٨- وسطية العقيدة الإسلامية، تعد العقيدة والنظرة الإسلامية للكون والحياة وسطاً بين الأفكار والمذاهب قديماً وحديثاً، ومفهوم العقيدة يتسع ليشمل **جوانب** الحياة الإنسانية كلها، فكراً، وفهما وسلوكا وقيماً حاكمة موجهة لسلوك الإنسان، وتوثيق صلته بخالقه سبحانه وتعالى، مما يدل على أهمية العقيدة في حياة الناس أفراداً وأمة[١٢٨]

٩-لا بد لكل بناءٍ ماديًّا كان أو معنويًّا من أساس يقوم عليه، والدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقًا لها، كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

١٠- إن إخلاص الدين لله تعالى لا يبلغ كماله إلا بإخلاص المحبة لله المعبود، والمحبة لا تكتمل إلا بتمام المعرفة، والعقيدة الإسلامية تقدم للإنسان كل ما يجب عليه معرفته في حق الله تعالى وبذلك يبلغ كمال المحبة، وبالتالي يسعى لكمال الإخلاص لله تعالى لأنه أتم معرفته به، كما في " مسند أحمد"،(٢٤٩١٢)، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ عِبَادَةً شَدِيدَةً، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ عز وجل، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ»، وَكَانَ يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»، وفي رواية،(٢٤٣١٩)، "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ عز وجل، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ قَلْبًا "، وإفراد الله تعالى بالتوجه إليه في جميع الأمور يحقق للإنسان الحرية الحقيقية التي يسعى إليها فلا يكون إلا عبدًا لله تعالى وحده لا شريك له فتصغر بذلك في عينه جميع المعبودات من دون الله، وتصغر العبودية للمادة والانقياد للشهوات[١٢٩]

---

١٢٧ - ينظر: «التوحيد للناشئة والمبتدئين» (ص٣٢)

١٢٨ - ينظر: " محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص٧٤)

١٢٩ - ينظر: «العقيدة» (ص٣ - ٤)، بتصرف

١٠-مما يدل على أهمية العقيدة، وكونها أساس كل عمل، تكفيرها للذنوب والكبائر، إذا صدرت عن إخلاص وقوة إيمان، يدل لذلك ما أخرجه الترمذي في " جامعه"، (٢٦٣٩)، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَعَافِرِيِّ ثُمَّ الحُبُلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: "فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ"، وفي «السنن الكبرى» للنسائي، (١٠٦٠٢)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصَّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "»، وفي " مسند أحمد"،(٦٥٨٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: "أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ" ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صلى الله عليه وسلم لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ " قَالَ: قُلْتُ

أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: "لَا" قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: "لَا" قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: "لَا" قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: "لَا" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: "سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ"، إذاً فتوحيد الله تعالى، هو رأس الأمر كله، وهذه نصوص صريحة دالة على وجوب البدء بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، قبل جميع التكاليف، لأن قبول جميع التكاليف مرهون بتحقيق ذلك.

وقد جاءت العقيدة الإسلامية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا خفاء ولا التواء، ففي وضوح لا خفاء معه صرحت آيات القرآن الكريم بوحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ١ – ٤]، كما أقامت الدليل الواضح على إفراده بالألوهية، قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: ٢٢]، وقررت العقيدة الإسلامية ربوبية الله تعالى لخلقه، وبينت مظاهره هذه الربوبية، ودعت إلى التفكر في هذه المظاهر، قال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} [يونس: ٣١]، وبعد أن أثبتت هذه الآيات الوحدانية والربوبية لله تعالى، دعت إلى إفراده عز وجل بالعبادة والتأله، ذلك بأنه هو المستحق للطاعة والخضوع والانقياد، وما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب إلا لأجل هذا الغرض، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، ويقتضي تفرده في الألوهية التامة الكاملة التفرد في جميع صفاته وأسمائه، فكما أنه لا شريك له في ذاته في استحقاقه للألوهية وحده دون شريك، فكذلك لا شريك له في أسمائه وصفاته[١٣٠]، ومما يزيد محاسن اعتقاداتنا في الله وإيماننا بأسمائه وصفاته وضوحًا: أن نعلم مدى التأثير الذي يحدثه مثل ذلك الإيمان في النفس الإنسانية، ومن ثم لا نعجب حين نرى - مثلًا - الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) يقول: «إن لإضافة العلم

١٣٠ - ينظر: مَنْهَجُ السَّلَفِ في العَقِيدَةِ وأَثَرُهُ في: وحدَةِ المسلِمِينَ، د. السحيمي، «مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة» (٣٠/ ٧٨-٩٠)

الكامل لله أثرًا في سلوكي؛ لأنها تجعلني أعتقد أنه يمكنه رؤية أفعالي في الظلام!»[١٣١]، ومن **محاسن** العقيدة الإسلامية الدعوة لمحبة الله والشوق إليه مع الخوف منه والرهبة، ونصوص القرآن والسنة بما فيها من تذكير بنعم الله، وإفضاله على الإنسان، مما يقوي باعث المحبة والشوق لله تعالى، كما أن آيات الوعيد توجب على الإنسان الخوف والاستعداد ليوم الجزاء[١٣٢]

ومن محاسن العقيدة الإسلامية الدعوة للتوكل على الله تعالى والاعتماد عليه والتعلق به، **والتوكل**: «هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل، في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها»[١٣٣]، وهذا بلا شك ناتج عن معرفة العبد بربه، وإيمانه بقدرته العظيمة الشاملة، وعلمه الذي أحاط بكل شيء، وكذلك اليقين بأن الله تعالى إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، لا يمنعه من ذلك مانع، حين يعلم العبد ذلك ينصرف اعتماده وتوكله على الله وحده، بحيث لا يتوكل على غيره أبدًا، قال تعالى: {قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠]، كما دعت العقيدة الإسلامية إلى نبذ التواكل والضعف والاستكانة، قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦] .

ومما **امتازت** به العقيدة الإسلامية أنها جعلت الباب مفتوحًا دائمًا بين العبد وربه عز وجل، دون وسيطٍ أو حاجبٍ من ملك أو رسول أو ولي ... إلخ، بل جعلت اتخاذ الوسطاء في العبادة نوعًا من الإشراك بالله، ولذا نعى الله تعالى على المشركين عبادتهم للأصنام التي زعموا أنها تقربهم إليه، قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ٣]، كما وضح سبحانه أن أحدًا لا يملك الشفاعة لأحدٍ إلا بإذن من الله تعالى، بل إن هؤلاء المدعوين والوسائط أنفسهم يريدون الوسيلة التي تقربهم إلى الله، وترضيه عنهم، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ ﴾، وقال تعالى:

---

[١٣١] - ينظر: " محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص١٨-١٩)

[١٣٢] - ينظر: " محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص٢٥-٢٦)

[١٣٣] - ينظر: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم"، (ص٤٠٩)، و"التوكل على الله"، د. الدميجي، (ص١٠٥ - ١٤٦)

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: ٥٧]، فقد فتح الله كل طريق يلج منه العبد إليه كي يناجيه ويستغفره في أي وقت شاء[١٣٤]

قال ابن أبي العز في " مقدمة شرح الطحاوية"، (١/٥-٦):

" فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ، إِذْ شَرَفُ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فِقْهِ الْفُرُوعِ، وَلِهَذَا سَمَّى الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا قَالَهُ وَجَمَعَهُ فِي أَوْرَاقٍ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ: " الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ " وَحَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ وَضَرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ، لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ، إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا وَفَاطِرَهَا، بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَيَكُونَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِمَّا سِوَاهُ، وَيَكُونَ سَعْيُهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ ". انتهى

٥- الارتباط بين العقيدة والسلوك:

العقائد هي الأفكار التي يؤمن بها الإنسان، ويصدر عنها في تصرفاته وسلوكه، وتطلق العقائد الإسلامية على أركان الإيمان، وما يتفرع عنها من توحيد الألوهية، وعلى الإيمان بما ثبت من المغيبات أي الإيمان بالغيب، وبالرسل والكتب، والملائكة واليوم الآخر، والقضاء والقدر[١٣٥]

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تبع له وفرع عنه، وهو أهم ما خلق لها الخلق وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وأسست عليه الملة، فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأن الإنسان لما كان مخلوقًا مربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وباريه فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خلق من أجلها، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل في

---

١٣٤ - ينظر: " محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص٣٧-٣٦)

١٣٥ -ينظر: «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص٦٥)

القرآن، وملاك السعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما يقوم الإيمان بالله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وإليه دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ممن أولهم إلى آخرهم، وأحدهما: **التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي** المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص، والتوحيد الثاني: **عبادته وحده لا شريك له**، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضا به رباً وإلهاً ووليّاً، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء، فليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين والعقيدة أو تدانيها في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، فليست كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك، وتصحيح المعاملة، وتطبيق قواعد العدل ومقاومة الفوضى والفساد، بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة، ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الحوار أو المصالح المشتركة.

- **مظاهر الارتباط بين العقيدة والأخلاق في الإسلام**

يتمثل هذا الارتباط بين العقيدة والأخلاق في الإسلام في أن الأخلاق المحمودة دليل على قوة الإيمان حيث تنبعث منه وتندفع به فكلما زاد المؤمن قوة كلما ترقى في أخلاقه، وازداد في التزكية والتهذيب، وأن الأخلاق السيئة دليل على انعدام الإيمان أو على ضعفه، وعلى ذلك يمكننا أن نعرف مدى إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق، ونعرف مدى ضعف إيمانه بمقدار ما يتصف به من ذميم الأخلاق، فالإيمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، ومن ثم فإن الله سبحانه عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم، وما أكثر ما يقول في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثم يذكر بعد ما يكلفهم به ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾، بل إن كثيراً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتماً، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، بحسب

تفاقم الشر أو تفاهته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها، معتمداً على صدق الإيمان وكماله، فلم يكن يكتفي في إجاباته على الأسئلة العارضة من أصحابه بالإبانة عن ارتباط الخلق بالإيمان الحق، وارتباطه بالعبادة الصحيحة، وجعله أساس الصلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة، فإن أمر الخلق أهم من ذلك، لا بد من إرشاد متصل، ونصائح متتابعة ليرسخ في الأفئدة والأفكار أن الإيمان والصلاح والأخلاق، عناصر متلازمة متماسكة، لا يستطيع أحد تمزيق عراها، حيث بين في كثير من الأحاديث أن الخلق الحسن ينمي الإيمان ويقويه، وأن الخلق السيئ ينقص الإيمان ويفسد العمل: فإذا نمت الرذائل في النفس، وفشا ضررها، وتفاقم خطرها، فما قيمة دين بلا خلق؟!! وما معنى الإفساد مع الإيمان؟!![١٣٦]. فكم هي الآيات التي يدعونا الله فيها إلى الإيمان! ما تكاد تجد سورة في القرآن إلا وفيها دعوة صريحة، أو إشارة إلى أهمية الإيمان وأثره في حياة الفرد والمجتمع والأمة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً) [النساء:١٣٦]، وكم هي نداءات الرحمن في القرآن الكريم لعباده بأعظم صفة وهي صفة الإيمان التي جعلها الله شرطًا لقبول الأعمال والعبادات، ورتب عليها الجزاء في الأخلاق والسلوك والمعاملات، فقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) [النساء:١٢٤].وقال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل:٩٧]، وقال تعالى:(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) [طه:١١٢]، وقال تعالى: (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) [طه:٧٥]، إنه الإيمان بقوة الله وقدرته، وعلمه، وعظمته، وسعة ملكه وسلطانه، إنه الإيمان بحُكمه وعدله، وعفوه ورحمته، ونصره وتأييده لعباده المؤمنين، فالإيمان هو حياة الإنسان الحقة، وبغيره يكون

[١٣٦] - مظاهر الارتباط بين العقيدة والأخلاق في الإسلام، د. مسلم ود. الزغبي، و"أخلاقنا"، (ص٣٧-٤١)

كالميت: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) [الأنعام:١٢٢]، والإيمان قوة هادية، لأنه يحدد للإنسان وجهته، ويعرّفه غايته ومنهجه، فيحيا على نور، ويمضي على بصيرة: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَه) [التغابن:١١]، (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم) [آل عمران:١٠١]، والإيمان ينير الطريق، ويحقق الطمأنينة والراحة النفسية، ويباعد بين المؤمن والقلق والحيرة، والهم والحزن، والتمزق داخل النفس؛ (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:٢٨]، (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج:٣١]، والإيمان المطلوب من كل عبد أن يحققه في نفسه هو ذلك الإيمان الذي يورث الخشية والخوف من الله، والحب لله، والرجاء منه؛ وهو ذلك الإيمان الذي يهذب النفوس، ويقوّم الأخلاق، وبه يستقيم السلوك، وينتشر الخير، وهذا الإيمان يزداد بالطاعات من صلاة، وصيام، وحج، وصدقة، وقراءة للقرآن، وتفكُّر في مخلوقات الله، وغيرها من الطاعات؛ وينقص بالمعاصي والسيئات، حتى يمشي الرجل بين الناس وليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

إنَّ **تنميةَ العقيدة والروح الإيمانية** أعظم ضماناتٍ لسلامة المجتمع الإسلامي، وأقوى أسباب تماسكه ووحدته، فهو يصهر الشعوب والقبائل والأعراق واللغات في رحاب المجتمع الواحد، الذي يعبد الإله الواحد، ويتبع النبي الواحد، ويؤمن بالكتاب الواحد، بل ويضبط التصوراتِ والأفعالَ والسلوكَ وفق قيمٍ واحدة، هدفها سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، إن آثار الإيمان كثيرة في حياتنا، فالإيمان كفيلٌ بعلاج الانحرافات؛ فهو يغرس في كل فرد قضيةَ مراقبةِ الله، والسعي لنيل الأجر والثواب، والخوف من العقاب، فيحرص المؤمن على أن يكون سلوكه حسَنًا مع الناس جميعًا؛ بل حتى مع الحيوان والبيئة التي حوله، وهذه هي **رسالة الإسلام**، وثمرة من ثمار الإيمان، والإيمان هو الذي يوجه السلوك في البيت، ومع الجيران، وفي الوظيفة، وفي السوق، ويجعل من العادة عبادة، والإيمان يدعونا إلى نهج السلوك الحسن مع الخلق جميعًا، والإيمان يوجه سلوك

المسلم في أي ميدان من ميادين الحياة إلى الخير، لَقَد قَصَدَ الإسْلامُ أنْ يكُون الإنسان مَثَلاً صَالحًا محمُود الخصال، شريف الشمائل، حسَنَ السلوك، إن تكلم صَـدَقَ، وإنْ وَعَدَ وَفَى، وإن اؤتُمِنَ في أمْرٍ أَدَّى الأمانَةَ وَلَمْ يَخُنْ، وإن تَكَلم غضَّ مِن صَوْتِه، وَإن مَشَى لَم يَكُن مُخْتَالاً ولا فخورًا في مشيتِه، وإنْ رأى كَبيرًا وَقَّره، أو صغيرًا عطف عليه، أو محتاجًا أعانه، والإيمان يوجه سلوك الفرد المسلم تجاه أمته ومجتمعه التوجيه الأمثل، فالمسلم لا يعيش لنفسه وحسب؛ بل يعيش لمجتمعه وأمته، فيفرح المسلم لفرح المسلمين، ويحزن لحزنهم، ويتألم لمصابهم، ويسعى لنصرتهم[١٣٧]

فالإيمان إذن هو أساس العقائد[١٣٨]، ويوضح ضرورته كأساس من أسس التربية ما يلي:

١- المراد بإيمان الإنسان بشيء: أنه قد استقر في ذهنه تصديقا ويقينا، ولم يعد بعده يخاف أن يتسرب إلى ذهنه شيء يخالفه.

٢- إذا قوي إيمان المرء فقد قامت سيرته على ما صدقه، واطمأن قلبه إليه من الأفكار أي على تأسس قوية رصينة، يجوز الاعتماد عليها، والاطمئنان إلى أن الأعمال لن تصدر عنه إلا متفقة معها بكل معنى الكلمة، فالإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة مضمونة النتائج، وبهذا يكون للإنسان المؤمن سيرة معلومة، ويكون في حياته النظام، والأحكام والترتيب والانسجام، ونستطيع أن نقول بكل جزم أنه سيعمل العمل الفلاني في الوقت الفلاني، ولذلك كانت التربية المبنية على الإيمان أفضل من التربية المبنية على عدم الإيمان، ذلك؛ لأن غير المؤمن لا سيرة له في حياته.

٣- وكما أن سيرة الفرد وحياته تنتظم وتستقيم، إذا كانت صادرة عن إيمان صحيح، كذلك فإن مجموعة الأفراد، عندما يخضعون علاقاتهم فيما بينهم وسلوكهم، وسيرتهم إلى الإيمان بفكرة مشتركة بينهم، مشتملة على أمور

---

[١٣٧] - الإيمان وأثره في توجيه السلوك، العماري، بتصرف

[١٣٨] -ينظر: «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص٦٥)

روحية، ربانية، صحيحة، فإنهم يؤلفون أمة ذات حضارة متجانسة متجاوبة مع عقيدتها ودينها، وتكون العقيدة المشتركة في الوقت ذاته في الموجه لحياة الأفراد الشخصية، فيحصل تناسق بين حضارة الأمة ونظمها الاجتماعية، وبين سيرة أفرادها وفي هذا كمال الحياة النفسية الصحيحة، والتجاوب الاجتماعي السليم، فيصبح المجتمع المؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا، ويصبح المؤمنون كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهكذا تكون التربية الاجتماعية المرتكزة على الإيمان هي التي تنتج مجتمعا قويا حضاريا مستقيما سليما من كل الأمراض والانحرافات[١٣٩]

تظل التربية الإسلامية ترتكز على جملة من الأصول العقدية التي ينبثق عنها النظام التربوي الإسلامي الكامل، ولا شك أن النظام التربوي القائم على الأصول العقدية للتربية يخرج لنا أفرادا يكونوا لبنة صالحة في المجتمع، يثمر عنه مجتمع صالح منتج، فالأصول العقدية لها علاقة بالتربية الإسلامية وعلى درجة من القوة والعمق، بحيث يمكن أن يؤدي انفصالهما إلى تعطيل لمهمة الطرفين، فالأصول العقدية بدون ترجمة سلوكية لن تبرح حدود النظر والفكر، وتربية بلا استناد إلى أصول عقدية راسخة تعني السير بلا دليل وبلا توجيه، وقد جاءت السنة النبوية لتؤكد على أهمية الأصول العقدية للتربية، حيث كانت تربيته لأصحابه مبنية على أسس عظيمة وأصول كبيرة، أولها العقيدة الصحيحة التي حواها القرآن الكريم بما فيه من الآيات التي تدعو إلى التوحيد الخالص، وتعد العقيدة الإسلامية هي الأساس لبناء الشخصية المتناغمة المنسجمة والمتسقة في القيم، وذلك لكونها تؤدي إلى وحدة المصدر والاتجاه، كما أن اعتقاد الإنسان بالجزاء واستحضاره الدائم له وتصوره المستمر للمصير والجزاء للنعيم والشقاء الأبديين، له أثر كبير في حسن سلوكه واستقامة طريقته سواءً في نفسه أو مع الناس أو فيما بينه وبين ربه وخالقه[١٤٠]

١٣٩ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٦٧)، بتصرف

١٤٠ - دراسة تحليلية لأصول العقدية للتربية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د. الزهراني، (ص٨٨)

٦- آثار الإيمان بالله:

لقد اهتمت التربية الإسلامية بتقوية الإيمان بالله فى نفوس المسلم عبر غرس كل العقائد والفضائل التى تدخل فى مفهوم الإيمان بالله، وهى بذلك تعتمد على مبدأ إمكانية التغيير للاعتقاد والخلق والاتجاه، وتمتاز أصول التربية الإسلامية الإيمانية العقدية بارتباط الاعتقاد بالعمل، والقول بالفعل، حيث أن العمل لب الإيمان ودليل رسوخه، وتشكل أصول التربية الإسلامية العقدية حجر الأساس فى أصول التربية الإسلامية وذلك لأن العقيدة الإسلامية هى أعظم الواجبات[١٤١]

إن للإيمان بالله تعالى دوراً هام في تحقيق الأمن النفسي للإنسان كل بحسب درجة إيمانه، فكل ما زاد الإيمان زادة الطمأنينة الحاصلة للإنسان وزاد انتفاعه بهذا الإيمان، وآثار الإيمان بالله كثيرة متنوعة متجددة من أبرزها:

- تحقيق الأمن والهداية للإنسان، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فقد حكم الله تعالى للمؤمنين بالأمن التام والهداية، خاصة أن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ فالأمن أحق ما يكون مرتبطاً بالمسلمين.

- الإيمان بالله تعالى يورث الإنسان الحياة الطيبة المطمئنة خالية من المنغصات النفسية والاضطرابات الروحية، فروح الإنسان هادئة طيبة تعيش منسجمة مع ذاتها ومع محيطها، تحيطها السكينة والأمن، يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

- الإيمان بالله تعالى وحده يزكي النفس ويطهرها من أدران الشرك ومتعلقاته، تلك الأدران التي تمرض الروح وتوهن النفس وتجعلها عرضة لكل أنواع الاضطرابات النفسية، ذلك أن إصلاح اعتقاد النفس البشرية بجعلها

---

١٤١ - ينظر:" فلسفة التربية الإسلامية"، الشيباني، (ص١٢٩)

معبدة لله وحده هو أهم المهام، قال ابن عاشور في " التحرير والتنوير"، (٣/ ١٩٤): " إِصْلَاحُ الِاعْتِقَادِ أَهَمَّ مَا ابْتَدَأَ بِهِ الْإِسْلَامُ، وَأَكْثَرَ مَا تَعَرَّضَ لَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِصْلَاحَ الْفِكْرَةِ هُوَ مَبْدَأُ كُلِّ إِصْلَاحٍ، وَإِذَا صَلُحَ الِاعْتِقَادُ أَمْكَنَ صَلَاحُ الْبَاقِي لِأَنَّ الْمَرْءَ إِنْسَانٌ بِرُوحِهِ لَا بِجِسْمِهِ، ثُمَّ نَشَأَ عَنْ هَذَا الِاعْتِقَادِ الْإِسْلَامِيِّ: عزّة النَّفس، وَأَصله الرَّأْي، وَحُرِّيَّةُ الْعَقْلِ، وَمُسَاوَاةُ النَّاسِ فِيمَا عَدَا الْفَضَائِلَ، وَقَدْ أَكْثَرَ الْإِسْلَامُ شَرْحَ الْعَقَائِدِ إِكْثَارًا لَا يُشْبِهُهُ فِيهِ دِينٌ آخَرُ .."."انتهى

-الإيمان بالله يورث النفس الهداية للخير عند حلول المصائب، الإيمان بالله يورث هداية للنفس تخرجه من مصيبته وتهديه للتعاطي الإيجابي مع هذه المصيبة فتزيده خيرا على خير، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

- الإيمان بالله جالب لفتح أبواب الخير من البركات السماوية والأرضية، الروحية والجسدية، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وفي هذا دلالة على أن الله يجازي عباده الصالحين المؤمنين به بطيب العيش ظاهراً وباطناً، حساً ومعناً، جسداً وروحاً.

- الإيمان بالله تعالى يدخل الإنسان المؤمن في حمى الله تعالى، ومن كان تحت رعاية الله وحفظه ما كان ليضيع، وهذا الشعور يورث الإنسان السكينة والأنس، ويشعره بالأمن والطمأنينة وراحة البال وطيب العيش من جميع العوادي الحسية، بل والمعنوية والروحية أيضاً، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر:٣٦]، وقال: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣]

- الإيمان بالله وحده يصلح البال والقلب والعقل والنفس قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها[١٤٢]، فللإيمان أثر بالغ الأهمية في حياة الفرد وبالتالي المجتمع إذا عرف الفرد أن الأعمال داخلة في الإيمان

[١٤٢] -ينظر: " التحرير والتنوير"، (٢٦/ ٧٥).

كان حريصاً على أن يأتي بما يمكنه من التكاليف الشرعية رغبة منه في تكميل إيمانه، وتشوّقاً إلى زيادة إيمانه ليبلغ بها منازل الصالحين يوم القيامة، وإذا اعتقد العبد بأن الإيمان يزيد وينقص، فإنه سيحرص على عمل الطاعات, والمسارعة إليها، والإكثار منها ليزيد إيمانه ويكمل ويرفعه ذلك يوم القيامة ويجعله في المنازل العليا في الجنة والنعيم، لا شك أنه إذا صلح الفرد المسلم صلح بذلك المجتمع؛ لأن المجتمع إنما هو مكون من أفراد، إن صلاح المجتمع إنما يرتكز على العقيدة الإيمانية، وتأثيرها على المجتمع المسلم في عقائد أهله وأقوالهم وأعمالهم, ومن ثم أحوالهم وسلوكهم وبه نعرف أن الإيمان سياج منيع عن الشرور والرذائل، بل ودافع إلى العاليات والكمائل، ورحمة على أهله وعلى الناس أجمعين، بل وعلى البهائم والحيوان والجماد في الأرض والسماء[١٤٣]، إن المجتمع المسلم عندما يقيم بنائه على الإيمان والعقيدة الصحيحة ويعطيهما أهمية كبرى، فإن لذلك فوائد وآثار إيجابية بالنسبة للأفراد والجماعات[١٤٤]

٧- من أسماء الله الحسنى اسم الله " العفو":

لقد اهتمت التربية الإسلامية بتقوية الإيمان بالله فى نفوس المسلم عبر غرس كل العقائد والفضائل التى تدخل فى مفهوم الإيمان بالله[١٤٥]، **ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه وصفاته**، إن العلم يشرف بشرف المعلوم، وأفضل العلوم على الإطلاق ما يعرِّفنا بربنا عز وجل، وإن باب الإيمان بأسماء الله وصفاته هو مما جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بالدعوة إليه، وبتحقيق الإيمان بها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل تَحْسُنُ عبادةُ العبد لربه عز وجل، لأن الأسماء والصفات لها آثار على العبد كإخلاص العبادة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والاستعانة والاستعاذة وغيرها، فتكون مكانةُ الباري عز وجل في قلب

---

١٤٣ - ينظر: "الإيمان عند السلف ومخالفيهم"، الشبل، (ص٨١-٨٣)

١٤٤ - الآثار التربوية للأصول العقدية للتربية الإسلامية الواردة فى سورة النحل.، د. الخليفة، ص٢٦٣-٢٨٩

١٤٥ - ينظر:" فلسفة التربية الإسلامية"، الشيباني، (ص١٢٩)

العبد الغايةَ العظمى التي ليس لأحد مثل مكانتها سواه عز وجل، وبذلك يحقق العبدُ التوحيدَ في قلبه وجوارحه، فتتحقق العبودية لله عز وجل، وتخضع القلوب لجلاله، وتسكن النفوس لعظمته، وتفوز برضا بارئها عز وجل[١٤٦]

تعريف توحيد الأسماء والصفات:

هو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم نفيا وإثباتا فيثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله [١٤٧]. فنثبت كل اسم أو صفة وردت في الكتاب أو السنة، على ظاهرها اللائق بجلال الله وكماله، مع التنزيه التام والمباينة الكاملة عن مشابهة صفات المخلوقين، وقطع الطمع عن إدراك كنه الصفة أو كيفيتها، فهو إثبات دون تشبيه أو تجسيم، ووصف لله دون تحريف أو تعطيل أو توقف[١٤٨]، ولا يعرف الإنسان ربه إلا بمعرفته بصفاته وأسمائه.

جاء في «لوامع الأنوار البهية» (١/ ١٢٩):

«وَتَوْحِيدُ الصِّفَاتِ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ نَبِيُّهُ صلى الله عليه وسلم نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، فَيُثْبَتُ لَهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَيُنْفَى عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ. وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَكَذَلِكَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، مَعَ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ إِلْحَادٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَلَا فِي الْآيَاتِ، فَإِنَّهُ - تَعَالَى - ذَمَّ الْمُلْحِدِينَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ، فَقَالَ: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١٨٠] ، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت: ٤٠] ، فَطَرِيقَةُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَعَ نَفْيِ

---

١٤٦ - ينظر: «صفات رب العالمين» (٢/ ٥)
١٤٧ - ينظر: «رسالة في أسس العقيدة» (ص٤١)
١٤٨ - ينظر: " العلاقة بين الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية الأخرى"، جامعة أم القرى، (ص٢٤-٢٥)

مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ بِهَا، إِثْبَاتٌ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، وَاللَّهُ سبحانه وتعالى بَعَثَ رُسُلَهُ بِإِثْبَاتٍ مُفَصَّلٍ وَنَفْيٍ مُجْمَلٍ، فَأَثْبَتُوا لَهُ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَنَفَوْا عَنْهُ مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ» أ. هـ

وأخرج ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٥٢): حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ غِيَاثٍ، ثنا حَنْبَلٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: نَعْبُدُ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، قَدْ أَجْمَلَ الصِّفَةَ لِنَفْسِهِ، وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ وَنِصِفُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ شَنَاعَةً شُنِّعَتْ، وَلَا نُزِيلُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ كَلَامٍ، وَنُزُولٍ وَخُلُوِّهِ بِعَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَضْعِ كَنَفِهِ عَلَيْهِ، هَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَالتَّحْدِيدُ فِي هَذَا بِدْعَةٌ، وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ بِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا عَالِمًا، غَفُورًا، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عَالِمَ الْغُيُوبِ، فَهَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، لَا تُدْفَعُ، وَلَا تُرَدُّ، وَقَالَ: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] آيَةُ الْكُرْسِيِّ، {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} [الحشر: ٢٣]، هَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ وَأَسْمَاؤُهُ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ بِلَا حَدٍّ، وَقَالَ: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤] كَيْفَ شَاءَ؛ الْمَشِيئَةُ إِلَيْهِ وَالِاسْتِطَاعَةُ وَ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِلَا حَدٍّ وَلَا تَقْدِيرٍ، قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: وَالْمُشَبِّهَةُ مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي، وَقَدَمٌ كَقَدَمِي، فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ وَهَذَا كَلَامُ سُوءٍ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا لَا أُحِبُّهُ، وَأَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الزَّلَلِ، وَالِارْتِيَابِ، وَالشَّكِّ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات[١٤٩]

الأول: أسماء الله حسنى، أي بالغة في الحسن غايته وتمامه، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الأعراف: ١٨٠]، وصفاته عليا كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل: ٦٠] يعني الوصف الأعلى الأكمل الأحسن.

الثاني: أسماء الله وصفاته توقيفية، المرجع فيها القرآن والسنة، فيجب الوقوف على ما جاء فيهما، فلا يزاد ولا ينقص.

الثالث: الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، والإثبات بلا تمثيل، والنفي بلا تعطيل، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

الرابع: معاني أسماء الله وصفاته معلومة، وكيفيتها مجهولة لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠]

ومن أسماء الله الحسنى العَفُوُّ جل جلاله[١٥٠]

معنى اسم الله (العفو):

قال الطبري رحمه الله في قوله تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: ٤٣]:«إن الله لم يزل عفوًّا عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به»[١٥١]

قال الخطابي رحمه الله: «العفو: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء»[١٥٢]

---

١٤٩ - ينظر: «رسالة في أسس العقيدة» (ص٤٢)
١٥٠ - ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ٢٢-٢٥)
١٥١- ينظر: "تفسير الطبري"، (٨/ ٤٢٦)
١٥٢ - ينظر: "شأن الدعاء (ص: ٩٠)

قال القرطبي رحمه الله: «قوله تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: ٤٣]، أي: لم يزل كائنًا يقبل العفو وهو السهل، ويغفر الذنب، أي: يستر عقوبته فلا يعاقب»[١٥٣]

قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٤٦): " العفو، الغفور، الغفار" الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} ". انتهى

قال أبو حامد الغزالي في "المقصد الأسنى" (ص ١٤٠):

" الْعَفوّ: هُوَ الَّذِي يمحو السَّيِّئَات، ويتجاوز عَن الْمعاصِي، وَهُوَ قريب من الغفور، وَلكنه أبلغ مِنْهُ، فَإِن الغفران يُنبئ عَن السّتْر، وَالْعَفو يُنبئ عَن المحو، والمحو أبلغ من السّتْر".

قال ابن جزي في " التسهيل" (١/ ١٤٣):" العفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام " انتهى.

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (العفو) في القرآن الكريم في خمس آيات، قال عز وجل: {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء: ٩٩]، وقال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء: ١٤٩]، وقال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج: ٦٠].

ورد اسم الله (العفو) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

أخرج الترمذي في "جامعه"، (٣٥١٣)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: " قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"، وفي " مسند أحمد"، (٣٩٧٧)، عن

١٥٣ - ينظر: "الجامع لأحكام القرآن "، (٥/ ٢٤١)

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إِنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْإِسْلَامِ، أَوْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ أُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا سَرَقَ، فَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَمَادًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْ: يَقُولُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي؟ وَأَنْتُمْ أَعْوَانُ الشَّيْطَانِ عَلَى صَاحِبِكُمْ، وَاللهِ عز وجل عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ، وَلَا يَنْبَغِي لِوَالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَى بِحَدٍّ إِلَّا أَقَامَهُ، ثم قرأ: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٢٢]».

يقول ابن القيم في «الفوائد» (ص١٤٥):

«إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا جعله معترفًا بذنبه ممسكًا عن ذنب غيره، جوادًا بما عنده زاهدًا فيما عند غيره، محتملًا لأذى غيره. وإنْ أراد به شرًّا عكس ذلك عليه».

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله العفو[١٥٤]:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (العفو) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له

الأثر الثاني: الثقة بعفو الله وعدم تضييع أمره ونهيه

الأثر الثالث: الحرص على تحصيل ثواب العفو وفضله

الأثر الرابع: محبة الله العَفُو

الأثر الخامس: اتصاف العبد بالعفو[١٥٥]

الأثر السادس: الدعاء باسم الله العفو

عفو الله تَعَالَى من أعظم العطاء الذي يعطيه الله لعبده، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير السؤال به، كما في حديثنا.

---

١٥٤ - ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ٣٦-٤١)، بتصرف

١٥٥ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص١١٦-١١٧)

المثل التطبيقي من حياة النبي صلى الله عليه وسلم في (العفو والغفران)[١٥٦]

أخرج البخاري في " صحيحه"، (٦٩٢٩)، ومسلم في " صحيحه"، (١٧٩٢)، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: "رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".

أخرج البخاري في " صحيحه"،(٣١٤٩)، ومسلم في " صحيحه"،(١٠٥٧)،عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ».

أخرج البخاري في " صحيحه"،(٤١٣٥)، ومسلم في " صحيحه"،(٨٤٣)،عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ " ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته[١٥٧]:

فيما يلي بعض الثمرات والفوائد العظيمة التي يجنيها العبد من إيمانه بأسماء الله وصفاته:

---

١٥٦ - ينظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٧/ ٢٩٠٦)

١٥٧ - ينظر: "العلاقة بين الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية الأخرى"، جامعة أم القرى، (ص٢٥-٢٦)، وأهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، د. سلطان

١- أن العبد يسعى إلى الاتصاف والتحلِّي بما يصح أن يتحلى به من هذه الصفات.

٢- أن يظل العبد دائم السؤال لربه، فإن أذنب سأله بصفات (الرحمة، والتَّوب، والعفو، والمغفــرة) أن يرحمه ويتوب عليه ويعفو عنه ويغفر له.

٣- أن العبد إذا آمن بصفة (الحب والمحبة) لله تعالى، وأنه سبحانه (رحيم ودود) استأنس لهذا الرب، وتقرَّب إليه بما يزيد حبه ووده له.

٤- الله تعالى يحب من أحبَّ أسماءه الحسنى وصفاته العلا، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٧٣٧٥)، ومسلم في " صحيحه"،(٨١٣)، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» ، وإذا أحببته، تفانيت في طاعته، واشتقت إلى رؤيته، فإن موسى عليه الصلاة والسلام حين سمع كلامَ ربه، أحَبَّه واشتاق إلى لقائه ورؤيته، وطلب ذلك منه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٥- إدراك أسرار الشريعة وحقيقة الأحكام الشرعية: فمن كانت له معرفة بأسماء الله وصفاته، واستقرار آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر ينتظمان بها أتم انتظام، ورأى سريان آثارها فيها، وعلم بحسب معرفته ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله، وما لا يليق، وعندئذ يكون المؤمن قد تعرف على الله تعالى معرفة صادقة من خلال معرفته للأسماء والصفات التي أخبرنا الله تعالى بها، كي نؤمن بها وكي نتعرف على الله من خلالها، وندعوه بها، ليكون لها أثرها في السلوك الفردي والاجتماعي، فعندما نتعرف على

الله الخالق والرازق، لا نطلب الرزق إلا منه، وعندما نتعرف على الله العليم الحكيم نسلِّم له الأمر كله، وعندما نعرف أنه متفرد بالخلق والأمر، فإننا نخضع لأمره وحكمه، وعندما نتعرف عليه سميعاً بصيراً تمتلئ نفوسنا تقوى وخشية له سبحانه[١٥٨]

٦- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا هي الطريق إلى إصلاح القلوب وتزكية النفوس، إن مما ينبغي أن يعتني به كلُّ إنسان - لا سيما في خِضَمِّ هذه الفتن المتلاحقة، والملهيات المتتابعة - أن يزكي نفسه، ويجلو صدأ قلبه، وقد أمر الله تعالى بذلك، بل ربط الفلاح بذلك، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤].

من فوائد (العفو والغفران)[١٥٩]

١. العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.
٢. كلاهما دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
٣. كلاهما دليل على سعة الصّدر وحسن الظّنّ.
٤. كلاهما يثمر محبّة الله عز وجل ثمّ محبّة النّاس.
٥. العفو أمان من الفتن وعاصم من الزّلل.
٦. الغفران دليل على كمال النّفس وشرفها.
٧. كلّ من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنّشء الصّالح لحياة أفضل.
٨. كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين.

فعلى العبد أن يعرف أسماءه وصفاته تبارك وتعالى، وما يجب عليه نحوها من الإثبات والتنزيه، لأن الإيمان

---

١٥٨ - ينظر: «مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية» (ص٢٤٦)
١٥٩ - ينظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٧/ ٢٩١٠)

بأسماء الله وصفاته يؤثر تأثيرا إيجابياً في سلوك الفرد والمجتمع، فإذا عرف الإنسان أسماء الله وصفاته، وعرف مدلولاتها على الوجه الصحيح فإن ذلك يعرفه بربه ويربطه به يعظمه ويخافه ويخشاه، في حين يتضرع إليه ويدعوه ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته[١٦٠]

٨- قيمة التوبة والاستغفار:

التوبة والاستغفار، كلمتان ترجع في الأصل إلى حقيقة واحدة، وهي إبراز العجز والإنابة والرجوع إلى الله[١٦١]

الاستغفار من طلب الغفران، والغفران: تغطية الذّنب بالعفو عنه، وهو أيضا طلب ذلك بالمقال والفعال[١٦٢]

قال الرّاغب في «المفردات في غريب القرآن» (ص١٦٩):

«التَّوْبَةُ في الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة. وتاب إلى الله».

وقال الجرجانيّ في "التعريفات"، (ص٧٠):

" التّوبة هي الرّجوع إلى الله بحلّ عقدة الإصرار عن القلب، ثمّ القيام بكلّ حقوق الرب". انتهى

وقيل: التوبة في الشّرع: النّدم على معصيته من حيث هي معصية، مع عزم ألّا يعود إليها إذا قدر عليها.

فقولهم على معصية: لأنّ النّدم على المباح أو الطّاعة لا يسمّى توبة، وقولهم من حيث هي معصية: لأنّ من ندم على شرب الخمر لما فيه من الصّداع أو خفّة العقل أو الإخلال بالمال والعرض لم يكن تائباً شرعاً، وقولهم: مع عزم ألّا يعود، زيادة تقرير؛ لأنّ النّدم على الشّيء لا يكون إلّا كذلك، ولذلك ورد في الحديث «النّدم توبة»[١٦٣]. وقولهم: إذا قدر عليها، إشارة إلى أنّ من سلب القدرة على معصية مثل الزّنا وانقطع طمعه عن عود القدرة إليه لم يكن ذلك توبة منه[١٦٤]

التوبة النصوح:

قال الجرجانيّ في «التعريفات» (ص٧٠):

---

١٦٠ - دراسة تحليلية للأصول العقدية للتربية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د. الزهراني، (ص١٢٢-١٢٣)

١٦١ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص١١٢)

١٦٢ - ينظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٢/ ٢٥٣)

١٦٣ - أخرج أحمد في " المسند"، (٤٠١٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ: كَانَ أَبِي عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "النَّدَمُ تَوْبَةٌ"

١٦٤ - ينظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٤/ ١٢٧٠)

«التوبة النصوح: هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله، قال ابن عباس، رضي الله عنهما: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود[١٦٥]، والتوبة في الشرع: الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحة، وهي واجبة على الفور عند عامة العلماء؛ أما الوجوب؛ فلقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ}، وأما الفورية، فلما في تأخيرها من الإصرار المحرم، والإنابة قريبة من التوبة لغةً وشرعًا، وقيل: التوبة النصوح: ألا يبقي على عمله أثرًا من المعصية سرًّا وجهرًا، وقيل: هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلًا وآجلًا، وقيل: التوبة: الإعراض والندم والإقلاع، والتوبة على ثلاثة معانٍ: أولها الندم، والثاني: العزم على ترك العود إلى ما نهى الله تعالى عنه، والثالث: السعي في أداء المظالم». انتهى

يقول ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٤٧٧):

«وقد اختلفت عبارات السَّلف عنها، ومرجعها إلى شيءٍ واحدٍ، فقال عمر بن الخطَّاب وأبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنهما: التَّوبة النَّصوحُ أن يتوبَ من الذَّنب ثمَّ لا يعودَ إليه، كما لا يعودُ اللَّبنُ إلى الضَّرع، وقال الحسن البصريُّ: هي أن يكون العبدُ نادمًا على ما مضى مُجْمِعًا على أن لا يعود فيه، وقال الكلبيُّ: أن يستغفر باللِّسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن، وقال سعيد بن المسيِّب: توبةً نصوحًا، تنصحون بها أنفسكم، جعَلَها بمعنى ناصحةٍ للتَّائب، كضَرُوب المعدول عن ضاربٍ، وقال محمَّد بن كعبٍ القُرَظيُّ رحمه الله: يجمعها أربعةُ أشياء: الاستغفارُ باللِّسان، والإقلاعُ بالأبدان، وإضمارُ تركِ العَودِ بالجَنان، ومهاجرةُ سيِّء الإخوان.

قلت: النُّصحُ في التَّوبة يتضمَّن ثلاثةَ أشياء:

تعميمُ جميع الذُّنوب واستغراقُها بها بحيث لا تدع ذنبًا إلّا تناولته.

والثّاني: إجماعُ العزم والصِّدق بكلِّيّته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردُّدٌ ولا تلوُّمٌ ولا انتظارٌ، بل يُجْمِعُ عليها كلَّ إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

الثّالث: تخليصُها من الشّوائب والعلل القادحة في إخلاصِها ووقوعِها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيته، والرَّغبة فيما لديه، والرَّهبة ممَّا عنده، لاكمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته ومنصبه ورياسته، أو لحفظ حاله أو حفظ قوّته وماله، أو استدعاءِ حمدِ النّاس، أو الهرَب من ذمِّهم، أو لئلّا يتسلَّطَ عليه السُّفهاءُ، أو لقضاءِ نَهْمته من الذَّنب، أو لإفلاسه وعجزه، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحّتها وخلوصها لله.

فالأوَّلُ يتعلَّق بما يتوب منه، والثَّالثُ بمن يتوب إليه، والأوسطُ يتعلَّق بذات التّائب ونفسه.

فنصحُ التَّوبةِ: الصِّدقُ فيها، والإخلاص، وتعميمُ الذُّنوب بها، ولا ريب أنَّ هذه التَّوبةَ تستلزم الاستغفارَ وتتضمَّنه، وتمحو جميعَ الذُّنوب، وهي أكملُ ما يكون من التَّوبة". انتهى

---

١٦٥ - ينظر: «التيسير في التفسير»، النسفي، (١٤/ ٤٩٢)

حقيقة التوبة:

التوبة في الحقيقة: الرجوع إلى الله تعالى بالتزام فعل ما يُحب ظاهرًا وباطنًا، وترك ما يَكره ظاهرًا وباطنًا.

فالتوبة في حقيقتها إذًا اسم لمجموع أمرين:

- الرجوع إلى المحبوب، وهو جزء من مسماها.
- والرجوع عن المكروه، وهو الجزء الآخر.

فليست التوبة إذًا مجرد الترك، وإن كان هذا هو ما يظنه كثير من الناس، وهو قصور في فَهم حقيقة التوبة؛ لأنه وإن كان ترك المكروه من لوازم التوبة، إلا أنها تتضمن أيضًا فعلَ المأمور، فمَن تَرَك الذنب تركًا مجردًا، ولم يرجع منه إلى ما يحبه الله تعالى لم يكن تائبًا، إلا إذا رجع وأقبل وأناب إلى الله عز وجل وحل عقد الإصرار، وأثبت معنى التوبة في القلب قبل التلفظ باللسان، فندم بقلبه، واستغفر بلسانه، وأمسك ببدنه، وبهذا يكون قد حقق مدلول التوبة الكاملة، وإذا كانت هذه هي حقيقة التوبة، فإن هذه الحقيقة يدخل في معناها الواسع: الإسلام والإيمان والإحسان، فيكون الدين داخلاً في مسمى التوبة

إنه يجب على العبد أن يبادر بالتوبة فإنه لا يدري متى يحضره الأجل، فيحال بينه وبين التوبة، وتفوته الفرصة فيندم حين لا ينفعه الندم، وينتقل إلى الدار الآخرة مثقلاً بالذنوب حاملاً للأوزار، إن الله حذر من ذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ....﴾، فقد حفل القرآن الكريم بذِكر التوبة والاستغفار في آيات عديدة، وسور مختلفة، وبيان فضل الله في قَبول توبة التائبين، ومغفرة ذنوب المستغفرين، وفي قبول التوبة رحمةٌ من الله تشمل جموعَ التائبين بصدق وإخلاص، ولولاها لفقَدَ الإنسان الأمل في رحمة الله، واستمرأ الذنوب، وظل سائرًا في غيِّه وطغيانه، حتى يوافيه الأجل المحتوم، وهو من رحمة الله محروم، وفي ذلك قنوط ويأسٌ من رحمة الله، لا يرضاهم الله، ومن ثم كانت الآية الجامعة، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، وكذلك آيات التوبة والاستغفار التي تهبُّ منها نسمات رحمة الله بعباده المذنبين، فاتحةً باب الأمل في قبول التوبة، وغفران الذنوب، بل وإبدال الذنوب حسنات للتائبين الصادقين في توبته قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠] ١٦٦

---

١٦٦ - التوبة والاستغفار في القرآن الكريم، أ. د. محمود، الألوكة

شمول التوبة لكل مراتب الدين (الإسلام، الإيمان، الإحسان)[١٦٧]:

يقول ابن القيّم في مدارج السالكين (١/ ٤٧٣-٤٧٤):

" التّوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدّين كلّه داخل في مسمّى التّوبة وبهذا استحقّ التائب أن يكون حبيب الله، فإنّ الله يحبّ التّوّابين ويحبّ المتطهّرين، وإنّما يحبّ الله من فعل ما أمر به، وترك ما نهي عنه، فإذاً التّوبة هي الرّجوع عمّا يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبّه ظاهراً وباطناً، ويدخل في مسمّاها الإسلام، والإيمان، والإحسان، وتتناول جميع المقامات، ولهذا كانت غاية كلّ مؤمن، وبداية الأمر وخاتمته وهي الغاية الّتي وجد لأجلها الخلق، والأمر والتّوحيد جزء منها، بل هو جزؤها الأعظم الّذي عليه بناؤها، وأكثر النّاس لا يعرفون قدر التّوبة ولا حقيقتها، فضلاً عن القيام بها علماً وعملاً وحالاً، ولم يجعل الله تعالى محبّته للتّوّابين إلّا وهم خواصّ الخلق لديه، ولولا أنّ التّوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرّبّ تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم، فجميع ما يتكلّم فيه النّاس من المقامات والأحوال هو تفاصيلها وآثارها، وأمّا الاستغفار، فهو **نوعان**: مفردٌ، ومقرونٌ بالتّوبة.

فالمفرد: كقول نوحٍ عليه السلام لقومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [نوح: ١٠ - ١١]، وكقول صالحٍ لقومه: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦]، وكقوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٩٩]، وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الأنفال: ٣٣]، والمقرونُ: كقوله تعالى: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود: ٣] فالاستغفار يتضمَّن التَّوبةَ، والتَّوبةُ تتضمَّن الاستغفارَ، وكلُّ واحدٍ منهما يدخل في مسمَّى الآخر عند الإطلاق، وأمَّا عند اقتران إحدى اللَّفظتين بالأخرى، فالاستغفارُ: طلبُ وقايةِ شرِّ ما مضى، والتَّوبةُ: الرُّجوعُ وطلبُ وقاية شرِّ ما يخافه في المستقبل من سيِّئات أعماله، وأيضًا فالاستغفارُ من باب طلبِ إزالةِ الضَّرر، والتَّوبةُ طلبُ جلبِ المنفعة، فالمغفرةُ أن يقيَه شرَّ الذَّنب، والتَّوبةُ أن يحصل له بعد الوقاية ما يحبُّه، فكلٌّ منهما يستلزم الآخرَ عند إفراده، والله أعلم..." انتهى بتصرف

فهذا هود عليه السلام يلفت أنظار قومه إلى فضيلة التوبة والاستغفار، مرغّبا بما عند الله ﷻ من النِعَمِ الدنيوية، فيقول: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، فإن هود عليه السلام عند ما يربط بين تلك الفضيلة الخلقية، وبين ذلك الوعد العاجل، فإنما يحقّق ذلك نظافة قلوبهم وسموّ أرواحهم، وهذا شعيب عليه السلام يوجّه قومه إلى فضيلة التوبة والاستغفار عن طريق التذكير لهم بالرحمة الإلهية، والمنّة الربانية، فيقول: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾، وهكذا نبينا محمد ﷺ يدعو قومه إلى فضيلة التوبة والاستغفار عن طريق الإخبار بما أعدّ الله ﷻ لهم من الأمتعة والملذّات في الدنيا، والفضل والإحسان في الآخرة، فيقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾، قال

---

١٦٧ - ينظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٤/ ١٢٧٣)

الرازي١٦٨: " واعلم أنه تعالى لمّا ذكر هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما يترتّب عليها من الآثار النافعة والنتائج المطلوبة"، إشارة منه سبحانه وتعالى أن حصول تلك المنافع، يرتبط ارتباطا وثيقا بممارسة إخلاص العبادة، وفضيلة التوبة والاستغفار لله ﷻ١٦٩

جمع القرآن بين التوبة والاستغفار، والفرق بينهما:

قرن الله تعالى بين التوبة والاستغفار، في أكثر من آية من كتابه كما قال عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٣]، وقوله عز وجل على لسان هود عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٥٢]، وقوله تعالى على لسان صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٦١]، وقوله سبحانه على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[هود: ٩٠].

فالاستغفار: طلب وقاية شرِّ ما مضى، **والتوبة** الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخُصَّت التوبة بالرجوع، والاستغفارُ بالمفارقة، وعند إفراد أحدِهما يتناول الأمرين.

أهمية الاستغفار:

إن العبد دائمًا دائرٌ بين نعمة من الله سبحانه وتعالى يحتاج معها إلى شكر، وبين ذنبٍ منه يحتاج فيه إلى الاستغفار، وكل من هذين الأمرين من الأمور اللازمة للعبد، والعارف بالله في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة، يزداد علمًا بالله، وبصيرة في دينه وعبوديته؛ بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه، ونومه ويقظته، وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حق ربه عز وجل سواء في القيام بعبادته حق القيام، أم في شكر نعمته، ولهذا كان محتاجًا إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطر إليه دائمًا في الأقوال والأفعال، وسائر الأحوال؛ لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، ولما كان الاستغفار بهذه الأهمية، قَرَنَه الله عز وجل في كتابه الكريم، بتوحيده تعالى قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩].

«فَالْعَبْد دَائِما بَين نعْمَة من الله يحْتَاج فِيهَا إِلَى شكر وذنب مِنْهُ يحْتَاج فِيهِ إِلَى استغفار وكل من هذَيْن من الْأُمُور اللَّازِمَة للْعَبد دَائِما فَإِنَّهُ لَا يزَال يتقلب فِي نعم الله وآلائه وَلَا يزَال مُحْتَاجا إِلَى التَّوْبَة والاستغفار وَلِهَذَا كَانَ سيد ولد آدم وَإِمَام الْمُتَّقِينَ يسْتَغْفر فِي جَمِيع الْأَحْوَال»١٧٠

"... وقد ثبتت: دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلى آخرهم ومن آخرهم إلى أولهم ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله ولكل عامل مقام معلوم، فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره؛ سره

١٦٨- ينظر: "التفسير الكبير"، (٦ / ٣١٥)

١٦٩ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٢٤١-٢٤٤)

١٧٠ - ينظر: «أمراض القلوب وشفاؤها» (ص٧٩)

وعلانيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك فإن الذنوب كلها من شعب الشرك فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه فأبلغ الثناء قول: لا إله إلا الله وأبلغ الدعاء قول: أستغفر الله فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين.."١٧١، بل قد أمر الله عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار، بعد أن بلَّغ الرسالة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، قال تعالى: {﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١ - ٣]، قالت عائشة رضي الله عنها: ما صَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾، إِلاَّ يَقُولُ فِيهَا: " سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي"، فلا أحسن إذًا من ختام العمل بالاستغفار؛ فإنه إن كان العمل سيِّئًا، كان الاستغفار كفارة له، وإن كان حسنًا، كان كالطابع عليه؛ قال صلى الله عليه وسلم: "سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ"، قَالَ: " وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ - فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ"، وقد امتثل صلى الله عليه وسلم لأمر الله عز وجل له بالاستغفار، فكان عليه الصلاة والسلام ملازمًا للاستغفار، كما أخبر بذلك عن نفسه صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ"١٧٢

والتوبة من معالم منهج تزكية النفوس، فقد جاء في القرآن الكريم الحث على التوبة ببيان حسن عاقبتها في الدنيا والآخرة كما قال ﷻ :﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، قال السعدي:" فيغفر لمن تاب فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب"١٧٣، وقد ورد الأمر بالتوبة لأنها سبب التخلص من آثار الذنوب التي تناقض تزكية النفوس كما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾١٧٤

المثل التطبيقى من حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى التوبة والاستغفار١٧٥

في " صحيح مسلم"، (٢٥٠٧)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، اسْتَغْفَرَ لِلْأَنْصَارِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: "وَلِذَرَارِيِّ الْأَنْصَارِ، وَلِمَوَالِي الْأَنْصَارِ".

وفي " مسند أحمد"، (١٧٩٥)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَامَ فِي الْكَعْبَةِ فَسَبَّحَ وَكَبَّرَ، وَدَعَا اللَّهَ عز وجل وَاسْتَغْفَرَ، وَلَمْ يَرْكَعْ وَلَمْ يَسْجُدْ".

---

١٧١ -ينظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٩٦)، وينظر: "مدارج السالكين" لابن القيم، (١/ ٣٤٥)
١٧٢ - التوبة والاستغفار في القرآن الكريم، أ. د. محمد أحمد محمود، الألوكة
١٧٣ - ينظر: " تيسير الكريم الرحمن"،(ص٢٨١)
١٧٤ - ينظر: " معالم منهج تزكية النفوس في سورة المائدة"،(ص٧٥-٧٦)
١٧٥ - ينظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٢/ ٢٩٩-٣٠١)، (١٢٩٢/٤)

وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٥١)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو يَقُولُ: "رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي".

وفي «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٣٤٤)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: ادْعُ اللَّهَ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنَ بِكَ. قَالَ: «أَوَ تَفْعَلُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ فَدَعَا اللَّهَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ؟ قَالَ: «يَا رَبِّ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةَ».

وفي " جامع الترمذي"، (٣٤٣٤)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ تُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ".

وفي " سنن أبي داود"، (١٥١٦)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ".

وفي " صحيح مسلم"،(٧٧١)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي"، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: "اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ"، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: "اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ".

وفي " صحيح مسلم"،(٢٧٠٢)، عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ".

وفي " صحيح مسلم"،(٥٩١)،عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: "اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: " كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ " .

وفي " صحيح البخاري"،(٨١٧)، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي " يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ .

وفي " صحيح مسلم"،(٤٨٤)، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي " يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وفي " صحيح مسلم"،(٤٨٤)، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ" قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ " فَقَالَ: " خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]، فَتْحُ مَكَّةَ، {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: ٣] ".

وفي " صحيح البخاري"، (١١٢٠)، و" صحيح مسلم"، (٧٦٩) عَنْ طَاوُسٍ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: " اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ - " قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»

وفي " جامع الترمذي"،(٣٢٥٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد] فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً".

وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٠٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْتُ دُعَاءَكَ اللَّيْلَةَ، فَكَانَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيَّ مِنْهُ أَنَّكَ تَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي" قَالَ: "فَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ شَيْئًا".

وفي " صحيح البخاري"،(٦٣٠٦)، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا،

فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

إن التوبة ليست مجرد لفظ يتردد على اللسان من غير التزام لمدلولها، إن مدلول التوبة هو الرجوع من المعصية إلى الطاعة.

٩- قيمة ومنزلة العبودية لله:

الشريعة الإسلامية أساس عظيم من أسس التربية الإسلامية، فهي بمعناها القرآني الواسع بيان للعقيدة، وللعبادة، ولتنظيم الحياة، ولتحديد تنظيم جميع العلاقات الإنسانية[١٧٦]

العبودية صفة خلقية تجمع بين أنواع من الفضائل، كالتوبة والإنابة والخوف والرجاء والخشوع والاستعانة والدعاء وغيرها، لا يبلغها كل أحد من البشرية، إلا من كان أكثر تحقيقاً له، مثل: الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم قد حازوا السبق في هذا الميدان، فقد كانت حياتهم انطلاقة جادة في تحقيق هذه العبودية[١٧٧] لذلك وصفهم الله ﷻ بهذه الصفة الخلقية، فراداً وجماعة[١٧٨]

التربية الإسلامية التي تضع كل شيء في موضعه الطبيعي، اعتبرت النمو بجميع جوانبه وسيلة لتحقيق مثلها الأعلى، وهو "العبودية لله وطاعته، وتحقيق عدالته وشريعته في جميع شئون الحياة الفردية والاجتماعية"، فالإسلام يحض على النمو بكل أشكاله، أي أن التربية الإسلامية تشمل رعاية النمو من كل جوانبه: الجسمية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، والذوقية، والروحية، والوجدانية، مع توجيه هذا النمو نحو تحقيق هدفها الأسمى، إن تربية الإنسان على إخلاص الخضوع، والطاعة، والعبادة لله وحده، في جميع أمور الحياة سينتهي إلى تنمية المشاعر الاجتماعية بشكلها المزدهر المتفتح الخير، والتربية الإسلامية، بهدفها المشترك وهو إخلاص العبودية لله، توحد فكرة الانتماء، وتربطها بهذا الهدف الأسمى، فجميع الناس ينتمون إلى أمة واحدة، هي التي اعتنقت عقيدة التوحيد، والهدف الجامع لكل جوانب التربية هو هداية الكائن الإنساني إلى الدين الحق، دين التوحيد، وإلى اعتناقه والاهتداء بأحكامه، وإخلاص العبودية لله[١٧٩]، فطريق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة هي العبودية لله كما أرادها، وامتثال الأمر واجتناب النهي، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمجموعة من العبادات والمعاملات والسلوكيات من شأنها أن ترتقي بالمسلم، وتأخذ بناصيته نحو السمو والسعادة والطمأنينة التي ينشدها كل إنسان، ولقد حوى القرآن والسنة المطهرة صفات لهذا الطريق وعلاماته، حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي»[١٨٠]

العبادة هي الجانب التطبيقي من العقيدة والعبادة، وكل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء وجه الله عبادة، **العبادة** مفهوم عام واسع، يجب ممارسة تلك العبادة في حياتنا اليومية[١٨١]

---

١٧٦ - ينظر: " أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص٥٥)

١٧٧ - ينظر: "الرسل والرسالات"، (ص٨٣)

١٧٨ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٩٨-٩٩)

١٧٩ - ينظر: «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص٩٦-١٠٧)، بتصرف

١٨٠ - ينظر: "محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص٧١-٧٢)

١٨١ - ينظر: «التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها» (ص١٤١)

العبادة هي الطاعة المتكاملة المترافقة المترابطة مع كمال الخوف وكمال الحب[١٨٢]، والعبودية لله وحده والتلقي من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة، ثمَّ هي الصلة الدائمة بالله في هذا كله، والعبادة هي الترجمة المحسوسة لصدق الإيمان وحسن تركز العقيدة في قلب المؤمن، فالعقيدة تمثل الجانب النظري من الدين وقد دعا الرسولﷺالناس إليها في بدء رسالته، أمّا الشريعة فهي الجانب العملي من الدين [١٨٣]، العبودية تعني أن يستسلم المرء لخالقه بكل جوارحه وطاقاته وتصرفاته وأفكاره وشعوره، كما تعني أن ينقاد للشرع ويحكمه في نفسه وأهله وما ملكت يمينه، تاركاً أهواءه وشهواته وراءه ظهرياً، بهذا الاستسلام وبهذا الانقياد يكون الفرد عبداً لله، عبداً يوظف كل ما يملك من نعم مادية أو معنوية ابتغاء مرضات الله ويجعلها ذخراً وزاداً ليوم المعاد استعداداً، قال تعالى : { وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا } [١٨٤]

وفي الشعائر التعبدية إحكام للصلة بين العبد وربه وترسيخ للإيمان في نفسه، وأهم ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل ويزيد من إيمانه ويرفع درجته هو أداء الفرائض التي افترضها سبحانه وتعالى هي قدر مشترك بين العباد، فيما يتعلق بالكم لا بالكيف، ثم يتفاوتون فيما عدا ذلك من نوافل العبادات، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٥٠٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺصلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "، ففي الحديث دلالة على أن أحب الأعمال إلى الله هو أداء الفرائض وهي على **نوعين** :

أ. ظاهرة: وهي التي تؤدى بالجوارح.

ب. باطنة: وهي أعمال القلوب.

فالظاهرة: عملاً كالصلاة والزكاة وغيرها من الأفعال، وتركاً مثل: الربا والقتل وغيرها من المحرمات

والفرائض الباطنة:

هي كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه، وكل ذلك ينقسم إلى أفعال وتروك، فأول ما يتشبث به الفرد في سيره إلى ربه وتربية ذاته هو المحافظة على هذه الفرائض وعدم التهاون بها بأي حال من الأحوال، ويأتي بعد ذلك باب النوافل وهي ما زاد على الفرائض من صلاة وصيام وصدقة وغيرها، وهذا الباب متيسر لكل فرد أن يلجه وأن يكثر من أداء النوافل طمعاً في نيل رضا الخالق الذي هو غاية كل مخلوق والهدف من تربية النفس، إذا نال العبد محبة الله ورضاه وفقه الله لكل خير وعصمه من كثير من الشرور.

قال الخطابي في «أعلام الحديث» (٣/ ٢٢٥٩): «والمعنى -والله أعلم- توفيقه للأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها، فيحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من إصغاء إلى اللهو بسمعه ونظر إلى ما نهى عنه ببصره وبطش إلى مالا يحل له بيده، وسعى في الباطل برجله وقد يكون معناه سرعة إجابة الدعاء والإنجاح في الطلبة وذلك؟ أن مساعي الإنسان إنما تكون بهذه الجوارح الأربع». انتهى

لقد جاء الدين الإسلامي بعبادات شتى تملأ حياة المسلم في كل الظروف والأحوال وبالليل والنهار، فهناك العديد من السنن القولية والعملية والتي يعتبر أداؤها من الأساليب المهمة لتربية النفس، ومن هذه العبادات حسن الخلق وقيام الليل وصيام التطوع والصدقة وقراءة القرآن والأذكار المتنوعة وغيرها الكثير، ولا شك في أن الإتيان بهذه العبادات تقوية للصلة التي تربط بين العبد وربه وتوثيقاً لعرى الإيمان في قلبه فتزكو النفس وتصفو الروح، وهذا الأمل هو الذي يدفعه ليكون له من كل منها حظ ونصيب مما يجعله ينوع في عباداته وأعماله الصالحة كما قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الحج : ٧٧]، ولعل في هذا التنوع مراعاة لطبيعة النفس الإنسانية التي إذا داومت على أمر معين تملته حتى لو كان هذا الأمر طعاماً أو شراباً أو عملاً أو مسكناً[١٨٥]

إنَّ النواحي العبادية هي الأمور المهمة التي لا بدَّ من أخذها بكل اهتمام وجدية على طريق تكملة بناء الإنسان المسلم وتتم هذه الخطوة عن طريق الوالدين والمربين، بأن يعوّدوا الطفل على ممارسة الأمور العبادية من صوم وصلاة وما شابه ذلك، والغاية من ذلك تعويد الطفل وتمرينه على فعل العبادات والطاعات، وإن لم يدرك ما الفائدة منها، وما المنفعة المترتبة عليها، إلاّ أنَّ ممارسته على فعلها مع تشجيعه عليها بحيث تصبح عادة لديه، فلا يصعب عليه متى كبر وشبّ أن يؤدي صلاته، وحتى تصبح

---

[١٨٢]- ينظر: " التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً"،(ص ١٤٠)

[١٨٣] - ينظر: " الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية"، (ص ٢٦٣)

١٨٤ - ينظر: "التربية الذاتية من الكتاب والسنة"، (ص١١-١٢)

١٨٥ - ينظر: "التربية الذاتية من الكتاب والسنة"، (ص٦٦-٦٨)

الصلاة وما فيها من فائدة جزءاً من تفكيره وسلوكه ١٨٦، وكان من دعاء النبي كما في " جامع الترمذي"،(٣٢٣٣)، "..... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ،.." الحديث، " هذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية وأكملها، فقوله: " أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات "، يتضمن طلب كل خير وترك كل شر، فإن الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى ويقرب منه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبات، والمنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى ويباعد منه من الأقوال والأعمال، فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا والآخرة، وقد كان النبي يستحب مثل هذه الأدعية الجامعة"١٨٧

١١- الحرص على الجوامع من الدعاء:

كانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُعجبه من الدعاء جوامعه١٨٨، فإنَّ الله سبحانه وتعالى بعث محمَّدًا صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلِم، وخصَّهُ ببدائع الحِكم١٨٩، أخرج أبو داود في " سننه"،(١٤٨٢)، عَنْ عَائِشة رضي الله عنها، قالتْ: "كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذلِكَ"، وأخرج أحمد في " المسند"،(٢٥١٥١)، عَنْ عَائِشة قالتْ: "كانَ يُعْجِبُهُ الْجَوَامِعُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا بَيْنَ ذلِكَ"، وأخرج أحمد في " المسند"،(٢٥١٣٧)، عَنْ عَائِشة، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ وَعَائِشة تُصَلِّي، فقال لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكِ بِالْكَوَامِلِ»، أَوْ كَلِمَةٍ أُخْرَى، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ عَائِشة سَأَلَتْهُ عَنْ ذلِكَ؟ فقال لَهَا: " قُولِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا "، وأخرج أحمد في " المسند"،(٣٨٧٧)، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عُلِّمَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ وَجَوَامِعَهُ - أَوْ جَوَامِعَ الْخَيْرِ وَفَوَاتِحَهُ - وَإِنَّا كُنَّا لا نَدْرِي مَا نَقُولُ فِي صَلاتِنَا، حَتَّى عُلِّمْنَا، فقال: قُولُوا: "التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

---

١٨٦ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص١٢٠-١٢١) ، و "الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية"،(ص٢٦٥)

١٨٧ - ينظر: «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص٩٣)

١٨٨ - ينظر: «جامع العلوم والحكم» (ص٩٤٨)

١٨٩ - ينظر: «جامع العلوم والحكم» (٥٣/١)

وفي «صحيح البخاري» (٦/ ١٩١)، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي»، قال مُحَمَّدٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الكَلِمِ: أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ الأُمُورَ الكَثِيرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الكُتُبِ قَبْلَهُ، فِي الأَمْرِ الوَاحِدِ وَالأَمْرَيْنِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

وحاصله أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يتكلَّم بالكلام الموجَز القليل اللفظ، الكثير المعاني، وهكذا الشأن في أذكاره وأدعيته صلوات الله وسلامه عليه، كان يُعجبه من ذلك جوامع الذِّكر والدعاء ويدع ما بين ذلك،[١٩٠]

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٢٩٥):

"... وَمِنْهُ الحَدِيثُ فِي صِفته صلى الله عليه وسلم «أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّم بِجَوَامِعِ الكَلِمِ» أَيْ أَنَّهُ كَانَ كَثِير المعاني قَلِيل الأَلْفَاظ، وَالحَدِيث الآخَرُ «كَانَ يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ من الدُّعاء» هِيَ الَّتِي تَجْمَعُ الأَغْرَاضَ الصَّالِحَة والمقاصِد الصَّحِيحة، أَوْ تَجْمَعُ الثَّنَاء عَلَى اللهِ تَعَالَى وآدَاب المَسْأَلة". انتهى

والكلمة الجامعة هي التي تجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة، وقيل: هي التي تشتمل جميعَ الخيرات[١٩١]، وقيل: "هي ما لفظه يسير، ومعناه كثير، شامل للأمور الدينية والدنيوية، والأحوال الأخروية، وَقَالَ المُظْهِرُ هِيَ مَا لَفْظُهُ قَلِيلٌ وَمَعْنَاهُ كَثِيرٌ شَامِلٌ لِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نَحْوُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَذَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى وَنَحْوُ سُؤَالِ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ [١٩٢]

جاء في «شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن» (٥/ ١٧١٥)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (٣/ ١٢٩)

"قوله: "قالت عائشة: كانَ رسولُ الله عليه السلام يستحبُّ الجوامعَ من الدعاءِ ويَدَعُ ما سِوَى ذلك"، (يدع)؛ أي: يترك، والمراد بـ(الجوامع): ما كان لفظه قليلًا، ومعناه مجموعًا فيه خيرُ الدنيا والآخرة نحو أن يقول: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}".

قال الخطابي في «شأن الدعاء» (١/ ٢):

«أَوْلَى مَا يُدْعَا بِهِ، وَيُسْتَعْمَلُ مِنْهُ مَا صحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَثَبَتَ عَنْهُ بِالأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ؟ فَإِنَّ الغَلَطَ يَعْرِضُ كَثِيرًا فِي الأَدْعِيَةِ الَّتِي يَخْتَارُهَا النَّاسُ؛ لاخْتِلَافِ مَعَارِفِهِمْ، وَتَبَايُنِ مَذَاهِبِهِمْ فِي الاعْتِقَادِ،

---

١٩٠ - ينظر: «فقه الأدعية والأذكار» (٢/ ٥٩-٦٠)

١٩١ - ينظر: «شرح سنن أبي داود لابن رسلان» (٧/ ٢٢٨)، و«الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» (٧/ ١٩٣)، و«شرح المصابيح لابن الملك» (٣/ ٧٨)، و«شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (١٢/ ٩)، و«جامع الأصول» (٤/ ١٦٣)

١٩٢ - ينظر: «الحرز الثمين للحصن الحصين» (١/ ٢٥٥)

والانتِحَال، وَبَابُ الدعَاءِ مَطِيَّة مَظِنة لِلخطَر، وَمَا تحت قدَم الدَّاعِي دَحْض؛ فليُحذرْ فِيهِ الزَّلل، وَلْيُسْلك منْهُ الجُدَد الذِي يُؤْمَنُ مَعَهُ العَثارُ، وَمَا التوفيْقُ إلا بالله عز وجل.." انتهى

فالواجبُ على كلِّ مسلم أن يعرف عِظَمَ قدر الأدعيةِ النبوية ورفيع مكانتها وأنّها مشتملةٌ على مجامع الخير وأبواب السعادةِ ومفاتيح الفلاح في الدنيا والآخرة، فخيرُ السؤال أن يسأل المسلمُ ربَّه من خير ما سأله منه عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وسلم، وأفضلُ الاستعاذة أن يستعيذ بالله من شرِّ ما استعاذ منه عبدُ الله ورسولُه صلى الله عليه وسلم، فإنَّ في ذلك فواتحَ الخير وخواتِمَه وجوامعَه، وأوَّلَه وآخرَه، وظاهره وباطنَه، ومن يتأمَّل جميعَ الأدعيةِ الواردةِ في القرآن والسنةِ يجدها كذلك، فإنَّ الله تبارك وتعالى قد اختار لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم جوامعَ الأدعيةِ وفواتح الخير وتمام الأمر وكماله في الدنيا والآخرة، فكيف يدَعُ المسلمُ هذا الخيرَ العميمَ والفضل العظيم الذي اشتملت عليه أدعيةُ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ويُقبلُ على أدعيةٍ أخرى لغيره[١٩٣]، فجملة دعائه صلى الله عليه وسلم يَشمَل خير الدنيا والآخرة، فلو تمسَّك كلٌّ منا بما دعا به نبينا، ودَاوَم عليه، لنال شرف الدنيا والآخرة، وجميع دعائه عليه الصلاة والسلام بما يحتويه من بلاغة، قليل الألفاظ، جامع لمعانٍ كثيرة، فبعضه يُكمِّل بعضًا، وهو الشفاء لعِلل القلوب والأبدان، وجلاء البصائر عما يعتريها من حُجُب الغفلة، وله تأثير يَرسَخ في القلوب، والدعاء الجامع يوصل الداعي إلى مطلبه بأسهل الطرق[١٩٤]

١٢- قيمة ومنزلة الدعاء:

إِنَّ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَعَلُّقِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَتَحْقِيقِ تَوْحِيدِهِ لِمَوْلَاهُ وَخَالِقِهِ: **افْتِقَارَ الْعَبْدِ** إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي حَاجَاتِهِ، وَالتَّضَرُّعَ لَهُ فِي سُؤَالِهِ وَرَغَبَاتِهِ.

قال الخطابي في «شأن الدعاء» (١/ ٤):

«وَمَعْنَى الدعَاءِ: استدعَاء العَبْدِ رَبهُ عز وجل العِنَايَة واستمداده إياه المَعُوْنَة، وَحَقِيْقَته: إِظْهَارُ الافْتِقَارِ إِلَيهِ، والتبَرُّؤ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوة، وَهوَ سِمَةُ العبودية، واسْتِشْعَارُ الذِّلةِ البَشَرِيةِ، وَفيهِ مَعْنَى الثنَاءِ عَلى الله عز وجل، وإِضَافَةُ الجود، وَالكَرَمِ إليه». انتهى

" ولعل التعريف الشامل أن يقال: "الرغبة إلى الله تعالى والتوجه إليه، في تحقيق المطلوب، أو دفع المكروه، والابتهال إليه في ذلك إمَّا بالسؤال، أو بالخضوع والتذلل، والرجاء والخوف والطمع"[١٩٥]

الدعاءُ شأنُه في الإسلام عظيمٌ، ومكانتُه فيه ساميةٌ، ومنزلتُه منه عالية، في الدعاء يجد الداعي لروحه غذاء، ولنفسه دواء، يدعم كيانها، ويقوى بنيانها، ويجعلها تتغلب على كل ما يؤثر عليها، فلا يتسرب إليها يأس، ولا

---

١٩٣ - ينظر: «فقه الأدعية والأذكار» (٢/ ٦٠)

١٩٤ - ينظر: "إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنز أنت هذا الدعاء"، (ص٢)

١٩٥ - ينظر: «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» (١/ ٤٨)

يتملكها ضعف، والدعاء من العبادات التي جعل الله تعالى لها أهمية كبرى في حياة المسلم، لما لها من أثر كبير في الدنيا بدفع البلاء ورفع المصائب، وفي الآخرة من أجر كبير وثواب جزيل، ولذلك نرى أن النصوص القرآنية قد أمرت بها وحثت عليها، بل جاء التخويف من تركها والإعراض عنها، قال تعالى: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} [غافر: ٦٠]، وَلِذَلِكَ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف:٥٥]، وَبَيَّنَ لَنَا حَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَلُّقِ بِاللهِ تَعَالَى فِي كَشْفِ الْكُرُبَاتِ، وَسُؤَالِ الْحَاجَاتِ، لِمَا قَامَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ عَظِيمِ التَّوْحِيدِ، وَشِدَّةِ التَّعَلُّقِ بِالْعَزِيزِ الْحَمِيدِ؛ قَالَ تَعَالَى: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[الأنبياء:٩٠]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}[الأنبياء:٧٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء:٨٣-٨٤]، وقال تعالى: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون} [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف: ٢٨].

عناية القرآن الكريم بالدعاء وافتتاحه به واختتامه به وهذا دليل واضح على منزلة الدعاء ومكانته[١٩٦]، الدعاء عبادة عظيمة تظهر فيها روح العبادات كلها وهي الذل والخضوع والافتقار إلى الله تعالى، بالإضافة إلى ما فيه من التعرض لرحمة الله وفضله، فلذلك كان الدعاء أفضل العبادة وما من عبادة إلا وهي متضمنة للدعاء، والله سبحانه يحب من يدعوه ويلح في دعائه ويظهر الافتقار إليه[١٩٧]

الدعاء عبادة من أجل وأعظم العبادات والطاعات وأنفع القربات، ففي " جامع الترمذي"، (٢٩٦٩)، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:٦٠] قَالَ: "الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ"، وَقَرَأَ: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} - إِلَى قَوْلِهِ - {دَاخِرِينَ} [غافر:٦٠].

الدعاء استعانة من عاجز ضعيف بقوي قادر، استغاثة ملهوف برب رؤوف، ففي " جامع الترمذي"،(٣٥٥٦)، عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٧٣)، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: "اللَّهُ أَكْثَرُ"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٣٨١)، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ".

فوائد وأثر الدعاء التربوي:

- عظم منزلة الدعاء حيث عده الرسول صلى الله عليه وسلم هو العبادة، أي الركن الأعظم فيها.
- أنه أفضل العبادة لما فيه من ذكر الله والالتجاء والرغبة إليه، والاعتماد عليه وإظهار الافتقار إليه تعالى.

---

١٩٦ - ينظر: «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» (١/ ٢٩٢)
١٩٧ - ينظر: «الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية» (ص٧١)

- أن الله جعله سبباً لتبديل القضاء، وهو من القضاء.

- محبة الله لمن يدعوه وغضبه على من لم يدعه.

- الدعاء يزيد في الإيمان والتوحيد والمعرفة وحياة القلب ويقوي الفطرة، ويتضمن اعتقاد الداعي بوجود الرب المدعو، وعلمه وسمعه وقدرته وسائر صفاته، فالواجب على الداعي استشعار هذه المعاني وهذه الصفات[١٩٨]، يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالإِجَابَةِ عَلَى دُعَائِهِمْ؛ وَدُعَاءُ العَبْدِ رَبَّهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيْمَانِهِ بِرَبِّهِ، وَخَوْفِهِ مِنْهُ، وَطَمَعِهِ فِي ثَوَابِهِ وَكَرَمِهِ، وَرَحْمَتِهِ[١٩٩]

- الدعاء من أسباب رفع البلاء.

- تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله سبحانه وتعالى وصلتها به، ومن ثمَّ كانت حياة الرسول ﷺ دعاء دائماً، يدعو مع كل عمل وكل حركة بالليل وبالنهار.

- الدعاء هو سبيل القوة الحقة، فمن وراء إيمانه وإحساسه أنه تحت رعاية الله وحفظه وأنه يستمتع إليه إذا شكا، وأنه قريب يستجيب دعاءه، فإنه يجابه الحياة، أملاً في الله متوكلاً عليه..[٢٠٠]

أنواع الدعاء[٢٠١]: ينقسم الدعاء إلى نوعين:

النوع الأول: دعاء المسألة: والمراد به طلب ما ينفع الداعي، وكشف ما يضره.

النوع الثاني: دعاء العبادة: والمراد به الثناء على الله تعالى بأسمائه وصفاته، وتقديسه وتنزيهه، إما إنشاءً وإما خبراً، يعني إما أن يثني على الله بما هو أهله، ولا يطلب شيئاً، وإما أن يثني على الله تعالى ويقدم ذلك يتوسل به إلى الله عز وجل لتحقيق غرض يريده أو يدعو الله تعالى إياه، ويسأله تحقيقه.

فدعاء العبادة هو العبادة نفسها، والتي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى، طالبًا رضوانه والجنة، وأن يبعده من النار وما يقرب إليها، ويدخل في ذلك جميع ما يتعبد به الله تعالى، ومن أعظم العبادات هي سؤاله والطلب منه سبحانه وتعالى، وهو النوع الثاني من أنواع الدعاء وهو: دعاء المسألة، وهو أن يسأل الله ويطلب منه تحقيق أمر من أمور الدنيا أو الآخرة[٢٠٢]

قال ابن القيم في: «بدائع الفوائد» (٣/ ٨٣٥):

«قوله عز وجل: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [الأعراف: ٥٥ - ٥٦]، هاتان الآيتان مشتملتانِ على آداب نوعي الدُّعاء: دعاءِ العبادة ودعاءِ المسألة، فإنَّ الدعاءَ في القرآن يُرادُ به هذا تارة وهذا تارةً، ويرادُ به مجموعهما، وهما متلازمان، فإن دعاءَ المسألة هو طلب ما ينفع الدَّاعيَ، وطلب كشف ما يضرُّه أو دَفْعه. وكُلُّ من يملكُ الضُّرَّ والنفع حقًّا فإنه هو المعبودُ حقًّا، والمعبودُ لا بُدَّ وأن يكونَ مالكًا للنفع والضُّرِّ». انتهى

---

١٩٨ - ينظر: "تحفة الأحوذي"، (٦/ ٢٨٩)،و" الفتوحات الربانية"،(١/ ١٧)، و«الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» (١/ ٢٣٩)

١٩٩ - ينظر: "أيسر التفاسير"، (١ / ٤٠٧٣)

٢٠٠ - ينظر: "الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية"، (ص ٢٠٨-٢٠٩)

٢٠١ - للاستزادة ينظر: «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» (١/ ١٠٧-١١٥)، و «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص٣٢)

٢٠٢ - ينظر: «القواعد في توحيد العبادة» (٢/ ٨٨١)

والغالب أن كلمة (الدعاء) الواردة في آيات القرآن الكريم يراد بها المعنيان معاً، لأنهما متلازمان، فكل سائل يسأل الله بلسانه فهو عابد له، فإن الدعاء عبادة، وكل عابد يصلي لله أو يصوم أو يحج فهو يفعل ذلك يرد من الله تعالى الثواب والفوز بالجنة والنجاة من العقاب.

قال السعدي في "القواعد الحسان" (ص١٢٧): "كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين، يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة". انتهى.

فالدعاء من أعظم العبادة لله تعالى، لأن فيه إظهاراً للذل والفاقة والحاجة إلى الله عز وجل، وفيه خضوع وخشوع له سبحانه من عبده الذي يدعوه[٢٠٣]

قال ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية»، (ص٤٦٩):

«وَإِذَا عَلِمَ الْعِبَادُ أَنَّهُ قَرِيبٌ، مجيب دعوة الداعي، وعلموا قربه منهم، وتمكنهم من سؤاله، علموا عِلْمَهُ وَرَحْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ، فَدَعَوْهُ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ فِي حَالٍ، وَدُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ فِي حَالٍ، وَجَمَعُوا بَيْنَهُمَا فِي حَالٍ، إِذِ "الدُّعَاءُ" اسْمٌ يَجْمَعُ الْعِبَادَةَ وَالِاسْتِعَانَةَ، وَقَدْ فُسِّرَ قَوْلُهُ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} بِالدُّعَاءِ، الَّذِي هُوَ الْعِبَادَةُ، وَالدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ الطلب». انتهى

ومن جوامع الدعاء من السنة النبوية المطهرة، **سؤال الله تعالى العفوَ والعافية في الدين والدنيا والآخرة**، والحفظ في الأهل والمال[٢٠٤]، وهذا الدعاءُ المبارك عظيمُ المعنى عميقُ الدلالة كبيرُ النفع والأثر، ومن أوتي العافية في الدنيا والآخرة فقد أوتي الخير بحذافيره، والعافيةُ لا يعدلها شيء، فهي دعوةٌ جامعةٌ وشاملةٌ للوقاية من الشرور كلِّها في الدنيا والآخرة[٢٠٥]، ومن الدعوات العظيمة التي كان يحافظ عليها النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم كلَّ صباح ومساء، بل كان لا يَدَعُها كلَّ ما أصبح وأمسى، وقد بدأ صلى الله عليه وسلم هذا الدعاءَ العظيمَ بسُؤال الله العافية في الدنيا والآخرة، والعافيةُ لا يَعدِلُها شيءٌ، ومن أُعطي العافيةَ في الدنيا والآخرة فقد كَمُلَ نَصِيبُه من الخير، والعَفْوُ: مَحْوُ الذنوب وسترُها، والعافيةُ: هي تأمين الله لعبده مِن كلِّ نِقْمَةٍ ومِحنَة، بصرف السُّوء عنه ووقايته من البلايا والأسقام وحفظه من الشرور والآثام، وقد سأل صلى الله عليه وسلم العافيةَ في الدنيا والآخرة، والعافيةَ في الدِّين والدنيا والأهلِ والمال، وأمَّا سؤال العافية في الدِّين فهو طلبُ الوقاية من كلِّ أمرٍ يَشِينُ الدِّينَ أو يُخِلُّ به، وأمَّا في الدنيا فهو طَلَب الوقاية من كلِّ أمرٍ يَضُرُّ العبدَ في دنياه مِن مُصيبة أو بَلاء أو ضَرَّاء أو نحو ذلك، وأمَّا في الآخرة فهو طَلَبُ الوقاية من أهوال الآخرة وشدائدها وما فيها من أنواع العقوبات، وأمَّا في الأهل فبِوِقايَتِهم مِن الفتَن وحِمايَتِهم من البَلَايَا والمحن، وأمَّا في المال فبِحفظِه مِمَّا يُتْلِفُه مِن غَرَقٍ أو حَرْقٍ أو سَرِقةٍ أو نحو ذلك، فجَمَع في ذلك سؤالَ الله الحفظَ من جَميع العَوارِض المُؤْذِيَة والأخطار المُضِرَّة[٢٠٦]

---

٢٠٣ - ينظر: "أهمية الدعاء"، (ص٥)

٢٠٤ - ينظر: «مراقي العزة ومقومات السعادة» (ص١٧٣)

٢٠٥ - ينظر: «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ٢٦٠-٢٧١)، بتصرف

٢٠٦ - ينظر: «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ٢٧-٣٨)

١٣- الاعتناء بذكر الله والإكثار منه:

قال الله تعالى: {فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلا ليَعْبدون} [الذاريات: ٥٦]، فعُلِم بهذا إنَّ مِنْ أفْضَلِ أو أفضل حال العبد، ذكره لرب العالمين، واشتغاله بالأذكار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين[٢٠٧]، كل عبادة من العبادات المشروعة تتضمن الدعاء، بل الصلاة في اللغة هي الدعاء، ولقد حث الله عباده على الدعاء وأنه يحب الملحين فيه[٢٠٨]، فالمسلم ينبغي له أن يعتني بذكر الله والإكثار منه فإن الله تعالى يقول: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أذكاراً نقولها في الصباح والمساء وعند النوم ترفع بها درجات المسلم ويزداد بها إيمانه، ويعصمه الله بها من شر الشيطان وشر كل ذي شر فلا يضره شيء بإذن الله وحده.

ذِكر الله عز وجل من أيسر العبادات وأسهلها وأجلّها وأفضلها، فحركة اللسان أخف حركات الجوارح، وقد رتب الله عليه من الفضل والعطاء ما لم يرتب على غيره من الأعمال، وحاجة القلب للذكر أعظم من حاجة البدن للطعام، وضرر المعاصي للقلب أشد من ضرر السموم للبدن، لهذا ما فرض الله عز وجل على عباده من فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، إلا الذكر فإنه لأهميته لم يجعل الله له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، فلعظيم منافع الذكر أمرنا الله عز وجل بذكره في جميع الأوقات والأحوال، بقوله سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)} [الأحزاب:٤١ - ٤٢]، فالذكر الكامل يولّد الإيمان الكامل، والعمل الكامل، وجزاء ذلك النعيم الكامل كما قال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)} [فُصِّلت:٣٠ - ٣٢]، ويسن ذكر الله في جميع الأوقات والأحوال[٢٠٩]، ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك صدئ، وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب، وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره، قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}[٢١٠]

وقد ذكر ابن القيم في «الوابل الصيب» (ص٤٠-٨٢)، أن في الذكر أكثر من مائة فائدة.

أخرج الترمذي في " جامعه"،(٢٨٦٣)، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ، أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَامْتَلَأَ المَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ

---

٢٠٧ - ينظر: «الأذكار»، للنووي، (ص٣)

٢٠٨ - ينظر: "أهمية الدعاء"، (ص١)

٢٠٩ - ينظر: «موسوعة الفقه الإسلامي»، (١/٦٦٧-٧٠٠)

٢١٠ - ينظر: «الوابل الصيب»، (ص٤٠)

يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أُفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى جِحْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ "، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: "وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ".

ويستحب للمسلم الدعاء بهؤلاء الكلمات الجامعة في الصباح والمساء تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولما في هذا الدعاء من الخير العظيم الجامع لسعادة الدنيا والآخرة[٢١١]، وقد جاءت الأذكار والأدعية في الكتاب والسنة، منها ما هو مطلق لم يقيد بوقت، ومنها ما هو مقيد بوقت، ومنه الصباح والمساء وما جاء في معناهما، كحديث ابن عمر رضي الله عنهما هذا، وقد جاء في القرآن قوله تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [طه: ١٣٠]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)} [الأحزاب: ٤١، ٤٢]

١٤- المسلم يحتاج إلى إعانة الله تعالى في أموره كلها:

إن من أصول الإيمان بالله تجريد الاستعانة بالله سبحانه وحده، كتجريد العبادة له وحده، سواءً الاستعانة به في الهداية والاستقامة وصلاح القلب، أو في إدراك المطالب وقضاء الحوائج التي يفتقر إليها المخلوق في معاشه ومصالحه الدنيوية، وكل خير يحصل للعبد فأصله بتوفيق الله سبحانه وتعالى له، ومعونته له على أدائه، وما استُجلب التوفيق بمثل المبالغة والالحاح في الدعاء والمسألة في طلب المعونة ممن وصف نفسه بأنه "المعين" جل جلاله، والاستكثار من إظهار شدة الافتقار والخضوع والعجز والتذلل ومسيس الحاجة لرب العالمين الذي من صفاته العظمى أنه (الصمد) الذي تصمد إليه كل الخلائق، المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه

والاستعانة بالله **شرعًا** هي: طلبُ العون من الله في الوصول إلى المقصود، وطلب العون من الله جل وعلا يكون على الأمور الدينية وعلى الأمور الدنيوية، المتضمن لكمال الذل من العبد لربه سبحانه، وتفويض الأمر إليه وحده، واعتقاد كفايته.

والاستعانة فيها معنى الطلب، وما كان فيها معنى الطلب من العبادات، فإنه يصلح دليلًا لها كل ما فيه وجوب إفراد الله جل وعلا بالطلب والسؤال، فأي دليل فيه وجوب إفراد الله جل وعلا بالدعاء، يصلح دليلًا بإفراد الله جل وعلا

٢١١ - ينظر: «منحة العلام في شرح بلوغ المرام» (١٠/ ٤٤٤)

بأنواع الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فإنه يصلح دليلًا للاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، ونحو ذلك.

والاستعانة بالله جل وعلا تتضمن ثلاثة أمور:

الأول: كمال الخضوع والتذلل لله تعالى.

والثاني: الثقة بالله جل وعلا، واعتقاد كفايته.

والثالث: الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وتفويض الأمر إليه، وهذه لا تكون إلا لله جل وعلا.

الاستعانة أنواع[٢١٢]:

١- الاستعانة بالله: وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته، وهذه لا تكون إلا لله تَعَالَى، ودليلها قوله تَعَالَى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥].

٢- الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه: فهذه على حسب المستعان عليه كالتالي:

- إن كانت على بر: فهي جائزة للمستعين، مشروعة للمعين؛ لقوله تَعَالَى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: ٢].
- إن كانت على إثم: فهي حرام على المستعين، والمعين؛ لقوله تَعَالَى: {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٢].
- إن كانت على مباح: فهي جائزة للمستعين، والمعين، لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير؛ ومن ثم تكون في حقه مشروعة؛ لقوله تَعَالَى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]

٣- الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر: فهذه لغو لا طائل تحتها، مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

٤- الاستعانة بالأموات مطلقًا، أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته، فهذا من الأمور الشركية، لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله، ولأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون.

الاستعانة بالله عز وجل هي رفيقة المسافر إلى ربه، فبها يهدى السبيل، وبها يبدأ المسير، وبها يكون الثبات، وبها يبلغ الغايات، فهي ضرورة، لينال العبد السعادة والغنى عن كل ما سوى الله، ولينال راحة القلب، واطمئنان النفس، فإذا فقدها فقد سعادته، وكان فقره بين عينيه، وذله للخلق مستوليًا عليه[٢١٣]. فبالاستعانة بالله تستغني عن الاستعانة بالخلق، وكمال غنى العبد في تعلقه بربه، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره، وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً، وقد أمر الأنبياءُ أقوامهم بالاستعانة بالله وحده، قال سبحانه: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[الأعراف: ١٢٨]، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعانة بالله وحده، ففي " جامع الترمذي"، (٢٥١٦)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا،

---

٢١٢ -ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ٣٧٦)، والاستعانة بالله ومنزلتها، ملتقى الخطباء - الفريق العلمي

٢١٣ - ينظر: . «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ٣٧٢)

فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ".

فَالْعَبْدُ أَحْوَجُ إِلَى مَوْلَاهُ فِي طَلَبِ إِعَانَتِهِ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورَاتِ، قَالَ سَيِّدَنَا يَعْقُوبُ صلى الله عليه وسلم فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ: {وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨][٢١٤]

الاستعانةُ باللَّهِ عز وجل دونَ غيره من الخلقِ، فلأنَّ العبدَ عاجزٌ عن الاستقلالِ بجلب مصالحِهِ، ودفع مضارِّهِ، ولا معينَ لهُ علَى مصالح دينِه، ودنياهُ إلا اللهُ عز وجل، فمنْ أعانَهُ اللهُ، فهو المُعانُ، ومن خذَلَهُ فهو المخذولُ، وهذا تحقيقُ معنى قولِ: **" لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللَّهِ"**، فإنَّ المعنى لا تحوُّلَ للعبدِ منْ حال إلى حالٍ، ولا قُوَّةَ له على ذلكَ إلا باللَّهِ، وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوزِ الجنةِ، فالعبدُ محتاج إلى الاستعانةِ باللَّهِ في فعلِ المأموراتِ، وتركِ المحظوراتِ، والصبرِ على المقدوراتِ كلِّها في الدنيا وعندَ الموت وبعدَهُ من أهوالِ البرزخ ويومِ القيامةِ، ولا يقدرُ على الإعانةِ على ذلكَ إلا اللهُ عز وجل، فمنْ حقَّقَ الاستعانةَ عليه في ذلكَ كلِّه أعانَهُ[٢١٥]

قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ١١٦-١١٨):

«والاستعانة تجمع **أصلين**: الثِّقة بالله، والاعتماد على الله، فإنّ العبد قد يثق بالواحد من النّاس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به، لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به، لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنّه غير واثقٍ به، والتّوكُّل معنًى يلتئم من الأصلين: من الثِّقة، والاعتماد، وهو حقيقة {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وهذان الأصلان ـ وهما التّوكُّل والعبادة ـ قد ذُكِرا في القرآن في عدَّة مواضع، قُرِنَ بينهما فيها، هذا أحدها، الثّاني: قول شعيبٍ عليه السلام: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]، الثّالث: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣]، الرّابع: قوله تعالى حكايةً عن المؤمنين: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ} [الممتحنة: ٤]، الخامس: قوله تعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: ٨ - ٩]، السّادس: قوله تعالى: {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠]، فهذه ستّة مواضع يجمع فيها بين الأصلين، وهما {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وتقديم "العبادة" على "الاستعانة" في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غايةُ العباد التي خُلِقوا لها، والاستعانةُ وسيلةٌ إليها، ولأنّ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} متعلِّقٌ بألوهيّته واسمه "الله" و {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} متعلِّقٌ بربوبيّته واسمه "الرّبّ"، فقدَّم {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} على {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} كما تقدَّم اسم "الله" على "الرّبّ" في أوّل السورة، ولأنّ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} قِسْمُ الرّبّ، فكان من الشّطر الأوّل الذي هو ثناءٌ على الرّبّ تعالى لكونه أولى به، و {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قِسْمُ العبد، فكان مع الشّطر الذي له،

٢١٤ - ينظر: «سبل السلام شرح بلوغ المرام» (٨/ ١٩٦)

٢١٥ - ينظر: «تفسير ابن رجب الحنبلي» (١/ ٧٣)، و«جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨١-٤٨٢)

وهو {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إلى آخر السُّورة، ولأنّ العبادة المطلقة تتضمّن الاستعانة من غير عكسٍ، فكلُّ عابدٍ لله عبوديّةً تامّةً مستعينٌ به، ولا ينعكس لأنّ صاحب الأغراض والشّهوات قد يستعين به على شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتمّ، ولهذا كانت قِسْمَ الرَّبِّ تعالى، ولأنّ الاستعانة جزءٌ من العبادة من غيرِ عكسٍ، ولأنّ الاستعانة طلبٌ منه، والعبادة طلبٌ لهُ، ولأنّ العبادة لا تكون إلّا من مخلصٍ، والاستعانة تكون من مخلصٍ وغير مخلصٍ، ولأنّ العبادةَ حقُّه الذي أوجبه عليك، والاستعانة طلبُ العون، وهو صدقته التي تصدّقَ بها عليك، وأداءُ حقِّه أهمُّ من التّعرُّض لصدقته، ولأنّ العبادة شكرُ نعمته عليك، والله يحبُّ أن يُشْكَر، والإعانةُ فعلُه بك وتوفيقُه لك، فإذا التزمتَ عبوديّته، ودخلتَ تحت رقِّها أعانك عليها، فكان التزامُها والدُّخولُ تحت رقِّها سببًا لنيل الإعانة، وكلَّما كان العبد أتمَّ عبوديّةً كانت إعانة الله له أعظم، والعبوديّةُ محفوفةٌ بإعانتين: إعانةٍ قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانةٍ بعدها على عبوديّةٍ أخرى وهكذا أبدًا، حتّى يقضي العبد نحبه، ولأنّ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} له، و {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} به، فهذه الأسرار يتبيّن بها حكمة تقديم {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} على {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وأمّا تقديم المعبود والمستعان على الفعلين، ففيه أدبُهم مع الله بتقديم اسمه على فعلهم، وفيه الاهتمام وشدّة العناية به. وفيه الإيذان بالاختصاص المسمَّى بالحصر، فهو في قوّة "لا نعبد إلّا إيّاك، ولا نستعين إلّا بك....."". انتهى بتصرف، ولعظم هذه العبادة وأهميتها فإن الله أفردها من بين سائر العبادات، وتعبد المسلم بها في كل ركعةٍ يصليها؛ فإنه يقرأ قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التضرع والدعاء والاستعانة بالله، وخصوصاً في مغازيه، وعندما اشتد الكرب على المسلمين أكثر مما سبق حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالًا شديدًا، توجهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٣٠٢٤)، ومسلم في " صحيحه"،(١٧٤٢)، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ كِتَابِ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ حِينَ سَارَ إِلَى الْحَرُورِيَّةِ، يُخْبِرُهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ: "اللهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ"، وفي " مسند أحمد"،(١٠٩٩٦)، حَدَّثَنِي رُبَيْحُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ؟ ، فَقَدْ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، قَالَ: «نَعَمْ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا»، قَالَ: «فَضَرَبَ اللَّهُ عز وجل وُجُوهَ أَعْدَائِهِ بِالرِّيحِ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عز وجل بِالرِّيحِ»، لذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يعلق قلوب أصحابه بربهم سبحانه، يلجؤون إليه ويستعينون به في كل شؤونهم، أخرج الترمذي في " جامعه"،(٣٦٠٤)، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ"، وقد أخرج الحديث ابن حبان في «صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع» (١/ ٣٥٨)، وجعله تحت باب: «ذِكْرُ اسْتِحْبَابِ تَفْوِيضِ الْمَرْءِ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَى بَارِئِهِ مَعَ سُؤَالِهِ إِيَّاهُ الدِّقَّ وَالْجِلَّ مِنْ أَسْبَابِهِ».

وأخرج الترمذي في " جامعه"،(٣٣٧٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ".

وفي " صحيح مسلم"، (١٠٤٣)، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَبِيبُ الْأَمِينُ، أَمَّا هُوَ فَحَبِيبٌ إِلَيَّ، وَأَمَّا هُوَ عِنْدِي فَأَمِينٌ، عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ " وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ " فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ " قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: "عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا"[٢١٦] فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاه.

أخرج ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٤٦١)، عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، إِذَا افْتَقَرْتَ فَافْزَعْ إِلَى رَبِّكَ عز وجل وَحْدَهُ فَادْعُهُ وَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ، وَاسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ وَخَزَائِنِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهُ غَيْرُهُ، وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ فَتَهُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَرُدُّوا عَلَيْكَ شَيْئًا».

فقد جاء الإسلام واضحاً ناصعاً يصل الناس بخالقهم الواحد يعرفهم صفاته ويبصرهم بمشيئته ويعلمهم كيف يتقربون إليه، وكيف يرجون منه الرحمة ويخشون عذابه ويسألونه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة[٢١٧]

١٥-سؤال الله صلاح الدين والدنيا، وطلب صيانة الدين، والحماية من الفتن التي تضر به:

الشريعة جاءت لصلاح الدين والدنيا، تشريع الله جاءَ لصلاحِ الدِّينِ والدنيا، لا يَرتفِعُ أمرُهُ ونهيُهُ عن المُكلَّفينَ في زَمَنٍ أو مكانٍ دُونَ غيرِهِ إلَّا بإذنِهِ، فالشريعة الإسلامية وافية بجميع الأحكام التي تحتاج إليها الأمم في تدبير شؤونها وتنظيم حياتها، صالحة لمسايرة هذه الحياة في جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورُقِيِّها، جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق المصالح للناس والمحافظة عليها وتنميتها، وجاءت بدفع المفاسد عنهم وتقليلها، والشريعة تقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد إذا ما تعارضت المصلحتان، وتقدم دفع الضرر العام على دفع الضرر الخاص إذا لم يمكن دفعهما معا، فالإسلام جاء لإصلاح الناس في دينهم ودنياهم، فالدين الإسلامي شامل كامل في جميع نواحي الحياة[٢١٨]

---

٢١٦ - قال القرطبي في: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٨٦):
«(ألا يسألوا أحدًا شيئًا)، حَمْلٌ منه على مكارم الأخلاق، والترفع عن تحمّل مِنَن الخلق وتعليم الصبر على مضض الحاجات، والاستغناء عن الناس، وعزّة النفس ولما أخذهم بذلك التزموه في جميع الأشياء، وفي كل الأحوال، حتى فيما لا تلحق فيه مِنَّة، طردًا للباب، وحسمًا للذرائع».
٢١٧ - ينظر: «الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها» (ص١٢٧)
٢١٨ - الشريعة جاءت لصلاح الدين والدنيا، د. المطري، الألوكة

ومن هذه الأدعية الجامعة بين سؤال الله صلاح الدين والدنيا هذا الدعاء النبوي، فقد اشتمل الحديث الذي بين يدينا على خمس جمل طلبية:

الجملة الأولى: فيها سؤال العبد ربه أن يصلح له دينه الذي فيه عصمة أمره.

الجملة الثانية: فيها سؤاله ربه إصلاح دنياه.

الثالثة: فيها سؤاله ربه أن يصلح له آخرته.

الرابعة: سؤاله أن تكون حياته الدنيوية مباركة معمورة بالأعمال الصالحة. الخامسة: سؤال العبد ربه أن يريحه عند الموت من كل شر، ليكون كل ما يحصل له خيراً.

قوله: «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي..»، والعفو: محو الذنوب وسترها وترك العقاب عليها، وأما سؤال العافية في الدين، فهو طلب الوقاية من كل أمر يشين الدين ويخل به[٢١٩]

والجملة الأولى جامعة مشتملة على ما تتضمنه الجمل الأربع بعدها، لأن من وفق لصلاح الدين حصلت له سعادة الدنيا والآخرة، وكانت حياته مباركة وعاقبته حميدة كما قال تعالى: {وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، وإنما ذكرت الجمل الأربع مع أن الجملة الأولى شاملة لها، لأن المقام مقام دعاء وتضرع إلى الله. والله يحب من عباده أن يدعوه وأن يلحوا في دعائهم.

الدعاء بإصلاح الدين أعظم المقاصد، وأهم المطالب، لأن من فسد دينه فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة، خير ما يدعو به العبد ربه أن يصلح له دينه، ففيه الفلاح والنجاح في الدارين ، وفيه العصمة والنجاة، أخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٧٢٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ"، قد جمع في هذه الثلاثة: صلاح الدنيا، والدين، والمعاد، وهي أصول مكارم الأخلاق الذي بُعث لإتمامها، فاستقى من هذا اللفظ الوجيز صلاح هذه الجوامع الثلاث التي حلت في الأولين بداياتها، وتمت غاياتها[٢٢٠]

إن منتهى أمل الأبرار، ومطمح أنفس الأخيار، ومحطَّ رجائهم، وغاية دعائهم صلاح الدين والدنيا والآخرة، إذ به تستكمل للعبد أسباب السعادة، وتستجمع عوامل الفلاح، ولذا جمَع النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذلك في دعاء واحد له، وهو من

---

٢١٩ - ينظر: «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ٣٨):
٢٢٠ - ينظر: «فيض القدير» (٢/ ١٣٧)

جوامع الدعاء النبوي، الذي اشتمل على كل خير يرجوه المرء في حياته الدنيا وفي الآخرة، فصلاح الدِّين الذي يَستعصِم به من الزلل، ويَسلَم به من الزيغ، وينجو به من الضلال، مداره على صلاح المعتقَد، بإخلاصِ التوحيدِ لله تعالى، وقوةِ الإقبالِ عليه سبحانه والإعراض عمَّا سواه، وتحقيق العبودية له، بصرفِ جميعِ أنواعِ العبادةِ له والنأي عن الإشراك به، وأمَّا صلاحُ الدنيا فعمادُه البَسْطَةُ في الرزق، ومنه: نعمة الأهل والولد، ورفعة القَدْر، وانشراح الصدر، والبركة في العمر، والصحة في الأبدان، والأمن في الأوطان[٢٢١]، ففي " جامع الترمذي"،(٢٣٤٦)، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"، وفي "صحيح مسلم"، (١٠٥٤)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ" ، ومعنى كَفافًا؛ أي: رُزِقَ الكفايةَ التي تكفُّه عن الحاجة إلى غيره، وهو الحلال من الرزق، والطَّيِّب من الكسب؛ إذ لا فَلاحَ مع الكسبِ الخبيثِ، والحرامِ من الأموال المكتسَبة من الغشِّ والتدليسِ والرشوةِ، والربا وأكل مال اليتيم، وغيرها من ألوان أكل أموال الناس بالباطل، وسؤال الله إصلاح الدين هو أن يوفق إلى الإخلاص في العبادة لله وحده، وأن تكون عبادته وفق ما جاء في الكتاب وسنة النبي المصطفى ﷺ، وهدي صحابته من بعده، فإن التمسك بهذين الأصلين عصمة للعبد من الشرور كلها، ومن مضلات الفتن، والمحن، والضلالات التي تضيع الدين والدنيا.

ويجوز للعبد الدعاء بإصلاح دنياه وأن تكون هنية، أخرج أحمد في " المسند"،(١٩٤٠٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا طَهَّرْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ ذُنُوبِي كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً تَقِيَّةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ».

إن حفظ الدين أهم مقاصد الشريعة، أصل ما دعا إليه القرآن والسنة وما نشأ عنهما والمصالح الدينية مقدمة على المصالح الدنيوية على الإطلاق[٢٢٢]، ومن الأدعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ما جاء في " صحيح البخاري"،(٨٣٢)، و"صحيح مسلم"،(٥٨٩)، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه

---

[٢٢١]- صلاح الدنيا والدين، خياط، ملتقى الخطباء.

٢٢٢ - ينظر: «مجلة البحوث الإسلامية» (٩٥/ ٢٩٣)

وسلم، أَخْبَرَتْهُ: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ " فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ» ، ففي هذا الدعاء التجاء إلى الله أن يعصم الداعي من جميع الفتن، فربما يعرض للإنسان في حياته من الافتنان بالدنيا والشهوات والجهالات، مما يضر دينه أو بدنه أو دنياه، وأعظم الفتن -والعياذ بالله- أمر الخاتمة عند الموت، أو المراد: الابتلاء في الدنيا مع زوال الصبر ، ومن الأمور التي كان يستعيذ منها النبي صلى الله عليه وسلم ما أخرجه مسلم في " صحيحه"،(١٣٤٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ".

طريق الدنيا والآخرة طريق واحد، وطريق العبد في هذه الحياة حتى ولو كان يعمل للدنيا فإنما هو ينظر إلى الآخرة، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)}، قال ابن كثير في «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٥٣): «أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة. (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقا، فآت كل ذي حق حقه، (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك (وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ) أي: لا تكنْ همتك بما أنت فيه أن تفسد به الأرض، وتسيء إلى خلق الله (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) ....». انتهى

أخرج البخاري في " صحيحه"، (١٩٦٨)، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

وفي " صحيح مسلم"، (٢٩٨٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ

ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ ".

إذاً هذا الحديث يدل على أن الاشتغال بالزرع لحاجة الإنسان وأهله، وحاجة الأرض والمشروع الأساسي، ثلثان الذي يتصور الناس أنه من الدنيا، ولكن ذلك الرجل بصلاح نيته وصدقته، الثلث من الدخل صدقة، قد بلغ به هذا الحال عند الله أنه أكرمه بهذه الكرامة العظيمة.

إن هذه القضية تدل بجلاء على أن **الطريقين واحد**، وأنه ينبغي علينا أن نبتغي بأعمالنا الحلال وجه الله[٢٢٣]، وبيان النظرة الشاملة الكاملة لدين الإسلام التي تجمع للعباد بين مصالح الدين والدنيا، والتلازم والترابط الوثيق بين إصلاح الدين وإصلاح الدنيا وإصلاح الآخرة، فلا صلاح للدنيا بدون إصلاح الدين، ولا صلاح للدين بدون صلاح الدنيا، ولا صلاح للآخرة بدونهما، فدين الإسلام دين اعتقاد وعبادة وحضارة، وخير شاهد على ذلك تاريخ السلف وواقعهم، وأما التفريق بين شؤون الدّنيا وشؤون الآخِرة هو سببَ التّخلّف الذي أزرى بأمّتنا وأقعدها عن نشرِ رسالتِها، حين فهِم أقوامٌ مِن ذمّ الدّنيا إهمالَ الحياة الدّنيا وتركَ عمارتها والهروبَ عن إصلاحها وتنميتها، فأوجدَ فيهم ذلك سلبيةً مقيتة وانهزاميّة وضعفًا وخوَرًا يأباه الدّين، قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة: ٢٠١]، «فجمعت هذه الدعوةُ كلَّ خير في الدنيا، وصرَفت كلّ شر فإن الحسنة في الدنيا تشملُ كلّ مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عباراتُ المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصات، وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام، وقال القاسم بن عبد الرحمن[٢٢٤]: من أعطي قلبا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وجسدًا صابرًا، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ووقي عذاب النار، ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء...». انتهى[٢٢٥]

---

٢٢٣ - التوفيق بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، https://almunajjid.com/

٢٢٤ - أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٨٧)، حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ يَعْنِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: مَنْ أُعْطِيَ قَلْبًا شَاكِرًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَجَسَدًا صَابِرًا، فَقَدْ أُوتِيَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَوُقِيَ عَذَابَ النَّارِ».

٢٢٥ - ينظر: «تفسير القرآن العظيم» (١ / ٥٥٨)

أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠/ ٥)، حدثنا إسحاق بن أحمد بن علي ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا أحمد بن أبي الحواري قال قلت لأبي صفوان الرعيني: أي شيء الدنيا التي ذمها الله تعالى في القرآن الذي ينبغي للعاقل أن يجتنبها؟ قال كلما أصبت فيها تريد به الدنيا فهو مذموم وكلما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها، قال أحمد: فحدثت به مروان فقال: الفقه على ما قال أبو صفوان».

وأخرج أحمد في «الزهد» (ص٢٣٠)، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «نِعْمَتِ الدَّارُ كَانَتْ الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ قَلِيلًا وَأَخَذَ زَادَهُ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ، وَبِئْسَتِ الدَّارُ كَانَتْ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَمَتَّعَ لَيَالِيَ وَكَانَ زَادُهُ مِنْهَا إِلَى النَّارِ».

وفي «الزهد»، لابن أبي الدنيا، (٣٨٤)، عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: الْغِرَّةُ بِاللَّهِ أَنْ يُصِرَّ الْعَبْدُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَيَتَمَنَّى فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ، وَالْغِرَّةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْ يَغْتَرَّ بِهَا، وَتَشْغَلَهُ عَنِ الْآخِرَةِ، فَيُمَهِّدَ لَهَا، وَيَعْمَلَ لَهَا كَقَوْلِ الْعَبْدِ إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤] ، وَأَمَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ فَهُوَ مَا يُلْهِيكَ عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ، فَهُوَ مَتَاعُ الْغُرُورِ، وَمَا لَمْ يُلْهِكَ فَلَيْسَ بِمَتَاعِ الْغُرُورِ، وَلَكِنَّهُ مَتَاعٌ وَبَلَاغٌ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ».

١٦- قيمة الستر " واستر عوراتي":

دين الله الإسلام أولى عنايته بالتستر والحياء والحشمة، فأعطى التستر قيمة كبيرة، وجاء الوعد والوعيد في حق التستر، والتأكيد المبالغ فيه، فأثنى على من تحلى بالستر والحياء، وذكر أصحاب الستر بالرشد والاستقامة، وذم التكشف وقلة الحياء.

واسم الله تعالى الستير من أسمائه الحسنى، مرتبط بالحلم والحياء، فالله سُبْحَانَهُ هو الحيي الستير، حياء وسترًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فحياؤه وستره يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه سُبْحَانَهُ[٢٢٦]

فمن معاني الستير سبحانه[٢٢٧]، أنه:

١- يحب السِّتر والصون ويُرغِّب فيه ويحثُّ عليه ويريده.

٢- كثير الستر لعيوب عباده، حليم عليهم.

٣- أكرم عباده بستر أجسادهم وستر زلَّاتهم.

٤- ربط الستر بالحكمة والذوق ورهافة الحس.

---

٢٢٦ - ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٣/ ٣٣٠)

٢٢٧ - إضاءات على نظرية الستر في الإسلام، زيدان

٥- جعل الحياء دافعاً للستر وجعل الستر دالاً عليه.

٦- جمَّل عباده بالستر، وأضفى عليهم برحمته ومغفرته نقاء وطهراً.

٧- أمر الله عز وجل بني آدم بستر العورات، وأخبر في كتابه أن كشفها من عمل الشيطان الذي ينزع عن الإنسان لباسه، فحذرنا الله منه، فقال تَعَالَى: {يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧][٢٢٨]، وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعتناء بالستر، والنهي عن التعري[٢٢٩]

والستر نوعان: مادي ومعنوي، فصلتهما الآية الكريمة: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف:٢٦][٢٣٠]

يواري سوءاتكم: أي يستر عوراتكم باللباس وهو الستر المادي، وسميت العورة سوأة لأنه يسوء صاحبَها انكشافُها، كما يسوء الآخرين أيضاً خدش حيائهم في حال رؤيتهم لها، ولباس التقوى هو الستر المعنوي: فينبغي أن نستر بواطننا بتعميرها بالإيمان والأعمال الصالحة، كما يجب أن نتخلّق بصفة الستر، فنستر على عيوبنا وعيوب غيرنا.

قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» (٢/ ٢٠٥-٢٠٨):

« وَالِاسْتِغْفَار سُؤَال العَبْد من الله تَعَالَى السّتْر والغفر الغطاء وَهَذَا لِأَن الله تَعَالَى اجتبى عَبده وَاخْتَارَهُ للْإِيمَان وَجعل نوره فِي قلبه فهداه لنوره وأحياه بِهِ وَجعل للنور الْأَعْظَم الَّذِي فِي قلبه سترا من نور وقاية ولباسا لَهُ وحجب ذَلِك عَن أعين

---

٢٢٨ - جاء في «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٣٩):
«قَوْله تَعَالَى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى} هَذَا خِطَابٌ عَامٌّ لِسَائِرِ الْمُكَلَّفِينَ مِنْ الْآدَمِيِّينَ كَمَا كَانَ قَوْله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ} [النساء:١] خِطَابًا لِمَنْ كَانَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ الْمُكَلَّفِينَ مِنْ أَهْلِ سَائِرِ الْأَعْصَارِ، إلَّا أَنَّهُ لِمَنْ كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ عَلَى شَرْطِ الْوُجُودِ وَبُلُوغِ كَمَالِ الْعَقْلِ، قَوْله تَعَالَى: {قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ} وقَوْله تَعَالَى: {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} يَدُلُّ عَلَى فَرْضِ سِتْرِ الْعَوْرَةِ، لِإِخْبَارِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْنَا لِبَاسًا لِنُوَارِيَ سَوْآتِنَا بِهِ. وَإِنَّمَا قال: {أَنْزَلْنَا} لِأَنَّ اللِّبَاسَ إنَّمَا يَكُونُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ أَوْ مِنْ جُلُودِ الْحَيَوَانِ وَأَصْوَافِهَا، وَقِوَامُ جَمِيعِهَا بِالْمَطَرِ النَّازِلِ مِنْ السَّمَاءِ. وَقِيلَ إنَّهُ وَصَفَهُ بِالْإِنْزَالِ لِأَنَّ الْبَرَكَاتِ تُنْسَبُ إلَى أَنَّهَا تَأْتِي مِنْ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد:٢٥]، وَقَوْلُهُ: {رِيشاً} قِيلَ إنَّهُ الْأَثَاثُ مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ نَحْوُ الْفُرُشِ وَالدِّثَارِ. وَقِيلَ: الرِّيشُ مَا فِيهِ الْجَمَالُ، ومنه ريش الطائر. وقوله: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} قِيلَ فِيهِ إنَّهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ; وَسَمَّاهُ لِبَاسًا لِأَنَّهُ يَقِي الْعِقَابَ كَمَا يَقِي اللِّبَاسُ مِنْ الثِّيَابِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: "هُوَ الْإِيمَانُ"، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْحَيَاءُ الَّذِي يُكْسِبُهُمْ التَّقْوَى. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: "هُوَ لِبَاسُ الصُّوفِ وَالْخَشِنِ مِنْ الثِّيَابِ الَّتِي تُلْبَسُ لِلتَّوَاضُعِ وَالنُّسُكِ فِي الْعِبَادَةِ" وَقَدْ اتَّفَقَتْ الْأُمَّةُ عَلَى مَعْنَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنْ لُزُومِ فَرْضِ سَتْرِ الْعَوْرَةِ، وَوَرَدَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم..». انتهى

٢٢٩ - ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٣/ ٣٤٤)

٢٣٠ - جاء في «الكسب - بشرح السرخسي» (ص٧٤):
«ثمَّ إن الله تَعَالَى خلق أَوْلَاد آدم خلقا لَا يقوم أبدانهم إلَّا بأربعة أَشْيَاء الطَّعَام وَالشرَاب واللباس والكن
أما الطَّعَام قَالَ الله تَعَالَى {وَمَا جعلناهم جسدا} الْآيَة
وَقَالَ عز وجل {كلوا من طَيِّبَات مَا رزقناكم}
وَأما الشَّرَاب قَالَ الله {وَجَعَلنَا من المَاء كل شَيْء حَيّ}
وَقَالَ جلّ وَعلا {كلوا وَاشْرَبُوا}
وَأما اللبَاس قَالَ الله تَعَالَى {يَا بني آدم قد أنزلنَا عَلَيْكُم لباسا يواري سوآتكم وريشا} وَقَالَ تَعَالَى {خُذُوا زينتكم عِنْد كل مَسْجِد} الْآيَة
وَأما الْكن فَإِنَّهُم خلقُوا خلقَة لَا تطِيق أبدانهم أَذَى الْحر وَالْبرد وَلَا تبقى على شدتهما قَالَ الله تَعَالَى {وَخلق الْإِنْسَان ضَعِيفا}». انتهى

الثقلَيْن فَهَذَا النُّور الظَّاهِر هُوَ كسْوَة النُّور الْبَاطِن قَالَ تَعَالَى يَا بني آدم قد أنزلنَا عَلَيْكُم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التَّقْوَى ذَلِك خير، وَالْمُؤمن فِي بهاء هَذَا السّتْر يمشي على أرضه والخليقة ينظرُونَ إِلَيْهِ بِعَين الْجلَال والشرف فَإِذا هم بالمعصية وعزم عَلَيْهَا تجافى عَنهُ السّتْر فَإِذا عملهَا تبَاعد عَنهُ وَبَقِي العَبْد عَارِيا من الْبَهَاء والجلال والشرف فَإِن أصر لم يَزْدَدْ إِلَّا ضعة ودنسا وَلم يَزْدَدْ السّتْر إِلَّا بعدا ونزاهة عَنهُ فَإِذا نَدم رَجَعَ إِلَيْهِ بِقَلْبِه فمدن هُنَاكَ أَي أَقَامَ واقامة عزمه أَن لَا يبرح عَن مقَام الطَّاعَة فَإِذا سَأَلَ الْمَغْفِرَة قَالَ استغفرك أَي أَسأَلك أَن ترد عَليّ السّتْر فَيصير فِي ذَلِك النُّور مَسْتُورا وبدو ذَلِك من آدم عليه السلام كَانَ لِبَاسه ستره وَهُوَ النُّور فَلَمَّا عصى انْكَشَفَ النُّور وعري فَذَلِك قَوْله تَعَالَى {ينْزع عَنْهُمَا لباسهما ليريهما سوآتهما}، وَقَوله تَعَالَى فوسوس لَهما الشَّيْطَان ليبدي لَهما مَا ووري عَنْهُمَا من سوآتهما.....، قَالَ وهب رضي الله عنه[٢٣١] الْإِيمَان عُرْيَان فلباسه التَّقْوَى وزينته الْحيَاء وَمَاله الْفِقْه فالمؤمن بَين الْخلق فِي ذَلِك اللبَاس يوقر ويعظم ويبجل ويهاب وَلَيْسَ يرى من تقواه إِنَّمَا يرى عَلَيْهِ طلاوة اللبَاس وزهرته ولبق حركاته وتصرفه فِي الْأُمُور وَعَلِيهِ مهابة ذَلِك اللبَاس.....". انتهى بتصرف

ألا وإن أشد ما اعتنى به الإسلام في قضية الستر هو: ستر العورات، وتغطية السوءات؛ فأمر الإسلام بستر العورة عامة والغليظة خاصة عمن لا يجوز له أن ينظر إليها، ففي " جامع الترمذي"، (٢٧٦٩)، قال بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: "احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ"، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: "إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ"، قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا، قَالَ: "فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ"، وفي " سنن ابن ماجه"، (٦١٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَغْتَسِلَنَّ أَحَدُكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَلَا فَوْقَ سَطْحٍ لَا يُوَارِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَى، فَإِنَّهُ يُرَى".

العورة هي كل ما حرم الله كشفه أمام من لا يحل النظر إليه، قال أهل اللغة: "العورة سوءة الإنسان، وكل أَمر يُستحيا مِنْهُ فَهُوَ عَورَة، وأصلها من العار، سميت عورة، وذلك كناية وأصلها من العار لما يلحق من ظهورها من العار أي المذمة"[٢٣٢]، كما قال تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ} [المائدة: ٣١].

« العورة هي ما يجب تغطيته، ويقبح ظهوره، ويستحيى منه، أي: ما يسوء الإنسان إخراجه، والنظر إليه؛ لأنها من العور وهو العيب، وكل شيء يسوؤك النظر إليه، فإن النظر إليه يعتبر من العيب، وقد كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة،

٢٣١ - أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٦)، عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ ، فَلِبَاسُهُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ ، وَكَنْزُهُ التَّفَقُّهُ»

٢٣٢ - ينظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١١٠)، و" التوقيف على مهمات التعاريف"، (ص٢٤٨)

ويزعمون أن ذلك من الدين فأبطل الله ادّعاءهم وسمى كشف العورة فاحشة في قوله عنهم: {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} [الأعراف: ٢٨]، فكشف العورة والنظر إليها يجر إلى شر خطير، ووسيلة إلى الوقوع في الفاحشة وهدم الأخلاق، وفي المقابل، فإن ستر العورة إبقاء على الفضيلة والأخلاق، ولهذا يحرص الشيطان على إغراء بني آدم بكشف عوراتهم، وقد حذرنا الله منه، فكشف العورات مكيدة شيطانية قد وقع فيها كثير من المجتمعات البشرية اليوم....»[٢٣٣]، فأمر الإسلام بستر العورة في الصلاة وفي غير الصلاة، ونهى المرأة أن تبدو لغيرها من النساء حتى لا تنقل الأخرى صفاتها لمن لا يحلون لها من الرجال، ونهى أن يسير الرجل عرياناً، أخرج النسائي في " سننه"،(٤٠٦)، عَنْ يَعْلَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عز وجل حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ"، وأخرج أبو داود في " سننه"،(٤٠١٦)، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: حَمَلْتُ حَجَرًا ثَقِيلًا، فَبَيْنَا أَمْشِي فَسَقَطَ عَنِّي ثَوْبِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "خُذْ عَلَيْكَ ثَوْبَكَ وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً"، وأخرج الترمذي في " جامعه"،(٢٨٠٠)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ"، وفي " صحيح مسلم"،(٣٣٨)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ"، قَال الْبُخَارِيُّ ج٨ص٥٠: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الحَسَنِ، لِلْحَسَنِ: إِنَّ نِسَاءَ العَجَمِ يَكْشِفْنَ صُدُورَهُنَّ وَرُءُوسَهُنَّ؟ قَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ عَنْهُنَّ»، قَوْلُ اللَّهِ عز وجل: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} [النور: ٣٠] ، وَقَالَ قَتَادَةُ: " عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمْ "، {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور: ٣١]، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: فِي النَّظَرِ إِلَى الَّتِي لَمْ تَحِضْ مِنَ النِّسَاءِ: لَا يَصْلُحُ النَّظَرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُنَّ مِمَّنْ يُشْتَهَى النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً، وفي " صحيح مسلم"،(٢١٥٩)، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي".

والمرأة مأمورة بجلباب الأدب والحياء، قال ربنا في كتابه: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ}[النور:٣١]، وقال تعالى: {وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ}[النور:٣٠]، وزجر الإسلام من ستره الله فأصبح يكشف ستر الله الذي ستره

٢٣٣ - ينظر: «الفقه الميسر» (١٢/ ١١٩)

به، ففي " صحيح البخاري"،(٦٠٦٩)، و"صحيح مسلم"،(٢٩٩٠)، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ "، ونهى الإسلام حتى عن النظر إلى عورة الميت فلا يجوز لمن يغسله أن يرى منه، لأن حرمته ميتاً كحرمته حياً، كل هذا لخطورة انكشاف العورات، وما يترتب عليه من فضح الإنسان نفسه، وإيقاعه في الحرج والإساءة إليه، وما يترتب على كشف العورات من خطورة وآثار سلبية على المجتمع، وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصبح وحين يمسي: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي"، وتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من تتبع عورات المسلمين بطريقة أو بأخرى ليكشفها أو تسبب في كشفها لأي غرض من الأغراض، ففي " جامع الترمذي"،(٢٠٣٢)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ" قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى البَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ فَقَالَ: "مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ"، وفي " مسند أحمد"،(٢٢٤٠٢)، عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تُؤْذُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ»، ونادى المسلمين إلى التستر ودعاهم إلى الستر على بعضهم البعض وبشرهم، ففي " صحيح مسلم"،(٢٥٩٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ، وفي " صحيح مسلم"،(٢٥٨٠)، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وفي " سنن ابن ماجه"،(٢٥٤٦)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ"، وفي " سنن أبي داود"،(٤٨٩٢)، وفي " مسند أحمد"،(١٧٣٩٥)، عَنْ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ دُخَيْنٍ أَبِي الْهَيْثَمِ، كَاتِبِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَأَنَا دَاعٍ الشُّرْطَ لِيَأْخُذُوهُمْ، فَقَالَ عُقْبَةُ: وَيْحَكَ، لَا تَفْعَلْ، وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ، قَالَ: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ، فَلَمْ يَنْتَهُوا، وَإِنِّي دَاعٍ الشُّرْطَ

لِيَأْخُذُوهُمْ، فقَالَ عُقْبَةُ: وَيْحَكَ، لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَى مَوْءُودَةً فِي قَبْرِهَا".

وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عَظِيمَ الحَيَاءِ عَفِيفَ اللِّسانِ، بَعيدًا عَن كَشفِ العَوراتِ حَريصًا على كَتمِ المَعَايِبِ وَالزَّلَّات، مَن نظر في السيرة الكريمة العطرة لنبينا صلى الله عليه وسلم، يجده حريصًا على ستر العورات، وإخفاء المعايب والزلات، فها هو صلى الله عليه وسلم، يوجه مَن وقع في معصية، أن يستر نفسه، كما حصل لماعز رضي الله عنه وغيره، لما صدهم مرارًا حين أقروا على أنفسهم بالفاحشة، ففي " الموطأ"، لمالك، (١٢)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ رَجُلاً اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَوْطٍ ، فَأُتِيَ بِسَوْطٍ مَكْسُورٍ ، فَقَالَ: فَوْقَ هَذَا ، فَأُتِيَ بِسَوْطٍ جَدِيدٍ لَمْ تُقْطَعْ ثَمَرَتُهُ، فَقَالَ: دُونَ هَذَا ، فَأُتِيَ بِسَوْطٍ قَدْ رُكِبَ بِهِ وَلَانَ ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجُلِدَ ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ اللَّهِ ، مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ، نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ، وكان إذا رَأَى شَيئًا يُنكِرُهُ وَيكرَهُهُ، عَرَّضَ بِفَاعِلِيهِ تَعرِيضًا وَلَمَّحَ تَلمِيحًا دُونَ تَصرِيحٍ، فَكَم مِن مَرَّةٍ قالَ لِلنَّاسِ: " مَا بَالُ أَقوامٍ يَقُولُونَ كَذا وَكَذا " " مَا بَالُ أَقوامٍ يَفعَلُونَ كَذا وَكَذا " كُلُّ ذَلِكَ سِترًا عَلَيهِم وَلِئَلاَّ يَكشِفَ لِلنَّاسِ سُوءَهُم، وَبِذَلِكَ أَدَّبَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُمَّتَهُ.

ولأجل الستر أيضًا توعَّد الجبارُ أهلَ السوء، الذين يُحبون إشاعة الفاحشة بالعذاب الأليم؛ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [النور: ١٩]، ومن أجل الستر أيضًا نَهى الإسلامُ عن التجسس على الآخرين؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: ١٢]، فهذه آية كريمة تقرر مبادئ مهمة من أصول الأخلاق الاجتماعية، وتنهي عباد الله المؤمنين عن أخلاق قد ابتلي بها كثير من الناس، فظنوا بالآخرين سوءاً، فوقعوا في الآثام، ولو اهتدوا بهدي الله عز وجل لما ظنوا سوءاً ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا اغتابوا، ففي " سنن ابن ماجه"،(٣٩٣٢)، عن عَبْد اللَّهِ بن عُمَرَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: "مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا"، هذا مقام المؤمن عند الله سبحانه وتعالى، ومنزلته الرفيعة عند الخالق الأعظم، فليس لأحد من الخلق أن يحطّ من قدر هذا المؤمن، فيظن به شراً أو سوءاً، أو يتجسس عليه ويغتابه فللمؤمن حرمة، فإياك أن تهتكها، وإن كان في المقابل يجب على المسلم ألا يضع نفسه في مكان الشبهات.

ومن ثمرات الإيمان بهذه الصفة الكريمة، الحياء منه جل جلاله، فيجاهد العبد نفسه، بأن لا يتلبس بمعصية خالقه؛ فإن غلبته نفسه، فليستتر بستر الله عليه؛ فإن الرب رحيم كريم، ومن رحمته وفضله، أنه لا يعاجل العبد بالعقوبة، ولا يسارع

إليه بالمحاسبة، بل يضفي عليه ستره، حتى لا ينفضح أمره، بل ويدعوه إلى الرجوع والإنابة إليه، ولا يقنطه من رحمته، ويناديه بشرف عبوديته، ويفرح بتوبته، وهو جل جلاله يحب التوابين، ففي " صحيح البخاري"،(٢٤٤١)، و" صحيح مسلم"،(٢٧٦٨)، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عز وجل، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ ".

قال الغزالي في "إحياء علوم الدين"، (٢/٢٠٠):

" على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره".

ما أجملَ الستر! وما أعظم بركتَه! وأبهى حُلَّته! الستر خُلُق الأنبياء، وسيما الصَّالحين، يورث المحبة، ويُثمر حسن الظَّن، ويُطفئ نارَ الفساد، هو جوهر نفيس، وعُملةٌ ثمينة، وسلوكٌ راقٍ، الستر طاعةٌ وقُربان ودِين وإحسان، به تَحفَظُ الأُمَّة ترابُطَها وبُنيانها، وبه تقومُ الأخلاق، ويبقى لها كيانها.

أخرج البخاري في " صحيحه"،(٤٦٨٧)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٧٦٣)، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ: "بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً".

١٧- حفظ الله لعبده:

من أسماء الله عز وجل: الحافظ والحفيظ[٢٣٤]، ويدور معنى اسم الله الحافظ الحفيظ على **معنيين**:

الحافظ الذي يحفظ المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما، الحافظ الذي يحفظ أعمال عباده خيرها وشرها[٢٣٥]، وإذا تأمل العبد في سعة حفظ الحفيظ للخلائق كله، وأن كل شيء إنما حفظ بحفظه وقام بقيوميته، فهو الحي القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع

٢٣٤ - ينظر: «التوحيد»، لابن منده، (ص٣٤٨)
٢٣٥ - ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٣/ ٦٥)

مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد والحفظ- تيقن أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، فإن كل من دونه عاجز عن حفظ نفسه، فضلًا عن أن يحفظ غيره، فلو أوكل سُبْحَانَهُ حفظ هذه الكواكب والنجوم إلى ذواتها ولم يتولَّها بحفظه ورعايته، لتهافتت وتهاوت وتساقطت، وذهب كلٌّ منها إلى حيث لا يُعلم له غاية ولا مستقر، ولو أوكل حفظ السماء والأرض للخلق، لعجزت قواهم عنها، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: ٤١]، كما أن العبد إذا تأمل في حفظ الحفيظ لأهل التوحيد وإكرامه لهم، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك- كان في ذلك دلالة له على توحيد الله دون ما سواه، وإذا علم العبد أن الله عز وجل حفيظ يحفظ عليه عمله ويرصد أقواله وأفعاله ولا يفوته شيء منها، ثم هو سُبْحَانَهُ يحاسبه عليها يوم القيامة، دفعه ذلك إلى مراقبته سُبْحَانَهُ في السر والعلن، في ظاهره وباطنه، في حركاته وسكناته حتى يصل إلى درجة الإحسان التي فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله كما في الحديث الذي أخرجه مسلم،(٧): «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وقد وصَّى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم جماعةً من أصحابِهِ بهذه الوصيَّةِ[٢٣٦]، أخرج أبو نعيم في " الحلية"،(٢٠٢/٨)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُنْ كَأَنَّكَ تَرَى اللَّهَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وأخرج أبو نعيم في " الحلية"،(٦/ ١١٥)، عن ابن عمر. قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي. فقال: اعبد الله كأنك تراه، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وفي «المعجم الأوسط»، للطبراني، (٤/ ٣٥٨)، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ وَاجْعَلْهُ مُوجَزًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَأْيَسْ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَكُنْ غَنِيًّا، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ»، وأخرج بَحْشَل في " تاريخ واسط"،(ص٢٠٩)، عَنْ سعيد بن يزيد عن ابن عَمٍّ لَهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَوْصِنِي، قَالَ: «اسْتَحِ مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ»، فمُراقَبة العبد لربِّه هي دَوام عِلم العَبد وتيقُّنه باطِّلاع الله تعالى على سِرِّه وعلانِيَتِه، وأنَّه سبحانه ناظِرٌ إليه في شَتَّى حالاته؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء: ١]، فيعبد ربه مستحضرًا قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم[٢٣٧]، قال تعالى في سورة يوسف: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)}[٢٣٨]، وقال تعالى: { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ}، وقال هود عليه الصلاة والسلام حين قال له قومه: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ

---

٢٣٦ -ينظر: «جامع العلوم والحكم» (ص١٠٤)

٢٣٧ -ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٣/ ٧٦-٧٧)

٢٣٨ -قال البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٥٦):

" {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا} قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ: {حَافِظًا} بِالْأَلِفِ عَلَى التَّفْسِيرِ، كَمَا يُقَالُ: هُوَ خَيْرٌ رَجُلًا وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: {حِفْظًا} بِغَيْرِ أَلِفٍ عَلَى الْمَصْدَرِ، يَعْنِي: خَيْرُكُمْ حِفْظًا، يَقُولُ: حِفْظُهُ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِكُمْ. {وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}". انتهى

مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)} [هود]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، أخرج أحمد في " المسند"،(٣٦٩٦)، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَزَلَ بِهِ حَاجَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، كَانَ قَمِنًا مِنْ أَنْ لَا تَسْهُلَ حَاجَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، أَتَاهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ، أَوْ بِمَوْتٍ آجِلٍ".

ليس ثَمَّ حافظ حفيظ غير الله جل جلاله، فهو سُبْحَانَهُ وحده الذي يحفظ من الشرور والآفات والمهالك، يحفظ من عقابه وعذابه وسخطه، وإنما حظ العبد من حفظه سُبْحَانَهُ، بحسب ما عنده من إيمان وتقوى، وقد مدح الله سُبْحَانَهُ عباده الذين يحفظون حقوقه وحدوده، فقال في معرض بيانه لصفات المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة: {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: ١١٢]، وقال تعالى: {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [ق: ٣٢ - ٣٣][٢٣٩]

أخرج الترمذي في " جامعه"،(٢٥١٦)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ". وفي " مسند أحمد"، (٢٨٠٣)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَلَا أَحْفَظُ حَدِيثَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ - أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ " فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: "احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

وخرّج المروزي بسنده في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٤٠)، حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّوَا، وَكَانَ مِنَ الْعَابِدِينَ قَالَ: قِيلَ لِوُهَيْبٍ الْمَكِّيِّ مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذَا؟ قَالَ: " كُنْتُ رَجُلًا تَاجِرًا فَبَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِي فَقَالَ لِي: يَا وُهَيْبُ اسْتَحِ مِنَ اللَّهِ لِقُرْبِهِ مِنْكَ، وَخَفِ اللَّهَ لِقُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، ثُمَّ ذَهَبَ فَنَظَرْتُ بَيْنَ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا ".

---

٢٣٩ - ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٣/ ٧٨)

ومن أسباب حفظ الله لعبده الدعاء كما في حديثنا، الدعاء من أهم الوسائل التي يحصل بها العبد حفظ الله عز وجل، لذا كثرت الأدعية النبوية في سؤال الله الحفظ[٢٤٠] أخرج البخاري في " صحيحه"،(٥٠١٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَصَّ الحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»، وأخرج الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٧٠٦)، عن ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا حَاسِدًا، وَاللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ»، وأخرج مسلم في " صحيحه"، (٢٧٠٨)، عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: " إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ "، وأخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٧١٢)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: "اللهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ" فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٧١٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا مَضْجَعَنَا، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: "اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ"، وفي " سنن أبي داود"،(٥٠٥٤)، عَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ الْأَنْمَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ وَضَعْتُ جَنْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الْأَعْلَى"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٣٨٨)، عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ " وَكَانَ أَبَانُ، قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: "مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ"، وفي " سنن أبي داود"،(٥٠٨١)، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: "مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ

٢٤٠ - ينظر: «موسوعة شرح أسماء الله الحسنى» (٣/ ٩١)

صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا". وفي " جامع الترمذي"،(٣٣٩٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ قَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ ".

وأخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٨٦٨)، عَنْ طَلْقٍ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، احْتَرَقَ بَيْتُكَ فَقَالَ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: جَاءَتِ النَّارُ حَتَّى إِذَا دَنَتْ مِنْ دَارِكِ طُفِئَتْ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ سَيَفْعَلُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ فَقَدْ قُلْتُهُنَّ، فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَضُرُّنِي شَيْءٌ، أَوْ لَنْ أُضَرَّ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ". وفي «عمل اليوم والليلة»، لابن السني، (٥٨)، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأُتِيَ، فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ دَارَكَ فَقَدِ احْتَرَقَتْ. فَقَالَ: مَا احْتَرَقَتْ دَارِي، فَذَهَبَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ دَارَكَ فَقَدِ احْتَرَقَتْ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا احْتَرَقَتْ دَارِي. فَقِيلَ لَهُ: احْتَرَقَتْ دَارُكَ، وَتَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا احْتَرَقَتْ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ رَبِّي آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، لَمْ يُصِبْهُ فِي نَفْسِهِ وَلَا أَهْلِهِ وَلَا مَالِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ ". وَقَدْ قُلْتُهَا الْيَوْمَ. ثُمَّ قَالَ: انْهَضُوا بِنَا. فَقَامَ وَقَامُوا مَعَهُ، فَانْتَهَوْا إِلَى دَارِهِ، وَقَدِ احْتَرَقَ مَا حَوْلَهَا، وَلَمْ يُصِبْهَا شَيْءٌ "»، وفي " مسند أحمد"، (١٥٤٦٠)، حَدَّثَنَا أَبُو النَّيَّاحِ، قَالَ: قُلْتُ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ كَبِيرًا، أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: «مَا أَقُولُ؟» قَالَ: " قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ ". قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تبارك وتعالى، وفي " جامع الترمذي"،(٣٤٤٢)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَيَقُولُ: "اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ"، وفي " سنن ابن ماجه"،(٢٨٢٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "أَسْتَوْدِعُكَ

اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ"، وفي " سنن أبي داود"،(٢٦٠١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْخَطْمِيِّ، قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْدِعَ الْجَيْشَ قَالَ: "أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ" ، وأخرج أحمد في " المسند"،(٥٦٠٦)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ عليه السلام كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عز وجل إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ ".

وفي " سنن أبي داود"، (٥٠٥٢)، عَنْ عَلِيٍّ رحمه الله، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ مَضْجَعِهِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ، اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ".

من حفظ حدود الله وراعى حقوقه، حفظه، فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} [البقرة: ٤٠]، وقال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢]، وقال: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد: ٧][٢٤١]، من حفظ حدود الله وراعى حقوقه، وجد الله معه في جميع الأحوال، يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده، فإنَّه قائم عَلَى كل نفس بما كسبت، وهو تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، قال قتادة: ومن يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الَّذِي لا ينام، والهادي الَّذِي لا يضل[٢٤٢]، وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهمِّ أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرتُ هذا الحديثَ، فأدهشني وكِدتُ أطيشُ، فوا أسفى من الجهل بهذا الحديث، وقِلَّةِ التفهم لمعناه[٢٤٣]، قال ابن دقيق العيد في «شرح الأربعين النووية» (ص٧٦):«"احفظ الله يحفظك" ومعناه: كن مطيعا لربك مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه، وقوله: "احفظ الله تجده تجاهك" أي: اعمل له بالطاعة ولا يراك في مخالفته فإنك تجده تجاهك في الشدائد». انتهى

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٦٥-٤٦٩):

"وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله عز وجل: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: ١١]، فمن حفظ الله حَفِظَهُ الله من كلِّ أذى، قال بعضُ السلف: من اتقى الله، فقد حَفِظَ نفسه، ومن ضيَّع تقواه، فقد ضيَّع نفسه، والله الغنيُّ عنه.

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المُضِلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينَه عندَ موته، فيتوفَّاه على الإيمان.

---

٢٤١ - ينظر: «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس» (٣/ ٩٩)
٢٤٢ - ينظر: «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس» (٣/ ١١٣)
٢٤٣ - ينظر: «جامع العلوم والحكم» (ص٤٣٤)

وفي الجملة، فالله عز وجل يحفظُ على المؤمن الحافظ لحدوده دينَه، ويحُولُ بينه وبين ما يُفسد عليه دينَه بأنواعٍ مِنَ الحفظ، وقد لا يشعرُ العبدُ ببعضها، وقد يكونُ كارهًا له، كما قال في حقِّ يوسُف عليه السلام: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤] ...". انتهى بتصرف

قال الهيتمي في «الفتح المبين بشرح الأربعين» (ص٣٧٦):

«وهو باعتبار طريقيه حديثٌ عظيم الموقع، وأصلٌ كبيرٌ في رعاية حقوق اللَّه تعالى، والتفويض لأمره، والتوكل عليه، وشهود توحيده وتفرده، وعجز الخلق وافتقارهم إليه، وبهذا التقرير يصح أن يدعى في مثل هذا الحديث أنه نصف الإسلام، بل كله؛ لأن التكاليف إما أن تتعلق باللَّه سبحانه وتعالى أو بغيره، وهذا فيه بيانٌ لجميع ما يتعلق به تعالى صريحًا، وبغيره استلزامًا، على أن ذلك كله مفهومٌ من أول جملةٍ فيه، وهي: "احفظ اللَّه يحفظك"، وفيه أيضًا: التصريح بجملٍ مستكثرةٍ مما يتعلق بحقوق الآدميين، أشير إليها بذكر الصبر وما بعده...». انتهى

١٨-قيمة نعمة الأمن:

كانت وما زالت وستظل التربية هي صمام الأمن والأمان لأي مجتمع في أي زمان وفي أى مكان، والتربية هى الحصن الحصين، وهى الملاذ الآمن لأية أمة تريد أن تربى أبناءها على طلب العلم ونقاء العقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك، وصفاء الفكر وصحته وسلامته من التيه، والتربية فى أى أمة هى مرآة المجتمع، يرى فيها نفسه ويؤكد فيها ذاته، وكما يكون المجتمع تكون التربية، وكما تكون التربية يكون المجتمع، بمعنى أن التربية تتوجه بمقدرات المجتمع ومقوماته، كما أنها توجه المجتمع وتدير حركة الحياة فيه، فهى تؤثر وتتأثر، تقود وتقاد، تنفعل وتتفاعل، كما أن من أهم جوانب التربية عموماً والتربية الإسلامية خصوصا الجانب العقلى (الجانب الفكرى) كونه أحد الضروريات الخمس التى نص عليها الكتاب والسنة على وجوب حفظها وأمنها ورعايتها[٢٤٤]، والإسلام دين الفطرة ، فهو فى منهاجه التربوى يأخذ الكائن البشرى كله، بفطرته التي خلقه الله عليها، فيعالجه معالجة شاملة لا تترك شيئاً من هذه الفطرة ولا تغفل عن شىء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض، إضافة إلى أن الإسلام يصل بين الدنيا والآخرة والأرض والسماء، إنه الشمول الذى يتناول جميع الجزئيات وفى وقت واحد، وتلك دقة معجزة لا تصدر إلا من الخالق العظيم والإسلام إذ يربى الإنسان بجوانبه المتعددة، لا يعطي كل جانب منه مطالبه وحاجاته فحسب، بل يعطيه إياها

٢٤٤ - منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، د. العنزي، مجلة التربية بجامعة أسيوط، م ٣٥، ع ٧، يوليو ٢٠١٩، ص ٤٦١-٤٩٦

كذلك بالقدر المضبوط الذى لا يحرمه ولا يُتخمه، فينطلق الإنسان وقد أخذ حظه من الغذاء الصالح بمقادير صالحة، نشيطاً متحركاً منتجاً باستمرار، وما من نظام آخر يعالج النفس البشرية بهذه الدقة وذلك الشمول، والعقل فى الإسلام أحد مكونات الشخصية الإنسانية.

التربية الفكرية أحد مجالات التربية الإسلامية التى تعنى بالكائن الإنسانى كوحدة مترابطة ممتزجة الأجزاء، لا ينفصل منه جسم عن عقل وعن روح، والعقل البشرى طاقة من أكبر طاقاته، ونعمة من أكبر نعم الله عليه، لقوله تعالى: {قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكمْ وَجَعَلَ لَكمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكرُونَ}[٢٤٥]، إن الدين الإسلامى هو ذلك الدين الذى اهتم بأن يقوم بتربية أبنائه بالشكل الصالح والسليم حتى يصبحوا أفراداً نافعين لأنفسهم وللمجتمع الذى يعيشون به، كما أن الإسلام هو شريعة الله عز وجل للبشر، ومنها يحققوا عبادة الله فى الأرض، والعمل بتلك الشريعة يساهم فى تطوير الإنسان وتهذيبه بالإضافة إلى مراقبته والخضوع لله عز وجل[٢٤٦]وفي السنة النبوية[٢٤٧]، ما يؤكد أهمية أمن الإنسان في الجماعة التي يعيش فيها، أخرج الترمذي في " جامعه"،(٢٣٤٦)، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"، فالأمن على نفس الإنسان، وعلى سلامة بدنه من العلل، والأمن على الرزق، هو الأمن الشامل الذي أوجز الإحاطة به وتعريفه هذا الحديث الشريف، وجعل تحقق هذا الأمن لدى الإنسان بمثابة ملك الدنيا بأسرها، فكل ما يملكه الإنسان في دنياه، لا يستطيع الانتفاع به، إلا إذا كان آمناً على نفسه ورزقه، وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين، ونهى عن كل فعل يبث الخوف والرعب في جماعة المسلمين، حتى ولو كان أقل الخوف وأهونه، باعتبار الأمن نعمة من أجلّ النعم على الإنسان، ففي " سنن أبي داود"،(٥٠٠٤)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا"، وفي " جامع الترمذي"،(٢١٦٠)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَأْخُذْ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لَاعِبًا أَوْ جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ"، ونهى عن أن يخفي الإنسان

---

٢٤٥ - الأمن الفكري لدى الطلاب مظاهره وصوره وطرق الوصول إليه، الزهراني

٢٤٦ - منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، و" التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية"، (ص ٥)

٢٤٧ - ينظر: «الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام» (ص٢٣)

مالاً لأخيه، ولو لم يكن بقصد الاستيلاء عليه، ولكن أراد بذلك أن يفزعه عليه، ففي " سنن أبي داود"،(٥٠٠٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا، وَلَا جَادًّا"، وفي " سنن أبي داود"،(٢٦٧٥)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا" وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: "مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ " قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ"، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يؤمّن روعاته، حيث كان يقول: «اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي»، فالخوف والروع، نقيض الأمن الذي يطلبه المسلم في دنياه وآخرته.

ويظهر اهتمام الإسلام بالأمن حتى في وقت القتال، فلا يصح إرهاب أو قتال من لا يحارب، كالنساء والصبيان، وكبار السن، الذين لا مدخل لهم في القتال، ففي " صحيح مسلم"،(١٧٣١)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا".

كما يتأكَّد هذا المفهوم مِن شدة التحريج النبوي في حجَّة الوداع على المسلمين في أثناء الخُطبة الجامعة، إذ جاء فيها كما في " صحيح البخاري"،(٦٧)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: " أَيُّ يَوْمٍ هَذَا "، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: " أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ " قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: " فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا " فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ

بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: " أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ " قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ "، وفي " صحيح البخاري"،(٥٠٥٥)، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ " قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ - وَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ - أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ "،

الأمنُ مِنَّة إلهيَّة، ونفحة ربَّانية، امتنَّ الله به على عباده في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٣- ٤]، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، في ظلال الأمن تُعمَر المساجدُ وتُقام الصلوات، وتُحفَظ الأعراض والأموال، وتُؤمَّن السبل، وتُطبَّق شريعة الله، وتُنشَر الدعوة إلى الخير، في رحاب الأمن يسود الاطمئنان، ويعمُّ الخير والرخاء، وتستقيم حياة بني الإنسان، ويَسُود العلم وتستمرُّ عجلة التنمية، ويزدهر الإنتاج[٢٤٨]

الأمن أساسى للتنمية: فلا تنمية ولا ازدهار إلا فى ظلال أمن سابغ، فالتخطيط السليم والإبداع الفكرى والمثابرة العلمية، هى أهم مرتكزات التنمية، وهى أمور غير ممكنة الحدوث إلا فى ظلال أمن واستقرار يطمئن فيه الإنسان على نفسه وثرواته واستثماراته.

الأمن غاية العدل، والعدل سبيل للأمن، الأمن غاية الشرائع وهدفه الأسمى، فقد أنزل الله الشرائع متعاقبة متتالية منذ أهبط أول إنسان إلى هذه الأرض، حيث ظلت عناية الله تتابعه وتلازمه، فما تقوم أمة ولا يبعث

[٢٤٨] - مقومات الأمن، محمد السبر

جيل إلا ويكون لرسالة السماء شأن معه، قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}، وقد كانت غاية هذه الرسالات هى إقامة السلام الاجتماعى بين بنى الإنسان، فتأتى الرسالة مبينة الحلال والحرام والحق والباطل، وقد ذكر رسول الله هذا المعنى، ففي " صحيح البخاري"،(١٠)، و" صحيح مسلم"،(٤٠)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»، وفي " صحيح البخاري"،(١١)، و" صحيح مسلم"،(٤٢)، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، وفي " صحيح ابن حبان"، (٥١٧٦)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الشُّحُّ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ، فَبَخِلُوا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "أَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ، وَيَدِكَ"، وفي " مسند أحمد"، (٢٣٩٥٨)، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ»، وفي " مسند أحمد"،(٢٢٧٥٧)، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ".

فإن الأمن يعتبر من أهم مطالب الحياة، بل لا تتحقق أهم مطالبها إلا بتوفره، حيث يعتبر ضرورة لكل جهد بشري، فردي أو جماعي، لتحقيق مصالح الأفراد والشعوب، والتاريخ الإنساني، يدل على أن تحقيق الأمن للأفراد والجماعات الإنسانية، كان غاية بعيدة المنال في فترات طويلة من التاريخ، وأن الأمن لم ينبسط على الناس في المعمورة إلا خلال فترات قليلة[٢٤٩]

الإسلام يوفّر أفضل مستوى للأمن الاجتماعي، والأمن الاجتماعي في الإسلام فريضة شرعية، وضرورة حياتية، لا يستغنى عنها إنسان ولا حيوان ولا طير ولا جماد، فهو نعمة من الله تعالى يبسطها في قلوب الأفراد والمجتمعات والدول وسائر الكائنات، وقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بالأمن إذا التزموا بما أرشدهم إليه من الهدى فقال: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[الأنعام:٨٢]، والأمن

٢٤٩ - ينظر: «الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام» (ص٥)

الاجتماعي هو الطمأنينة والسكون في الأنفس وفي جميع شؤون الحياة، ومن أعظم أسباب وركائز الأمن هو الإيمان، إذ به يتم الأمن الروحي الذي هو من أهم مقومات الأمن الاجتماعي[٢٥٠]

وفي محاولة لنظرة شاملة ومتكاملة فالأمن عبارة عن "مجموعة من الإجراءات التربوية والوقائية والعقابية التي تتخذها السلطة لحماية الوطن والمواطن داخلياً وخارجياً انطلاقاً من المبادئ التي تؤمن بها الأمة، ولا تتعارض أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المعتبرة"[٢٥١]، والأمن في الجانب الشرعي: "هو الاستعداد والأمان بحفظ الضروريات الخمس من أي عدوان عليها، فكل ما دل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والرقي في شأن من شؤون الحياة فهذا أمن"[٢٥٢]

وجملة القول وبالتأمل في مصطلح (الأمن الفكري) من حيث مقتضياته وما يمكن أن يترتب عليه في المجتمع المسلم وما انتهى إليه الباحثون قي تعريفهم للأمن الفكري أنه هو "حفظ الفكر وصيانته مما يعكر صفوه من الأفكار الهدامة أو الدخيلة، أو الشبهات المضلله، وحمايته من الانحراف، وتحصينه بالعلم والمعرفة فى مواجهة كل فكر منحرف، وأن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة[٢٥٣]

وجاء في " الموسوعة الفقهية الكويتية"، (٢٧١/٦)، أن الأمن عند فقهاء المسلمين ما به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم.

يتضح مما تقدم أن الأمن ينقسم قسمين:

القسم الأول: الأمن في الدنيا، وهو الاطمئنان على ضرورات الحياة، وحاجياتها ومكملاتها، بحيث لا يعتدي أحد على تلك الضرورات وما يتبعها، فإذا هم أحد بالاعتداء على شيء منها وجد ما يزجره عنها من الزواجر التي وضعها الله تعالى، من العقاب الأخروي، أو العقاب الشرعي في الدنيا.

القسم الثاني: الأمن الأخروي، وهذا هو الأمن الحق الذي إذا وفق الله له أمة من الأمم، فهيأ لها أسبابه، ووقاها من موانعه، فسعت لتحقيقه، تحقق لها معه أمن الدنيا أيضاً، فالنجاة من النار يوم القيامة هي الأمن الحق، والذي ينجو من النار يكمل أمنه بدخول الجنة ونعيمها وغرفاتها، كما قال تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

---

٢٥٠ - ينظر: " الأمن الاجتماعي ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي"، (ص١-٢)، ومقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام وآليات تحقيقه.

٢٥١ - ينظر: " مفهوم الأمن الفكري "دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام"، (ص١٧)، و " المفهوم الأمني في الإسلام"، (ص١٢)

٢٥٢- ينظر: " مقومات الأمن في القرآن"، الهويمل، (ص٩)

٢٥٣- يراجع: " الشريعة الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الفكري"، (ص١٦)، و" الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية"، (ص ٣١٦)، و " مفهوم الأمن الفكري "دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام"، (ص٢٣-٢٤)

(٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)}، وقال تعالى: {مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)}، وبهذا يعلم أن الأمة التي تحوز الأمن التام في الدنيا والآخرة، هي أمة التوحيد والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أجل هذا الأمن أنزل الله كتبه وبعث رسله وخلق خلقه وأعد جنته وناره، قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٢٥٤]، فالتربية على طاعة الله ورسوله، هي التي تؤدي إلى العمل الصالح، وترك العمل السيئ، وفي ذلك يكمن الأمن الحقيقي[٢٥٥]، الذي يُرَبّى على عبودية الله وحبه، والخوف منه، واتباع شرعه، والبعد عن معصيته، والتوكل عليه وحده، وعدم الخوف من غيره أن يقرب أجلاً أو يقطع رزقاً، إن الذي يربّى هذه التربية يصبح حراً من اتباع الأهواء والشهوات، فلا يقدم على معصية لربه أو ما يضر الناس، وهنا يكون الأمن والطمأنينة، بخلاف من أسر لشهوته وهواه، فإنه يقدم على المعاصي والجرائم ولا يبالي ضرر الناس وأذاهم[٢٥٦]

فحفظ الأمن في الدنيا مقصود شرعاً، وكذلك ينظر إلى الأمن الأخروي وليس الدنيوي فقط، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى الأمن الأخروي إلا إذا نجح في تحقيق الأمن الدنيوي[٢٥٧]

١٩- حسن الظن بالله واللجوء إليه:

إن حسن الظن بالله صفة راسخة على كل مؤمن أن يغرسها في قلبه، أخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٨٧٧)، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٦٠٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ"، وفي رواية عند أبي داود في " سننه"،(٤٩٩٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ"، «فيه الحث على عظيم الرجاء وحسن الظن بالله والطمع في رحمته ورضوانه»[٢٥٨]، وفي " صحيح مسلم"،(٢٦٧٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَاللَّهِ

---

٢٥٤ - ينظر:" أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي"، (ص١١-١٤)

٢٥٥ - ينظر: "أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي"، (ص٦٧)

٢٥٦ - ينظر: "أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي"، (ص٧٢)

٢٥٧ - ينظر: " مفهوم الأمن الفكري "دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام"، (ص١٥)

٢٥٨ - ينظر: «فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٤٨٦)

لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ "، وفي " صحيح البخاري"،(٧٥٣٧)، و" صحيح مسلم"،(٢٦٧٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: " قَالَ اللهُ عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ "، وفي "صحيح ابن حبان"،(٦٤١)، عَنْ حَيَّانَ أَبِي النَّضْرِ، قَالَ خَرَجْتُ عَائِدًا لِيَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ فَلَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ وَهُوَ يُرِيدُ عِيَادَتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى وَاثِلَةَ، بَسَطَ يَدَهُ، وَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَاثِلَةُ حَتَّى جَلَسَ، فَأَخَذَ يَزِيدُ بِكَفَّيْ وَاثِلَةَ، فَجَعَلَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ، فقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِاللَّهِ؟، قَالَ: ظَنِّي بِاللَّهِ وَاللَّهِ حَسَنٌ، قَالَ: فَأَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا"، وفي " صحيح مسلم"،(١٩٢)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا "، وفي رواية عند ابن حبان في " صحيحه"،(٦٣٢)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَخْرُجُ رَجُلَانِ مِنَ النَّارِ فَيُعْرَضَانِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمَا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ هَذَا رَجَائِي، قَالَ: وَمَا كَانَ رَجَاؤُكَ؟، قَالَ: كَانَ رَجَائِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا، أَنْ لَا تُعِيدَنِي، فَيَرْحَمُهُ اللَّهُ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ"، وفي " مسند أحمد"،(١٣٤١١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِنَّ عَبْدًا فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ: يَا حَنَّانُ، يَا مَنَّانُ " قَالَ: " فَيَقُولُ اللَّهُ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي هَذَا، فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ، فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُكِبِّينَ يَبْكُونَ، فَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ فَيُخْبِرُهُ، فَيَقُولُ: ائْتِنِي بِهِ، فَإِنَّهُ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَيَجِيءُ بِهِ، فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ شَرَّ مَكَانٍ، وَشَرَّ مَقِيلٍ؟ فَيَقُولُ: رُدُّوا عَبْدِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ تَرُدَّنِي فِيهَا فَيَقُولُ: دَعُوا عَبْدِي "، وفي " جامع الترمذي"، (٢٥٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: " إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا، فَقَالَ الرَّبُّ عز وجل: أَخْرِجُوهُمَا، فَلَمَّا أُخْرِجَا قَالَ لَهُمَا: لِأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالَا: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا، قَالَ: إِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ، فَيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ فَيَجْعَلُهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَيَقُومُ الآخَرُ فَلَا يُلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ عز وجل: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاؤُكَ، فَيَدْخُلَانِ جَمِيعًا الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ "، وفي " جامع الترمذي"، (٩٨٣)، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى

شَابٍّ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقَالَ: "كَيْفَ تَجِدُكَ؟ "، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ"، وفي مسند أحمد"، (١٦٠١٦)، قَالَ: حَدَّثَنِي حَيَّانُ أَبُو النَّضْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَاثِلَةَ فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَجْهِهِ لِبَيْعَتِهِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ: وَاحِدَةٌ، أَسْأَلُكَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيْ حَسَنٌ قَالَ وَاثِلَةُ: أَبْشِرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ "، وقال تعالى عن قافلة الأنبياء: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}.

إن الله فطر الإنسان على الخوف والرجاء ويعمل هذان الخطان باستمرار في نفسه، وبمقدار اتجاههما الاتجاه السليم، يفوز المسلم بالأمن في الدنيا وبالجنة في الآخرة[٢٥٩]، قال ابن الجوزيّ: إذا اشتدّ خوف المُؤمن لذنبٍ تقدم منه، فليرجُ العفوَ وليحذر القنوط، وليعلم أن مراد الحق منه التوبة والاستغفار[٢٦٠]

الرجاء هو الاستبشار بجود الله وفضله، والطمع في إحسانه وعطائه، مع بذل الجهد وحسن التوكل[٢٦١]، الرجاء عبادةٌ قلبية من أعظم العبادات، وعليه وعلى الحب والخوف مدارُ السَّير إلى الله تعالى، قال تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}[الإسراء: ٥٧]، فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب، والخوف، والرجاء[٢٦٢]، والخوف من الله يقف حارساً يرغب الإنسان إلى الخير والاستقامة، ويحذره من الشر والانحراف، فإذا اقترف ذنباً فإنه يسارع بالتوبة والندم والاستغفار، والخائفون من الله هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولهذا يجب علينا كمربين أن نغرس في نفوس أطفالنا صفة الخوف من الله ليستيقظ ضميره من صغره، ويصمد أمام مغريات الدنيا[٢٦٣]، إنَّ الأساس في التربية الإيمانية هو أن يكون بين الإنسان وربه إيصال دائم لا ينقطع، فالعبادة بجميع أنواعها وشتى صورها تشعر المؤمن أنه موصول بالله سبحانه وتعالى يستمد منه الهداية والعون،

---

[٢٥٩] - ينظر: " الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية"، (ص ١٩٨)

٢٦٠ - ينظر: «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (١/ ٤٥)

٢٦١ - ينظر: " رسالة في أسس العقيدة"، (ص ٣٠)

٢٦٢ - الرجاء عبادة قلبية، الألوكة

[٢٦٣] - ينظر: " الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية"، (ص ٩٩-٢٠٠)

يدعو فيجيب الله دعاءه، إذا أردنا أن تظهر الفضائل الإنسانية الحقيقية في قلوب أطفالنا، فلنربيهم على قاعدة تربوية يكون أساسها الارتباط الواقعي والصلة الدائمة بينهم وبين خالقهم[٢٦٤]

قال السفاريني في «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (١/ ٤٦):

«فلا ريب أنّ حسن الظن بمن خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وهو سبحانه وتعالى مستغني عنا، وعن عملنا، وعن تعذيبنا، وعقابنا من أعظم ما نتقربُ به إليه، ومن أجزل ما نتوجه به عليه، وأيّ عبادة أعظم من حسن ظنّنا بربّنا، مع خوف أن يعاملنا بعدله، فالعاقل يكون بين الرّجاء والخوف، لكن يغلِّب الرّجاء عند الاحتضار، ويحسن الظّنّ ثَمَّ بالكريم الغفّار، ويستحضر أنه قدم على أكرم الأكرمين، إذْ هُو الكريم الستار....». انتهى

وأخرج ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٨٣)، عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عز وجل وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عز وجل الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عز وجل ظَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ»، وأخرج ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٧)، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الضَّرِيرُ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، أَخُو حَزْمٍ الْقُطَعِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رحمه الله فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا يَحْيَى لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَى اللَّهِ عز وجل؟ قَالَ: «قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ، مَحَاهَا عَنِّي حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ»، وأخرج أيضاً في (٨)، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ رحمه الله، قَالَ: رَأَيْتُ حَوْشَبًا فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: أَبَا بِشْرٍ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ قَالَ: نَجَوْنَا بِعَفْوِ اللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنَا بِهِ؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِمَوْلَاكَ، فَكَفَى بِهِمَا خَيْرًا»، وفي (٩)، حَدَّثَنَا عَمَّارُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: رَأَيْتُ حَسَنَ بْنَ صَالِحٍ فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: قَدْ كُنْتُ مُتَمَنِّيًا لِلِقَائِكَ، فَمَاذَا عِنْدَكَ فَتُخْبِرَنَا بِهِ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرْ فَلَمْ أَرَ مِثْلَ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عز وجل شَيْئًا»، وأخرج ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٧٩)، حدثنا أبو كريب، أخبرنا المحاربي، عن بكر بن خنيس، عن شعيب بن سليمان، أو غيره، قال: إن ذا القرنين لقي ملكاً من الملائكة، فقال: علمني علماً أزداد به إيماناً ويقيناً، قال: إنك لا تطيق ذلك، قال: لعل الله يطوقني، قال: لا تغتم لغد، واعمل في اليوم لغد، وإن أتاك الله من الدنيا سلطاناً أو مالاً فلا تفرح به، وإن صرف عنك فلا تأس عليه، وكن حسن الظن بالله عز وجل، وضع يدك على قلبك فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنعه بأخيك، ولا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون

[٢٦٤] - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٨٢-٨٣)، و" الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية"، (ص ٢٠٠-٢٠١)

على ابن آدم حين يغضب، ورد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً.

جاء في «نثر الدر في المحاضرات» (٥/ ٧٥):

«قَالَ الْفضل بن سهل: رَأَيْت جملَة السخَاءِ حسن الظَّن بِاللَّه، وَجُمْلَة الْبُخْل سوء الظنّ بِاللَّه».

وفي «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠/ ٥٨): سمعت محمد بن محمد بن مسعود البدشي يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول: العارف قد يشتغل بربه عن مفاخرة الأشكال ومجالس العطايا، وعن من منازعة الأضداد في مجالس البلايا، قال وسمعت يحيى بن معاذ يقول: أوثق الرجاء رجاء العبد ربه، وأصدق الظنون حسن الظن بالله.

٢٠- تَذَكُّر النِّعَم وآثاره التربوية:

في كل طرفة عين، ودقة قلب، يتعرف الله إلى عباده بما يفيض عليهم من بركاته، ويُنزِل عليهم من خيراته، وهي بركات وخيرات متجددة على اختلاف الليل والنهار، فمن اعتبر حال نفسه، وفتَّش على ما خصَّه الله به، وجد نعمًا كثيرة؛ كالصحة، والأمن، والستر، والعقل، وحسن الهيئة، وحسن الخلق، والزوجة الصالحة، والولد الصالح، والمال الحلال، وغير ذلك، هذا فضلًا عن النِّعَم العامة التي تحيط به من كل مكان، والأدلة على أنَّ نعم الله التي تغمر العبد زمانًا ومكانًا، وجسدًا وروحًا؛ كثيرة جدًّا، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]، والمتأمل في منهج القرآن، يلحظ أن الله يحض عباده على دوام ذِكْر النِّعَم، وذلك في مواضع كثيرةٍ، منها: قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٩]، وقوله: ﴿ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٢٠]، وكرر الله على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظًا لهم، وتحذيرًا وحثًّا؛ حيث ورد قوله تعالى: ﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾، في ثلاثة مواضع من سورة البقرة؛ وهي الآيات أرقام [٤٠، ٤٧، ١٢٢]، وما من نَبِيٍّ من أنبياء الله إلا ذَكَّر قومَه بهذه العبادة، إيقاظًا لعقولهم وتحريكًا لقلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقال تعالى على لسان عدد من أنبيائه: ﴿ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف ٦٩، ٧٤]، وآلاء؛ أي: نِعَمٌ كثيرة، وكان السَّلَف الصالح يتقربون إلى الله بذكر النِّعَم، وأخبارهم كثيرة في هذا، فقد جلس الفُضيلُ بن عياض، وسفيان بن عيينة يتذاكران النِّعَم إِلَى الصباح، وقرأ الفُضيلُ ليلةً قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد: ٨، ٩]، فبكى، فسئل عن بكائِهِ، فقال:

هل بتَّ ليلة شاكرًا لله أنْ جعل لك عينين تُبصر بهما؟ هل بتَّ ليلةً شاكرًا لله أنْ جعل لك لسانًا تنطق به؟ وجعل يُعدِّد من هذا النوع[٢٦٥]، وعن ذِكْر النِّعَم في دعاء النبي، فلم يغب ذِكْر النِّعَم عن بال نَبِيُّنا، فكان يقولُ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ حينَ يُسلمُ، كما في " صحيح مسلم"،(٥٩٤)، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" وَقَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ"، وفي " سنن أبي داود"،(١٥٠٨)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: - وَقَالَ سُلَيْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبُرِ صَلَاتِهِ: - "اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ، اللَّهُمَّ نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"، قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: "رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ"، وفي " سنن النسائي"،(١٣٠٣)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ"، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ".

وأخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٠٣٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: "مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ " قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ،، قَالَ: "وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا"، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَيْنَ فُلَانٌ؟ " قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ"، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ"،

---

٢٦٥ - ينظر: «جامع العلوم والحكم»، (٢/ ٧٥)

ومن أدعيته المأثورة التي مَنْ قالها حين يُصبحُ فقد أدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قال مِثلَ ذلك حين يُمْسي، فقد أدَّى شُكْرَ لَيلَتِهِ، ما جاء في " سنن أبي داود"،(٥٠٧٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ"، وفي " صحيح ابن حبان"،(٨٦١)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ"، وفي " صحيح مسلم"،(٢٧٢٥)، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٦٠٤)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْحِمْصِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: دُعَاءٌ حَفِظْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا أَدَعُهُ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أُعَظِّمُ شُكْرَكَ، وَأُكْثِرُ ذِكْرَكَ، وَأَتَّبِعُ نَصِيحَتَكَ، وَأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ"، وفي " مسند أحمد"،(٢٣٣٥٥)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي إِذْ سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، إِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، فَأَهْلٌ أَنْ تُحْمَدَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي، وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي، وَارْزُقْنِي عَمَلًا زَاكِيًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «ذَاكَ مَلَكٌ أَتَاكَ يُعَلِّمُكَ تَحْمِيدَ رَبِّكَ»، وفي " مسند أحمد"،(٧٩٨٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " ، وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٠٢)، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٥١)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو يَقُولُ: "رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٤٠٧)، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، قَالَ: صَحِبْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ،

وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ" ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ، يَقْرَأُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا، فَلَا يَقْرَبُهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ حَتَّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ"، وفي " سنن النسائي"،(١٣٠٥)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أُبَيٌّ غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: "اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ".

وفي دُعاء سَيِّد الاستغفار: «أَبُوءُ لَكَ بِنعْمَتِكَ عَليَّ، وَأَبُوءُ لك بِذَنْبي، فاغْفِر لِي، فَإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ»،

أخرج البخاري في " صحيحه"، (٦٣٢٣)، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ. إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الجَنَّةَ - أَوْ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ - وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ ".

وفي تلبيته في الحج والعمرة: «لبَّيْكَ اللَّهُمَّ لبَّيْكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعْمَةَ لك والمُلْك».

ففي " صحيح البخاري"، (٥٩١٥)، و" صحيح مسلم"، (١١٨٤)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُهِلُّ مُلَبِّدًا يَقُولُ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ» لَا يَزِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ.

ولتَذَكُّرِ النِّعَم فوائد تربوية عظيمة، منها٢٦٦:

أولًا: مَحَبَّة الله عَزَّ وَجَلَّ على إحسانه وإنعامه.

ثانيًا: الإزراء بالنفس والشعور بالتقصير في حق الله تعالى.

قال سليمان عليه الصلاة والسلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البُعْد العظيم: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال تعالى على لسان ذي القرنين لما بنى السد: ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ [الكهف: ٩٨] بخلاف أهل التجبُّر والتكبُّر والعلوِّ في الأرض، فإن النِّعَم تزيدهم أشَرًا وبَطَرًا، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣]، وقد ذَمَّ الله من أضاف النِّعَم إلى نفسه وعِلْمِه وقوَّتِه، ولم يضِفْها إلى فضل الله وإحسانه، كما قال تعالى حكاية عن قارون: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الزمر: ٤٩]

ثالثًا: القيام بشكر الله عَزَّ وَجَلَّ:

الشُّكْر حقيقته في الشرع، هو ظهور أثر نِعْمَة الله على لسان عبده وقلبه وجوارحه، فالشُّكْر بالقلب استشعار قيمة النِّعْمَة، والإقرار أَنَّهَا من الله، والشُّكْر باللسان: ذكر النِّعَم، وتعدادها وإظهارها، واشتغال اللسان بالثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ، والشُّكْر بالجوارح: ألا يستعان بالنِّعَم إلا على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه، قال جلَّ ذكره حكاية عمن كمل عقله وبلغ رشده: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: ١٣]

قال الجرجاني في «التعريفات» (ص١٢٨):

«الشكر: عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله، أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد، أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته، الشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان، الشكر العرفي: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله». انتهى

رابعًا: تقرير التوحيد والنبوة والبعث:

---

٢٦٦ - يراجع: الشكر في القرآن دراسة موضوعية، د. على، وشكر النعمة وأثره في الحفاظ عليها وتنميتها، العسيري، وتذكر النعم وآثاره التربوية، د. مكي، وفي ظلال آيات الشكر، الحمد

فالنِّعَم العامة والخاصة من أقوى الأدلة على وحدانية الله وقدرته، وعظيم كرمه وجوده في تلبية حاجة عبيده، ورحمته بهم في تحقيق حوائجهم ومصالحهم، ومن الشواهد على ذلك من القرآن الكريم أن سورة النحل تُسَمَّى بسُورَة النِّعَم[٢٦٧] وذلك بِسَبَبِ ما عَدَّدَ اللَّهُ فيها مِنْ نِعَمِهِ على عِبَادِهِ، وقد ختم الله عز وجل كثيرًا من آيات تعداد النعم فيها بـقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾، ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، ﴿ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، وبعضها تكَرَّرَ أكثر من مرة، وذلك ليحثَّ عباده على التذكر والتفكر في نِعَمِه، والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال، لتبقى القلوب موصولةً بالله عند كل حركة في الحياة، لا تغفل عن مراقبته سبحانه، ولا تتبلَّد بالركود والغفلة والنسيان، وفي سورة الرحمن شرحٌ وتفصيلٌ لعشرات النِّعَم الدينية والدنيوية والأخرويَّة، وبعد كل جنس ونوع من نِعَمِه، يُنبِّه الجن والإنس لشكره، ويقول: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن]، جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أنَّ هذه الآية وَرَدَتْ في السورة إحدى وثلاثين مرة، والهدف من ذلك تقرير النِّعَم وتأكيد التذكير بها، ففي " جامع الترمذي"،(٣٢٩١)، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: " لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن] قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ ".

قال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٥١):

«وأما تكرار فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (١٣) [الرحمن: ١٣] فإنه عدّد في هذه السورة نعماءه، وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلفه، ثم أتبع ذكر كل خلّة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، ليفهّمهم النّعم ويقرّرهم بها.....». انتهى

والله تبارك وتعالى في آيات كثيرة من كتابه يذكرنا بنعمه الظاهرة والباطنة، يذكر عموم الخلق بنعمه، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} [الزخرف:١٢-١٤]، وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر:٣]،وخاطب عيسى وهو نبي من أنبياء الله: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا

٢٦٧ -في «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٨٠): «قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تُسَمَّى سُورَةَ النِّعَمِ»، وفي قول الحسن وعكرمة وعطاء، كما في "البحر المحيط"، (٤٧٢/٥)، و" المحرر الوجيز"، (٣٧٧/٣)، " تفسير القرطبي"، (٦٥/١٠)، " وتسمى سورة النعم، بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده".

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً... }[المائدة:١١٠]، كما خاطب أهل الإيمان بقوله: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ} [البقرة:٢٣١]، {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}[آل عمران:١٠٣]، كما ذكرهم بأن كثرهم بعد القلة:{وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[الأنفال:٢٦]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا}[الأحزاب:٩-١١].

وهكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يذكرون أقوامهم بنعم الله عليهم كما قال هود لقومه: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف:٦٩]، وقال صالح لقومه مذكرًا ومنبهًا على نعم الله عليهم: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[الأعراف:٧٤]، وقال شعيب: {وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ} [الأعراف:٨٦]، وقال موسى لقومه:{اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ }[إبراهيم: ٦]، وقال لهم: {يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}[المائدة:٢٠]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على هذا المعنى.

قال الهروي:[٢٦٨] "وَمَعَانِي الشُّكْرِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ، ثُمَّ قَبُولُ النِّعْمَةِ، ثُمَّ الثَّنَاءُ بِهَا".

فذكر النعم مطلب شرعي لابد من تحقيقه.

٢٦٨ - ينظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٥٩٥)

٢١- حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الاستزادة من العلم والخير:

جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تدعو إلى المبادرة والسبق إلى فعل الخيرات عموما، وأخرى تدعو إلى المبادرة إلى فعل أعمال مخصوصة بأعيانها[٢٦٩] والرسول صلى الله عليه وسلم يتعهد أصحابه بالتربية والقدوة حتى يصبح السبق خلقاً من أخلاقهم وجزءاً غير منفصل عن ذواتهم، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه ويحضهم على المبادرة في الخيرات، والتسابق في الطاعات وينمي لديهم هذا الخلق ويعالج ما قد ينشأ عند بعضهم من فتور، أو قصور، أو تطلع زائد إلى الدنيا وزهرتها وذلك في سبيل بناء قاعدة صلبة قادرة على حمل أعباء المهمة الشاقة، مهمة حمل الرسالة وأداء الأمانة، ولهذا نجده صلى الله عليه وسلم يوجه أمته توجيهاً رشيداً محذراً إياهم أن يزدروا نعمة الله عليهم وألا يتشوفوا دائماً إلى ما عند الآخرين ممن هم فوقهم في المادة والغنى، لئلا يحملهم ذلك على المنافسة والمسابقة للحاق بهم، ففي " صحيح البخاري"،(٦٤٩٠)، و"صحيح مسلم"،(٢٩٦٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ"، وفي "صحيح مسلم"،(٨٠٣)، عَنْ مُوسَى بْنِ عُلَيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ "، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: "أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ".

وفي " صحيح البخاري"،(٤٧٤)، و"صحيح مسلم"،(٢١٧٦)، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ، فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ"، وفي " سنن ابن ماجه"، (٣٨٠٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟ " قُلْتُ: غِرَاسًا لِي، قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى

٢٦٩ - ينظر: المبادرة والمسابقة إلى الأعمال الصالحة في ضوء الكتاب والسنة وأثره على الرعيل الأول من هذه الأمة، السوالمة، «مجلة البحوث الإسلامية» (٣٧/ ٢٥٢)

غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ "، وفي " سنن الترمذي"،(٣٥٣٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الوَرَقِ فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ فَتَنَاثَرَ الوَرَقُ، فَقَالَ: "إِنَّ الحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ العَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ"

وهكذا ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه ويتعهدهم ويغرس في نفوسهم روح السبق والمبادرة على ضوء ما يتنزل من الذكر الحكيم، وكان هو ذاته صلى الله عليه وسلم لهم قدوة وأسوة حسنة في القول والفعل حتى أصبح هذا العنصر عنصر المبادرة شيمة من شيمهم، وجزءا لا ينفصل عن ذواتهم، يطيرون إليه مستسهلين كل صعب، مستعذبين كل مر، مستقربين كل بعيد، مستبعدين كل عذر وإن بدا وجيها، متجاهلين كل المعوقات٢٧٠، وهكذا بفضل التوجيهات الربانية ثم التربية النبوية يتأصل في أذهان الصحابة وفي عقولهم أنهم لا بد وأن يكونوا دائماً سباقين إلى الخيرات مهما كانت الصعاب أو المعوقات، ولهذا فإنهم كانوا يتألمون بل قد يقفون حائرين أحياناً في بعض المواقف التي لم يكتب لهم فيها السبق أو الديمومة عليه، أو تحقيق النصر مما يستدعي معالجة حالاتهم، ومسح آلامهم وتخفيف مصابهم وتطييب مشاعرهم، فلقد تسابق الصحابة للعمل بأوامر القرآن وترك نواهيه، فأصبحوا سعداء الدنيا.

أخرج البخاري في " صحيحه"،(٤٢١٠)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٤٠٦)، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"، وأخرج البخاري في " صحيحه"،(٥٧٥٢)، ومسلم في " صحيحه"،(٣٧٤)، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صلى الله

٢٧٠ - ينظر: المبادرة والمسابقة إلى الأعمال الصالحة في ضوء الكتاب والسنة وأثره على الرعيل الأول من هذه الأمة، (٣٧/ ٢٧٠-٢٧٢)

عليه وسلم وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ "، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟ " فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: "هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، وفي رواية: "فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَسْتَرقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "نَعَمْ"، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا، فَقَالَ: "سبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ"، وقوله: "فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ"، فيه حرص الصحابة على الخير، فهم يقولون: من هم الذين يدخلون الجنة من غير حساب! حتى ذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم بصفاتهم[٢٧١]

وفي " صحيح مسلم"،(٤٨٩)، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: "سَلْ" فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: "أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ" قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: "فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"، وفي " صحيح البخاري"،(٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»، وفي " جامع الترمذي"،(٣٤٤٤)، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي قَالَ: «زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى» فَقَالَ: زِدْنِي فَقَالَ: «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ» قَالَ: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ: «وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، وفي " سنن أبي داود"،(٤٧٨٢)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَنَا: "إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ"

وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهم[٢٧٢]، ففي " صحيح البخاري"،(٦١١٣)، و" صحيح مسلم"،(٧٨١)، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: احْتَجَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

---

[٢٧١] - ينظر: «توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم» (١/ ٤١١)

[٢٧٢] - ينظر: «الجامع لفوائد بلوغ المرام» (١/ ٣٩٧)

حُجَيْرَةً بِخَصَفَةٍ، أَوْ حَصِيرٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فِيهَا، قَالَ: فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ، قَالَ: ثُمَّ جَاءُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا، وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْهُمْ، قَالَ: فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُغْضَبًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ".

ومن حرص الصحابة على الخير، طلب الوصيَّة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦١٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، وفي رواية عند الترمذي في " جامعه"،(٢٠٢٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: عَلِّمْنِي شَيْئًا وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيهِ، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"، فَرَدَّدَ ذَلِكَ مِرَارًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: "لَا تَغْضَبْ".

وفي " جامع الترمذي"، (٢٦٧٦)، عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"، وفي " جامع الترمذي"،(٢٦١٦)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ" ، ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ " قَالَ: ثُمَّ تَلَا {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ} [السجدة]، حَتَّى بَلَغَ {يَعْمَلُونَ} [السجدة:١٦] ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ" ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ"، وفي " صحيح البخاري"،(١١٧٨)، و" صحيح مسلم"،(٧٢١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: «صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ»، وفي " سنن النسائي"،(٢٤٠٤)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَوْصَانِي حَبِيبِي صلى الله عليه وسلم بِثَلَاثَةٍ لَا

أَدَعُهُنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَبَدًا: "أَوْصَانِي بِصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِالْوَتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَبِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ"، وفي " مسند أحمد"،(٦٦٣٨)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً، فَغَنِمُوا، وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُرْبِ مَغْزَاهُمْ، وَكَثْرَةِ غَنِيمَتِهِمْ، وَسُرْعَةِ رَجْعَتِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَقْرَبَ مِنْهُ مَغْزًى، وَأَكْثَرَ غَنِيمَةً، وَأَوْشَكَ رَجْعَةً؟ مَنْ تَوَضَّأَ، ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِسُبْحَةِ الضُّحَى، فَهُوَ أَقْرَبُ مَغْزًى، وَأَكْثَرُ غَنِيمَةً، وَأَوْشَكُ رَجْعَةً"، وفي " مسند أحمد"،(٢١٤٢٨)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِثَلَاثَةٍ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِعَبْدٍ مُجَدَّعِ الْأَطْرَافِ. وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ»، وفي " مسند أحمد"، (١٦٦١٦)، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَوْ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ أَوْ قَالَ: أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِلَامَ تَدْعُو؟ قَالَ: «أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عز وجل وَحْدَهُ، مَنْ إِذَا كَانَ بِكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَ لَكَ، وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ فَأَضْلَلْتَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّ عَلَيْكَ»، قَالَ: فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ ثُمَّ قَالَ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ لَهُ: «لَا تَسُبَّنَّ شَيْئًا»، أَوْ قَالَ: «أَحَدًا» ـ شَكَّ الْحَكَمُ ـ قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعِيرًا وَلَا شَاةً مُنْذُ أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، «وَلَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ مُنْبَسِطٌ وَجْهُكَ إِلَى أَخِيكَ وَأَنْ تُكَلِّمَهُ، وَأَفْرِغْ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَائْتَزِرْ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ تبارك وتعالى لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»، وفي "صحيح مسلم"،(٦٤٨)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: "إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ، وَأَنْ أُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَ الْقَوْمَ وَقَدْ صَلَّوْا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً"، وفي " صحيح ابن حبان"،(٤٤٩)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم، بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: أَوْصَانِي: "بِأَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ"، وفي " صحيح مسلم"،(٢٦٢٥)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم أَوْصَانِي: "إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ".

ومن ذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته على التنافس في الطاعة، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالًا أعلى في المسارعة إلى الخير، ففي " صحيح البخاري"،(٨٥١)، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عُقْبَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا،

فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ».

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسابقون إلى عمل الصالحات، فهذا أبو بكر رضي الله عنه ما وجد طريقًا علم أن فيها خيرًا وأجرًا إلا سلكها، ومشى فيها، ففي " صحيح مسلم"، (١٠٥٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ".

كما كان أبو بكر رضي الله عنه له السَّبْق عندما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحابته أن يتصدَّقوا، ففي " جامع الترمذي"،(٣٦٧٥)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ " قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ " قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا، وفي " مسند أحمد"،(٢٦٥)، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ، عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَقَامَ فَتَسَمَّعَ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَجَدَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ"، قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"، قَالَ: فَأَدْلَجْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْتُ الْبَابَ - أَوْ قَالَ لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي - قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: إِنْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُ سَبَّاقٌ بِالْخَيْرَاتِ، مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ.

وفي «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، لأبي نُعيم، (١/ ٤٨):

«أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج في سواد الليل فرأه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عنى الأذى، فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع!».

وفي «البداية والنهاية»، لابن كثير، (٧/ ٢٦٦):

قال أسلم مولى عمر: قدم المدينةَ رفقةٌ من تجارٍ، فنزلوا المُصلَّى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لكَ أن تحرسهم الليلة؟ قال نعم! فباتا يحرسانهم ويُصليان، فسمع عمر بكاءَ صبيٍّ فتوجَّه نحوه فقال لأمِّه: اتقي الله تعالى وأحسني إلى صبيِّكِ. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلمَّا كان آخرَ الليل سمع بكاء الصبيّ فأتى إلى أمِّه فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، ما لي أرى ابنَك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟! فقالت: يا عبدَ الله إني أشغلُه عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأنَّ عمر لا يفرض إلا للمفطوم، قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهرًا، فقال: ويحك لا تعجليه عن الفطام. فلمَّا صلَّى الصبحَ وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء. قال: بُؤسًا لعمر. كم قتلَ من أولاد المسلمين. ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق.

وقال أسلم: خرجتُ ليلةً مع عمر إلى ظاهر المدينة، فلاحَ لنا بيتُ شعر، فقصدناهُ، فإذا فيه امرأةٌ تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها فقالت: أنا امرأة غَرِيبَةٌ وليس عندي شيء. فبكى عمر، وعاد يُهَرْولُ إلى بيته، فقال لامرأته أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لكِ في أجر ساقَهُ اللهُ إليكِ؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقًا وشحمًا، وحملت أم كلثوم ما يصلحُ للولادة وجاءا، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها -وهو لا يعرفه- يتحدث، فوضعتِ المرأةُ غلامًا، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بَشِّرْ صاحبَكَ بغلامٍ، فلما سمعَ الرجلُ قولَها استعظمَ ذلك، وأخذ يعتذرُ إلى عمر، فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقةٍ وما يصلحهم وانصرف.

وهذا بلال رضي الله عنه يَسبِقُ إلى الجنة بوضوئه وصلاته، ففي "صحيح البخاري"،(١١٤٩)، و" صحيح مسلم"،(٢٤٥٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِبِلَالٍ: عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ "يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ" قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللهُ لِي أَنْ أُصَلِّي.

وفي " صحيح البخاري"،(٤٥٥٤)، وفي " صحيح مسلم"،(٩٩٨)، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا

رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ».

وفي " صحيح البخاري"، (٦٣٢٩)، و" صحيح مسلم"،(٥٩٥)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: "وَمَا ذَاكَ؟ " قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ" قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً" قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ".

وفي "صحيح البخاري"،(٢٩٤٢)، و" صحيح مسلم"،(٢٤٠٦)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

وفي " صحصح مسلم"،(٩١٠١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا"، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: "لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا"، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ"، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ " قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وفي " صحيح البخاري"،(٢٨٠٥)، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، - يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: " كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] إِلَى آخِرِ الآيَةِ ".

فالصحابة رضي الله عنهم وإن كان الخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى خلقاً غالباً عليهم ودافعاً ملازماً لهم يدفعهم دائماً إلى المبادرة والسبق في الطاعة، إلا أنهم كانوا في الوقت نفسه كلهم أملاً ورجاءً بالله وتوكلاً عليه، واستغناء به عن أحد من خلقه، وطمأنينة بحكمه وقضائه، وكان هذا الأمل والاطمئنان كذلك دافعاً وحافزاً لهم على السبق والمبادرة، الأمر الذي جعلهم يضاعفون جهودهم ويتسابقون إلى فعل الخيرات مما كان له كبير الأثر عليهم وعلى الأمة من بعدهم[٢٧٣]

أخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٧٥٠)، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم "وَمَا ذَاكَ؟ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً" ثَلَاثَ مَرَّات.

٢٧٣ - ينظر: «مجلة البحوث الإسلامية» (٣٧/ ٢٩٣)

٢٢- الاستقامة:

الاستقامة ليست كلمة عابرة تقال، وإنما هي غاية جليلة، وهدف سام في هذه الحياة ينبغي لكل مسلم أن يسعى إليه، وللاستقامة سبل لا بد من سلوكها، ومواقع لا بد من الحذر منها[٢٧٤]، إن الاستقامة على دين الله وسلوك الصراط المستقيم من أعظم أسباب تحقيق السعادة وخلو المجتمع من أي انحرافات، إن الاستقامة على أمر الله عز وجل غاية جليلة، وهدف سام في هذه الحياة، ينبغي لكل مسلم أن يسعى إليه، ومن رحمة الله علينا أنه ما أمرنا بأمر إلا بين لنا كيفية الامتثال له، فقد أمرنا بالاستقامة، وبين لنا أن طريقها باتباع دين الله، ولما كان أمر الاستقامة ليس بالأمر السهل ولا الهين، فقد رسم الله تعالى لنا طريق الاستقامة لاتباعه والسير عليه، فإذا أراد الإنسان الأخذ بأسباب السعادة والفلاح والنجاة، فعليه سلوك سبيل الاستقامة على أمر الله تعالى كما رسمها لنا من خلال كتابه العزيز، فبها أسباب النجاة والسعادة والفوز العظيم، ولأهمية الاستقامة جاء الأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، بالتمسك بالحق والاستقامة، والتحذير من اتباع سبل الذين يصدون عن الصراط المستقيم، قال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وقال تعالى: {فَلِذلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}، فإذا كان هذا حال نبي الله، فما أحوجنا نحن إلى اتباعه وما أحوجنا إلى اليقظة والحذر والمحاسبة لأنفسنا٢٧٥، ففي " صحيح مسلم"،(٣٨)، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ: " قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ "، وفي " سنن ابن ماجه"،(٣٩٧٢)، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: "قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا"، وفي " جامع الترمذي"،(٢٨٧٨)، عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلَمَةَ الجُعْفِيِّ، قَالَ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَخَافُ أَنْ يُنْسِيَنِي أَوَّلَهُ آخِرُهُ، فَحَدِّثْنِي بِكَلِمَةٍ تَكُونُ جِمَاعًا قَالَ: "اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا تَعْلَمُ".

وفي " جامع الترمذي"، (٢٤٥٨)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ". قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ للَّهِ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ".

الاستقامة: " هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنةً ولا يسرةً، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك "[٢٧٦]

---

[٢٧٤]- ينظر: " الاستقامة (دراسة قرآنية)"، (ص٩)

[٢٧٥]- ينظر: " الاستقامة (دراسة قرآنية)"، (ص ١٠)

[٢٧٦]- ينظر: " نضرة النعيم"، (٢ / ٣٠٤)

قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٣٧١):

«فالاستقامة كلمةٌ جامعةٌ، آخذةٌ مجامعَ الدِّين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصِّدق والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلَّق بالأقوال والأفعال والأحوال والنِّيّات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله، قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإنَّ نفسك متحرِّكة في طلب الكرامة، وربُّك يطالبك بالاستقامة، وسمعت ابن تيمية يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة». انتهى

والملاحظ فيما ذكر من عبارات العلماء في تعريف الاستقامة، أنها وإن اختلفت إلا أن مضمونها واحد، وهي تلتقي على عدة أمور:

١- أن الاستقامة جامعة الخصال الدين كلها، سواء أكان ذلك في العبادات أم في المعاملات أم في غيرها.

٢- تتحقق الاستقامة في طاعة الله عز وجل بالالتزام فيما أمر والانتهاء عما نهي.

٣- الاستقامة تحقق الخيرات كلها سواء أكانت روحية أم دنيوية أم دينية أم غيرها.

٤- الاستقامة عبارة عن حد التوسط من غير حياد عن الطريق يمنة أو يسرة.

٥- الاستقامة تتحقق في الوفاء الله عز وجل والصدق معه تعالى[٢٧٧]

قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}، وقال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وقال تعالى: {قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}، وقال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}، وقال تعالى:{وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً}.

ثمرات الاستقامة من خلال الأدلة السابقة:

- تتنزل على أهل الاستقامة الملائكة بتطمينهم.
- الطمأنينة والسكينة.
- البشرى بالجنة.
- سعة الرزق في الدنيا.
- الانشراح في الصدر والحياة الطيبة.

والمتأمل في نصوص الوحيين، وما ذكر في الآيات السابقة من الاهتمام بالاستقامة والدعوة إليها فإنه يجد ترابطاً وثيقاً بين الاستقامة وبين تحقيق الأمن الفكري، فكل منهما مستلزم للآخر ويؤدي إليه، فلا استقامة بلا أمن فكري، كما أنه لا

٢٧٧- ينظر: " الاستقامة (دراسة قرآنية)"، (ص١١)

يمكن أن يتحقق الأمن الفكري بالابتعاد عن الاستقامة على منهج الله، بل إن من ثمرات الاستقامة هو حصول الطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف الذي هو المطلب الأساس للأمن الفكري كما ذكر في الآيات السابقة[٢٧٨]

والاستقامة هي الحجر الأساس للدين، فمجموع الأعمال الصالحة من دون استقامة لا ترقى بنا أن نقطف ثمار الدين، إن قضية الاستقامة وعلاقتها بالدين قضية دقيقة جداً، وما لم نعزم اتصالنا بالله عن طريق استقامتنا على أمره لن نقطف من ثمار الدين شيئاً[٢٧٩]، والاستِقامة يجب أن تكُون في الظاهر والباطن، أي: في أعمال القلب والجوارح[٢٨٠]

٢٣- تزكية النفوس

إن النفس الإنسانية عميقة الأغوار، معقدة الجوانب، سريعة التقلبات، لها إقبال وإدبار، ومحبة ونفور، وأنس ووحشة، ولها طاعات ومعاصٍ، وفيها خير وشر، فسبحان من سوَّى هذه النفوس وخلقها على هذه الهيئات المتنوعة، وقد أقسم الله تبارك وتعالى في القرآن العظيم أحد عشر قسماً متوالياً للتأكيد على أن الفلاح والفوز هو مصير من زكَّى نفسه، وسددها، وقوَّم عِوجها، وأن الخيبة والخسارة هي مصير من تركها فريسةً للهوى والشيطان، واتبع الشهوات، فقال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ٢وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} [الشمس: ١ - ١٠]، وفي هذه الآيات دلالة على عِظم خالق هذه النفوس وفاطرها ومدبرها، وفيها توجيه للعبد بضرورة اعتنائه بصفاء نفسه والعمل على فوزها وتزكيتها، عبر سوقها إلى الله سوقاً حثيثاً، والصبر على فعل الخيرات، وترك الشرور والمنكرات، والابتعاد عن كل ما يؤدِّي إلى قطعها عن طريق ربها في الدنيا وهلاكها في الآخرة، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ خطبة الحاجة التي كان يقدم بها بين يدي مواعظه بالاستعاذة بالله من شر النفس، فيقول كما في " جامع الترمذي"،(١١٠٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم التَّشَهُّدَ فِي الصَّلَاةِ، وَالتَّشَهُّدَ فِي الحَاجَةِ قَالَ: التَّشَهُّدُ فِي الصَّلَاةِ: "التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"، وَالتَّشَهُّدُ فِي الحَاجَةِ: "إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، فَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"، وَيَقْرَأُ ثَلَاثَ آيَاتٍ قَالَ عَبْثَرٌ: فَفَسَّرَهُ لَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: " {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران]، {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء]، {اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب] "، وفي هذا دلالة على وجوب الاعتناء بأمراض النفوس وعللها، وفي " مسند أحمد"،(٢٧٤٩)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ ضِمَادٌ الْأَزْدِيُّ مَكَّةَ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَغِلْمَانٌ يَتْبَعُونَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أُعَالِجُ مِنَ الْجُنُونِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلَا

---

٢٧٨ - ينظر: " مفهوم الأمن الفكري "دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام"، (ص٥٢-٥٥)

٢٧٩- ينظر: " الاستقامة (دراسة قرآنية)، (ص٣٩)

٢٨٠- الاستقامة وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، اللواء الدكتور العريفي، الألوكة

مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل، فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ" قَالَ: فَقَالَ: رُدَّ عَلَيَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ الشِّعْرَ، وَالْعِيَافَةَ، وَالْكَهَانَةَ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، لَقَدْ بَلَغْنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَأَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أَسْلَمَ: "عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ؟ "، قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، عَلَيَّ وَعَلَى قَوْمِي. قَالَ: فَمَرَّتْ سَرِيَّةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْمِهِ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، إِدَاوَةً أَوْغَيْرَهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ مِنْ قَوْمِ ضِمَادٍ، رُدُّوهَا. قَالَ: فَرَدُّوهَا. **التزكية** هي أقرب الكلمات وأدلها على معنى **التربية**، بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس وتهذيب الطباع وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسف به وتعرج[٢٨١]، وكل **التعريفات** لتزكية النفوس تدور حول تنقية النفوس من الآفات، وتجميلها بالطيبات، إخلاصاً لله تعالى، واقتداءً برسول الله ﷺ[٢٨٢]

تربية الأنفس مطلب مُلِحّ خصوصاً في هذا الواقع الذي امتلأ بالشهوات والشبهات، وهذا يدعو الإنسان إلى أن يخطو خطوات صائبة بثبات على منهاج النبوة في باب تزكية النفس وتربيتها، لأن النفس لا تستطيع أن تقف أمام الشبهات والشهوات إلا بتزكية وتربية حتى إذا صقلت، كانت شامخة الرأس عليّة، وتربية النفس ضرورة، وهو استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى، إذ إن الله عز وجل قد أمرنا أجمعين أن نزكي أنفسنا، وأن نقيها الذنوب والمعاصي حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}، أخرج الآجري في «أدب النفوس» (ص٢٦٠)، «عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم:٦] قَالَ: أَدِّبُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَأَهْلِيكُمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، وقد ربط الله عز وجل فلاح هذه الأنفس بتزكيتها وتربيتها في غير ما موطن في القرآن، فيقول الله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، فإذا أراد المرء أن يستكمل نقائصه، وأن يسد خلله، وأن يجعل نفسه عليَّة في مراقي الفلاح، فلابد من التربية والتزكية، ولابد من الثبات على هذا الطريق وإن طالت خطاه فيه، والعقل ينطق بأهمية التربية والرأي يفصح عن أهمية التزكية، وقد كشف عن ذلك أئمة كُثُر [٢٨٣]

تزكية النفوس من أعظم مقاصد الدين، ومن أجل وظائف الأنبياء والمرسلين، ومن أهم المطلوبات من أتباعهم المؤمنين، وتزكية النفوس هو تنقية النفوس من الآفات، وتجميلها بالطيبات، ولاشك أن الدين كله سبيل للتزكية، فالشريعة الإسلامية بما فيها من اعتقادات وعبادات وأخلاق وأحكام شرعية في المجالات المختلفة كلها طريق لتزكية النفوس، فـترسيخ الإيمان أقوى سبب لتزكية النفوس، وذلك لما لأركان الإيمان الستة من آثار عظيمة في عقائد المؤمنين وأخلاقهم، ولأن السلوك يتبع العقائد والتصورات، فاستقامة العقيدة يستلزم استقامة السلوك غالباً، وقد اهتم القرآن الكريم بتزكية النفوس اهتماماً كبيراً يتمثل بما اشتملت عليه آياته الكريمة من معالم منهج متكامل لتزكية النفوس[٢٨٤]

٢٨١- ينظر:" تزكية النفس"، (ص١٣)

٢٨٢ - ينظر: " معالم منهج تزكية النفوس في سورة المائدة"، (ص١٧- ٢٠)

٢٨٣ - ينظر: "بصائر في التربية"، (ص١-٢)

٢٨٤ - ينظر: " معالم منهج تزكية النفوس في سورة المائدة"، (ص٢)

بركات الدعاء في تزكية النفوس:

من وسائل علاج النفوس التي يغفل عنها كثير من المسلمين: اللجوء إلى الله تعالى، والانطراح بين يديه، والتذلل والافتقار إليه، بالدعاء والإلحاح فيه؛ إذ القلوب والنفوس بيده، يقي العبد شرور نفسه ويلهمه الخير، وسر سلاح الدعاء في تزكية النفوس أن العبد يظهر فيه فقرَه إلى ربه، وأنه لا غنى له عنه طرفة عين، وأن خيره كله بيد ربه، فيُنزل حاجته به، ويظن به خيراً بأنه كريم لا يرد سائلاً، وعندها يحقق الله رجاءه ويعطيه سؤله.

أخرج النسائي في " السنن الكبرى"، (١٠٣٣٠)، أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ مَوْهَبٍ الْهَاشِمِيُّ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِفَاطِمَةَ: " مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ".

وفي " صحيح مسلم"، (٢٧٢١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى"، وفي " صحيح مسلم"، (٢٧٢٢)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"

وفي " صحيح البخاري"،(٦٣٦٨)، و" صحيح مسلم"،(٥٨٩)، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»، وفي " جامع الترمذي"،(٣٤٨٣)، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي: "يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إِلَهًا"؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: "فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ"؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: "يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ". قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي "، وفي " مسند أحمد"، (٢٦٥٩١)، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «رَبَّنَا اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَاهْدِنِي لِلطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ».

وفي " صحيح مسلم"،(٧٧١)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي"، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: "اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ"، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ،

وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: "اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ".

وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٥١)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو يَقُولُ: "رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٠٢)، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا"، وفي " جامع الترمذي"،(٣٤٠٧)، عَنْ أَبِي العَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، قَالَ: صَحِبْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ" ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ، يَقْرَأُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا، فَلَا يَقْرَبُهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ حَتَّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ"، وفي " مسند أحمد"،(١٠١٧٩)، عَنِ أَبِي سَعْدٍ الْحِمْصِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: دُعَاءٌ حَفِظْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا أَدَعُهُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أُعْظِمُ شُكْرَكَ، وَأَتَّبِعُ نَصِيحَتَكَ، وَأُكْثِرُ ذِكْرَكَ، وَأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ»، وفي " مسند أحمد"،(٨٢٧٢)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَوْصَى سَلْمَانَ الْخَيْرَ، فَقَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يُرِيدُ أَنْ يَمْنَحَكَ كَلِمَاتٍ تَسْأَلُهُنَّ الرَّحْمَنَ تَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِنَّ، وَتَدْعُوَ بِهِنَّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، قُلِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةَ إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي خُلُقٍ حَسَنٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ - يَعْنِي - وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا» قَالَ أَبِي: " وَهُنَّ مَرْفُوعَةٌ فِي الْكِتَابِ: يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ وَرَحْمَةٌ مِنْكَ وَعَافِيَةٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْكَ وَرِضْوَانٌ "

وفي " صحيح مسلم"،(٢٥٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تبارك وتعالى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ".

وفي " جامع الترمذي"،(٣٥٢٢)، عَنْ أَبِي كَعْبٍ صَاحِبِ الحَرِيرِ قَالَ: حَدَّثَنِي شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: "يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ". فَتَلَا مُعَاذٌ {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} [آل عمران].

افتقار العبد لربه أن يُصلِح له نفسه ويهديه للخير والحق، فيرشده لأصوب الأعمال والأقوال وأحسن العقائد والأفكار، وأقوم السبل، ويوفق العبد للتخلق بكل نافع مفيد له في الدنيا والآخرة[٢٨٥]

الدين كله سبيل للتزكية، وللإيمان بالله ﷻ أثر في تزكية النفوس [٢٨٦]، فالشريعة الإسلامية بما فيها من اعتقادات وعبادات وأخلاق وأحكام شرعية في المجالات المختلفة كلها طريق لتزكية النفوس، والتزام أحكام الدين في الظاهر والباطن، في العلم والعمل، في العبادات والمعاملات وسائر مجالات الحياة سبب لتزكية الأفراد والمجتمعات[٢٨٧]، وإنما يكون الغنى بالله بالتزكية الإسلامية، التي تحمل الفرد على إيصال الخير إلى الناس وكف الأذى عنهم، والاستغناء بالله تعالى عن المخلوقين[٢٨٨]

٢٤- تعليم الطفل القرآن والسنة النبوية:

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء، كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الإيمانية، والأمور الغيبية: كالإيمان بالله سبحانه، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالرسل جميعاً، والإيمان باليوم الآخر وسائر المغيبات، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ونعني بأركان الإسلام:

كل العبادات البدنية والمالية، وهي: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج من استطاع إليه سبيلاً.

ونعني بمبادئ الشريعة:

كل ما يتصل بالمنهج الرباني، وتعاليم الإسلام من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وتشريع، وأنظمة، وأحكام، فعلى المربي أن ينشِّئ الولد منذ نشأته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية، وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية، حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة، ويتصل به منهاجاً ونظاماً، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام ديناً، وسوى القرآن إماماً، وسوى الرسول ﷺ قائداً وقدوة، وهذا الشمول لمفاهيم التربية الإيمانية من وصايا الرسول ﷺوإرشاداته في تلقين الولد أصول الإيمان، وأركان الإسلام، وأحكام الشريعة[٢٨٩]

---

٢٨٥ - من جوامع الأدعية النبوية في تزكية النفوس، عبد العزيز الشامي

٢٨٦ - ينظر: " معالم منهج تزكية النفوس في سورة المائدة"، (ص٣٥-٣٦)

٢٨٧ - ينظر: " معالم منهج تزكية النفوس في سورة المائدة"، (ص٨)

٢٨٨ - ينظر:" أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي"، (ص٢٣)، و"تزكية النفس بين العقيدة والسلوك الخوف والرجاء أنموذجا"، (ص٣٥٩-٣٦٠)

٢٨٩ - ينظر: " تربية الأولاد في الإسلام"، (١ / ١١٥) ، و"الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٦٧)

أهمية مرحلة الطفولة في غرس العقيدة:

إن غرس العقيدة في النفوس هي أمثل الطرق لإيجاد أفراد صالحين يستطيعوا أن يقوموا بدورهم كاملاً في الحياة[٢٩٠]، إن تأسيس العقيدة السليمة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية، وأمر بالغ السهولة كذلك إذا ما وعى الوالدان واجباتهما في أداء هذه المهمة التي أوكلها الله عز وجل لهما[٢٩١]، كما قال الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٧٢): «اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ فِي رِيَاضَةِ الصِّبْيَانِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ وَأَوْكَدِهَا والصبيان أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَاذَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا نُقِشَ وَمَائِلٌ إِلَى كُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وشاركه في ثوابه أبوه وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً} وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُهُ عَنْ نَارِ الدُّنْيَا فَبِأَنْ يَصُونَهُ عَنْ نَارِ الْآخِرَةِ أَوْلَى وَصِيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيُهَذِّبَهُ وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَيَحْفَظَهُ من القرناء السُّوءِ .....». انتهى

وهذه المرحلة هي أهم مرحلة بل أخطرها في مجال تربية الأبناء، فهي مرحلة تأسيس العادات الحسنة وتكوينها وترسيخ العقيدة السليمة في أعماق الفكر والقلب، وتثبيتها والتوجيه الى الأخلاق الفاضلة وتثبيتها في جميع تصرفاتهم[٢٩٢]، فعلى المربين الاهتمام بغرس فضل تلاوة القرآن الكريم في نفوس أطفالهم لأهمية تلاوة القرآن الكريم، قال تعالى:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[٢٩٣]، أخرج ابن ماجه في " سننه"،(٢٢١)، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ حَلْبَسٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يُحَدِّثُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَالَ: "الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ، وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[٢٩٤]، وفي «المعجم الكبير»، للطبراني، (٩١٥٥)، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قالَ: «حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَعَوِّدُوهُمُ الْخَيْرَ فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ» ، وفي «قصر الأمل لابن أبي الدنيا» (ص١٤٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: «تَعَوَّدُوا الْخَيْرَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ، وَإِيَّاكُمْ وَعَادَةَ السُّوَّافِ مِنْ سَوْفٍ، أَوْ مِنْ سَوْفَ»، وأول ما ينبغي تعليمُهم إياه كتبُ الله منذ نعومة أظفارهم. قال السيوطيُّ: تعليمُ الصبيان القرآن أصلٌ من أصول الإسلام فيُنَشّؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوارُ الحكمة قبل تمكُّنِ الأهواء منها، وسوادِها بأكدار المعصية والضلال[٢٩٥]، ويجب الاهتمام بتعليم أولادنا السنَّة النبوية المطهرة لأنها التطبيق العملي والبيان القوي للتربية الإسلامية للنشء، فكل بحث في تربية الطفل نجد له أصلاً ومنبعاً من إرشاد المربي الأكبر ﷺ فالحديث الشريف ذو أثر كبير في الإيمان والسلوك، وإن أحاديث الرسول ﷺ لها أثر كبير في بناء النفس والروح الجهادية، فهي تجذب وتصقل وتقود[٢٩٦]

---

[٢٩٠] - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٦٨-٧٠)

[٢٩١] - ينظر: "منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ"، (ص٣٠٠)

[٢٩٢] - ينظر: " منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ"، (ص٣٠١-٣٠٢)

[٢٩٣] - ينظر: " تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة"، (ص ١٢٠)

[٢٩٤] -جاء في: «مجمع الأمثال» (١/ ٣٤٧):
«جعل الخير عادة لعَوْدِ النفس إليه، وحرصها عليه إذا أَلِفَتْه لطيب ثمره وحسن أثره، وجعل الشر لَجَاجة لما فيه من الاعوجاج ولاجْتِوَاء العقل إياه».

[٢٩٥] - ينظر: " كيف تربي ولدك "،(ص٣٧)

[٢٩٦] - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص١١٤-١١٦)، و" الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية"، (ص ٢٥٢)

قال ابن خلدون في " المقدمة"، (٤/ ١٢٣٩):

«إن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك: أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعد، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات». انتهى

فالمحافظة على الأولاد وتربيتهم تربية إيمانية صحيحة من لوازم الدين، كي يحافظ عليهم في الدنيا من الانحراف والفتن، ويفوزوا في الآخرة برضوان الله تعالى وبعدهم عن سخطه، وعلى ذلك فليس مهمة الأسرة في إيجاد الأولاد وانجابهم وإكثار الجنس البشري فقط بل مهمة أكبر من ذلك بكثير فهي تتعدى ذلك بإنشاء جيل مبدع سليم خال من المغريات والمعاصي والانحرافات تكون له الغلبة في الأرض، ويفرح بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وأفضل دليل على هذا الذي ذكرناه التعبير القرآني الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}، فلو نظرنا نظرة المتمعن لوجدنا شبه الأسرة بالأرض الخصبة التي تنبت الزرع الطيب، فكذلك الأسرة الملتزمة المؤمنة تنشأ أطفالا ذوي عقلية سليمة، وسلوك نبيل، أما الأسرة غير السوية في أخلاقها والمنحرفة في سلوكها فإنها تخرج أطفالاً منحرفين يسيئون للمجتمع وللناس، حالهم كحال الأرض الخبيثة التي لا يخرج منها إلا الزرع الخبيث الذي لا ينفع الناس، بل يكون عالة على أهل الأرض، فالتربية بصفة عامة تنمي جميع جوانب الإنسان، على الجانب النفسي والعقلي والخلقي، فمن كانت تربيته جيدة ينعكس ذلك على خلقه الجيد وتسكن نفسه، ويصبح الخلق الحسن عادة له لما يراه من أهله وذويه، ولا يتحقق هذا إلا بالتربية الصحيحة[٢٩٧]

٢٥- التربية الإسلامية الشاملة:

تميز منهج التربية الإسلامية عن غيره من المناهج التربوية القديمة والحديثة بشموله لمختلف أبعاد حياة الإنسان الدينية والدنيوية، وعنايته الكاملة بجميع جوانب النفس البشرية التي اختلفت و تباينت الطروحات الفكرية و الفلسفية في شأنها، إذ إن معظم أنواع التربية التي عرفتها البشرية عبر العصور المختلفة لم تستطع أن تُحقق التكامل المطلوب، أو الوصول إلى التوازن المنشود بين مختلف الجوانب والطاقات والقوى التي فطر الله الإنسان عليها وزوده بها، فقد كانت كُلُ تربيةٍ منها تُعنى بجانبٍ واحدٍ من جوانب الشخصية الإنسانية على حساب الآخر، أو تهتم بإحدى الطاقات مقابل إهمال غيرها[٢٩٨]

---

[٢٩٧] - ينظر: " منهج القرآن الكريم في رسم المعالم التربوية العامة للأطفال"، نقلاً عن: "علم النفس التربوي في الإسلام"، (ص١٠٦)

٢٩٨ - ينظر: " سبعة مقالات في التربية الإسلامية"، (ص١)

أما التربية الإسلامية عقيدةٌ وشريعة، فأما العقائد فيراد بها: الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب وتكون يقينا عند أصحابها لا شك فيها ولا ريب، والشريعة: تعني التكاليف العملية التي دعا إليها الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام وبر الوالدين وغيرها[٢٩٩]

التربية الإسلامية تربية شاملة[٣٠]

لقد بدأت التربية الإسلامية في مكة وقبل أن تكون للإسلام كلمة نافذة في المجتمع، بل حين كانت الفئة المؤمنة هي المستهدفة بالفتنة والأذى، واستكمل البناء التربوي الإسلامي في المدينة حيث الأمن والعافية وإقامة الدولة، ولم يكف النبي صلى الله عليه وسلم عن تربية الأمة حين قامت الدولة، بل استمر يربي الأمة حتى آخر لحظة، فلقد استطاعت التربية الإسلامية الأولى أن تصوغ أفراد الأمة عقائديًا وفكريًا وسلوكيًا في الصورة الإسلامية بكل أبعادها، وبالتصور الشامل للحياة في نواحيها الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.. واستطاعت أن تغرس في نفوس الأفراد (الانتماء) لدينهم وأمتهم، واستطاعت أن تعد جيلًا إسلاميًا يحمل رسالة الأمة الإسلامية إلى كل الأرض، ويتحمل في سبيل ذلك الآلام الجسام، فالتربية الشاملة للمسلم تبدأ من تكوين شخصيته الإسلامية عقيدة وشريعة، ومشاعر وشرائع، ووجدان، وموضوعية، ويتخذ من الدين سنداً له في كافة معاملاته، فإذا استقر الإيمان في القلب فإنه يقود الإنسان إلى الالتزام بالحلال الطيب وتفاعلت النفس معه، وكان من ثمرة ذلك انقياد الجوارح لتسلك السلوك السليم الرشيد لتحقيق ما اطمأن إليه القلب، فالتربية موجه أولا إلى القلوب والنفوس والأفئدة ثم إلى الجوارح[٣٠١]

فقد تميزت التربية الإسلامية بالعديد من الخصائص التى جعلتها تميل إلى حالة من التوازن والكمال والواقعية، بالإضافة إلى أن منهجها يميل إلى الشمول من مختلف الجوانب التى يحتاج الإنسان إليها، وكان هذا الأمر فيما يخص الفطرة الإنسانية، فكانت تلك الخصائص والسمات الخاصة بالتربية الإسلامية خمس سمات تمثلت فى الآتى:

(الربانية، التكامل والشمول، التوازن، الواقعية، الثبات والمرونة)

أولا: الربانية:

تمثلت الربانية فى تلك الأحكام الخاصة بالإسلام وتلك التوجيهات التى يكون مصدرها الله عز وجل، فلا تنبع تلك الأحكام من قبل البشر، وبالتالى فهذا الأمر كان يميزها عن تلك النظريات الوضعية التى يكون مصدرها الإنسان والهوى، بالإضافة إلى وجود العديد من الأفكار التى تقبل التعديل والرد، مما يجعلها تتبدل فيما يخص الشهوات والأهواء، بالإضافة إلى ذلك فإن تلك الربانية تجعل الإنسان يتوجه فقط لله عز وجل وحده لا شريك له، كما أنه يستمد الأوامر والنواهى فقط من الله عز وجل وليس من العباد، ويستمد السنة من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وذلك التزاماً بقول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، كما أن الربانية تكون من خلال الغاية الهدف، وهى التى تعنى أن المسلم يجب أن تكون أفعاله وأقواله بأكملها فى سبيل الله عز وجل، وأن

---

٢٩٩ - ينظر: «التوحيد للناشئة والمبتدئين» (ص٣١)

٣٠٠ - التربية الإسلامية الشاملة، د. بدري

٣٠١ - ينظر: " أصول منهج التربية الاقتصادية في الإسلام"، د. شحاتة، (ص٥)

تكون موافقة لأقوال الله عز وجل، حيث أن جميع أفعال الإنسان يجب أن تكون مستمدة من منهج الله عز وجل، وذلك من خلال قول الله فى كتابه الكريم:{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، بالإضافة إلى ذلك فإن التربية الإيمانية دائماً ما تربط المسلم بالله عز وجل، وذلك من خلال ربط أى عمل يقوم به الإنسان بالله عز وجل.

ثانيا: الشمول والتكامل:

إن التربية الإسلامية تتسم بحالة من الشمول وحالة من التكامل، وذلك من خلال أنها تشمل كل ما يخص الإنسان بشكل موضوعى وإنسانى، وبناء عليه فلم يفصل الإسلام بين الدين والدنيا، بل أنه كان موضوعى حيث شمل جميع شئون الحياة وذلك فيما يخص الدنيا والآخرة، بالإضافة إلى أن هذا التشريع سيظل هو التشريع القائم إلى يوم الدين، وكان هذا التشريع الإسلامى الذى بناء عليه قامت التربية الإسلامية قد خاطب البشرية بشكل عام، كما أنه فطرى قام بالتوفيق بين مطالب الجسد والروح، بالإضافة إلى ذلك فالدين الإسلامى أيضاً شامل لكل زمان وكل مكان، وتلك الشمولية أيضاً قد ظهرت فى علاقة الإنسان بالله عز وجل، وعلاقة الإنسان بنفسه، بالإضافة إلى علاقة الإنسان بالأسرة والجيران والأصدقاء وجميع أفراد المجتمع الذى يعيش بداخله، بالإضافة إلى أنها قد اشتملت على التوجيهات الإسلامية المختلفة لجميع الرجال والنساء، واشتملت أيضاً على جميع جوانب الأخلاق، بالإضافة إلى ذلك فقد جاءت آيات الله عز وجل يلحظ من خلالها التربية الدقيقة على الأخلاق الفاضلة، والتحلى بالأدب الجم، فإذا كان الاستئذان داخل البيوت بين أفراد الأسرة الواحدة لحفظ السلوك القويم، تنزلت به الآيات والوحى، فهو دليل قاطع، على التأكيد على التربية الإيمانية والأخلاقية والقيمية والتزام أوامر الله والابتعاد عن نواهيه فى السلوك والأخلاق، لأنها ستحمى المجتمع، فلم تترك التربية الإسلامية أى جانب من جوانب الحياة إلا وقد تم تناوله فى التشريعات والأحكام، وذلك حتى يتم توضيح ما هو شر مما هو خير، بالإضافة إلى توضيح الخبيث من الطاهر والصحيح من الفاسد.

ثالثا: التوازن:

تمثل خاصية التوازن واحدة من أهم خصائص الدين الإسلامى، وذلك حيث أنها دائماً ما تلاءم الفطرة الإنسانية، وكان هذا الأمر قد ظهر من خلال قول الله عز وجل فى كتابه الكريم: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، وبالتالى فنجد أن التربية الإسلامية دائماً ماتهتم بتربية مختلف جوانب الإنسان الجسمية والخلقية والعقلية،والسلوكية جملة وتفصيلاً، كما أنها تساهم فى تحقيق حالة من التوازن بين جميع مطالب الإنسان، سواء كانت تلك المطالب جسدية أو نفسية، وبالتالى فلا تجد أبداً أن أحد الجوانب يطغى على الآخر، بل يقوم الفرد المسلم بتحقيق جميع المطالب التى أمره بها الله عز وجل فى نفس الوقت، وشرع الله عزوجل للإنسان العديد من الطرق والسبل التى تساهم فى إقامة هذا التوازن، فعلى سبيل المثال قد أحل له التعدد فى الزوجات ولكنه حذره من إقامة الرذائل والوقوع فى الزنا، ونظراً لحاجة الإنسان للمال فقد أحل الله عز وجل له التجارة، ولكنه حرم عليه الربا، كما أحل له الطعام والطيبات من الرزق

المختلف، بينما حرم عليه الخبائث من الأشربة والأطعمة، وبالتالى فمن تلك الأمور يتضح أن الله عز وجل قد جعل الإنسان فى حالة من التوازن بين سمات الإنسان المختلفة فى سلوكه وأفكاره وتوجهاته وحاجاته ورغباته.

رابعا: الثبات والمرونة:

الثبات والمرونة من أهم سمات التربية الإسلامية والدين الإسلامى، حيث هناك العديد من الثوابت التى يستحيل تبديلها أو تغييرها، كما يوجد العديد من القواعد والمبادئ الكلية العامة التى يستند التعامل على أساسها، وكان هذا الأمر مثل واجب أداء الأمانات إلى أصحابها، والعمل على رد المظالم إلى أصحابها، وتحريم السرقة والربا والغش، بالإضافة إلى حرمة بيع المسلم على بيعة أخيه، كما تظهر المرونة أيضاً فى القدرة على وضع الحلول المختلفة التى تظهر على الحياة الإنسانية والتى تتمثل فى صلاحيتها لكل زمان ولكل مكان، بالإضافة إلى ذلك فإن الدين الإسلامى قد جاء بالعديد من القواعد التى لا يمكن أن تتبدل ولا يمكن أن تتغير.

خامسا: الواقعية:

تتمثل الواقعية فى الدين الإسلامى بكونها تلك الظاهرة الواضحة من خلال مختلف الحقائق المتوافقة مع الفطرة البشرية، والتى تتوافق أيضاً مع تلك القدرات الإنسانية، كما كانت مختلف الآيات القرآنية توضح أن الله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها، وبالتالى فمن خلال دائرة الأخلاق وجدنا أن الإنسان دائماً ما يحب أن يكون له العديد من الصفات الأخلاقية الفاضلة، وبالتالى فتراه دائماً محب للصدق، وتراه متصف بمختلف المواصفات الخاصة بالأخلاق، والإنسان فى واقعه يفضل دائماً من يحسن إليه من البشر، كما يحب الإنسان العادل والأمانة والإسلام، ويأمر أيضا بهذا الأمر كما أن الإسلام يأمر بهذا أيضا، وأيضاً تجد أن الإنسان فى طبعه يحب التواضع ولا يميل إلى الكبرياء، وقد بين الله هذا الأمر فى كتابه الكريم حيث قال عز وجل: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}، ومن معالم المنهاج التربوي الإسلامي: التدرج، فالمنهاج التربوي الإسلامي يقوم على المرحلية والتدرج ولا يضع الفروع مكان الأصول بل يبدأ من ترسيخ الجانب العقدي في قلب الفرد، ليصل بشكل (هرمي) إلى تهذيب أخلاقه، فتكون العقيدة هي التي تبني في صميم الوجدان: أخلاق الفكر، وأخلاق النفس، وأخلاق السلوك.

سادساً: الوسطية:

الوسطية لها سمات، وهذه السمات ذكرتها النصوص ووجدت في سلوك الصحابة وأئمة الإسلام، ومن هذه السمات ما يلي:

- أنها شريعة العدل في الأحكام والتصرفات.
- أن هذا المنهج موافق للعقل السليم، والشرع الصحيح بنصوصه وقواعده واجتهادات العلماء فيه يدعوا إلى الوسطية وينهى عن الغلو.
- أن الوسطية والاعتدال يبرآن من الهوى ويعتمدان على العلم الراسخ.
- أن الوسطية تراعي القدرات والإمكانات.

- أن فيها مراعاة للزمن والناس، فالزمن يتغير، والناس أيضاً يحتاجون إلى تجدد باعتبار الزمن وباعتبار التغير[٣٠٢]

وأبلغ مظاهر التربية الإسلامية: التزكية: "تزكية النفس" والتزكية تعني تنمية الروح الأخلاقية ونزعات الخير وفق القاعدة القرآنية[٣٠٣]

وهكذا يعمل المنهاج التربوي الإسلامي في إطار من الشمولية، والواقعية، والتدرج على تحقيق التربية الإسلامية الشاملة التي تهدف بالاعتبار العقائدي: إلى تكوين (العبد الرباني) لتحقيق التجرد، وتهدف بالاعتبار الأخلاقي: إلى تكوين (المثال الإنساني) لتحقيق القدوة، وتهدف بالاعتبار المادي: إلى تكوين (الإمكانية البشرية) لاستخلاص الطاقة، وتساهم التربية الإسلامية فى تنظيم حياة الإنسان مع الله عز وجل، بالإضافة إلى أنها تعرف الإنسان أنه مجرد مخلوق مثل مخلوقات الله العديدة، ولكنه عليه أن يقوم بعبادة الله عز وجل والتوجه إليه بشكل مستمر، وتساهم التربية الإسلامية فى كونها تعمل على تحقيق السعادة للإنسان فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، بالإضافة إلى أنها تعمل على تعريف الإنسان ما هى قيمة الدنيا، ويوضح له أن التربية الإسلامية لا تقوم سوى على أساس أن الحياة هى مزرعة لليوم الآخر، وبالتالى فما يقوم الإنسان به فى الحياة فسوف يجده فى الآخرة، وتساهم التربية الإسلامية فى العمل على تنظيم الحياة الإسلامية وحياة المسلم، وبالتالى فتجعله يقوم بتقوية الروابط الخاصة به مع باقى المسلمين ويتم التضامن والتعاون فيما بينهم، وتهتم التربية الإسلامية بمختلف مقومات الإنسان العقلية والنفسية والوجدانية والعقلية، كما أنها تساهم فى تحقيق حالة من التوازن بين جميع المقومات، فتجد أن الدين الإسلامى على الرغم من نصحه لنا بالعبادة إلا أنه لا يحث على الرهبنة ويرفض تحول البشر إلى العقول الخالية من الروح[٣٠٤]، والتربية الإسلامية تهدف إلى بناء الشخصية بالقرآن والتاريخ والقدوة الطيبة، وبناء الشخصية بناءً أخلاقياً دينياً عقلياً، هو أساس بناء المجتمع ومصدر القوة في مواجهة كل تحديات الغزو الخارجي[٣٠٥]

٣٠٢- ينظر: "الوسطية والاعتدال"، (ص٧-٩)، و" مفهوم الأمن الفكري "دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام"، (ص٤٩)

٣٠٣ - ينظر:" التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعلم"، (ص٩-١٢)

٣٠٤ - ينظر: "منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م"، (ص ٤٦١-٤٩٦)، و" أصول التربية الإسلامية"، (ص٤٨)، و"الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٣٥-٤٧)

٣٠٥ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص٦٧)

٢٦-التربية الخلقية:

لقد تنوعت التعريفات الاصطلاحية للأخلاق عند علماء المسلمين، نذكر أهمها فيما يلي٣٠٦

قال الفخر الرازي : " الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة "٣٠٧

وقال ابن مسكويه: " بأنه حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذا الحال ينقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب ٣٠٨، أما عن تعريف الأخلاق كعلم له مبادئه، وأصوله وقواعده، فيمكن أن يعرف " بأنه العلم الذى يدرس السلوك الإنساني ويبحث في المبادئ والأسس النظرية العامة لضبطه حتى يكتسب قيمة أخلاقية"، ويمكن أن يقال في تعريفه أنه " علم يدرس ظاهرة السلوك الإنساني من حيث منابعه ودوافعه وغايته، ويحدد القيم والقواعد العملية التي يجب مراعاتها في السلوك، وأيا كان لون هذا السلوك أو شكله كما يدرس وسائل الإلزام والالتزام بالسلوك الخير،

ووسائل الابتعاد عن السلوك الشرير "٣٠٩، فهذه جملة من المفاهيم يُراد بها أن:

الأخلاق هي: صفة نفسانية، يظهر أثرها على سلوك الفرد إيجاباً أو سلباً، وإضافة إلى ذلك، فإن هذه التعريفات تقرر ما يلي:

- إن من الأخلاق ما تكون موجودة في أصل خلقة الإنسان، فهي ما تسمى **الأخلاق الفطرية**، ومنها ما تحصل بالعادة والتدريب وترويض النفس، فهي ما تسمى **بالأخلاق المكتسبة**٣١٠

- إن موضع الأخلاق ومصدرها النفس البشرية، إلا أن تلك التعريفات لم توضح المعاني والشروط اللازمة لمعنى الأخلاق من إخلاص النية والفقه وغيرها، لذا يمكن القول بأن من أفضل تعريفاتها ما يلي:

قال ابن حجر نقلاً عن القرطبي: " الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتواد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك "٣١١

---

٣٠٦ - ينظر: "التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٧١-٧٥)

٣٠٧- ينظر: " التفسير الكبير"، (١٠ / ٦٠١)

٣٠٨- ينظر: "تهذيب الأخلاق"، (ص٢٥ – ٢٦)

٣٠٩ - ينظر: " الأخلاق الإنسانية بين الفطرة والاكتساب"، (ص٦٦٨)

٣١٠ - ينظر: " الأخلاق تعريفها ومؤشراتها ومصدرها ومكانتها"، (ص٦-٧)

٣١١- ينظر: " فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، (١٠ / ٤٧١)

وقال الجرجاني: " الخلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا[٣١٢]، وقيل: "الأخلاق المحمودة: هي كل صفة حسنة، بنية حسنة، وفق منهج الله تعالى"، مما يؤكد أهمية اشتراط النية الصحيحة مع العمل الأخلاقي الصحيح[٣١٣]ويرى الباحث أن من أدق وأجمل ما قيل في تعريف علم الأخلاق ما عرفه البستاني في (دائرته) بقوله بأنه : " علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها، والرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها[٣١٤]، في ضوء تلك الصفات والشروط، يمكن أن يُعرّف الأخلاق، بأنها هي مجموعة من المعاني والقوى الباطنية في نفس البشر، حيث تصدر عنها الأفعال بنية حسنة وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على وجه الدوام والاستمرار[٣١٥]، فهي أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل، العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم ضد ذلك[٣١٦]

"**التربية الخلقية**" تعني تعويد الناشئ على الأخلاق الفاضلة، والشيم الحميدة حتى تصير له ملكات راسخة وصفات ثابتة، يسعد بها في الدنيا والآخرة، وتخليصه من الأخلاق السيئة [٣١٧]

للأخلاق **جانبين**: جانبا نفسياً باطنيا، وجانبا سلوكيا ظاهرياً[٣١٨]ولعل الأنسب منها في هذا المقام ما يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان المكتسبة، والفطرية التي هي: هيئة مستقيمة متناسق الخلق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة، وتدل الأخلاق أيضا على الصفات التي اكتسبت وأصبحت عادة في السلوك كالتدين، ومن ثم تصبح وكأنها سلوك جبلي[٣١٩]

---

[٣١٢]- ينظر: "التعريفات"، (ص١٣٥)

٣١٣- ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص١٣٧) ، و"الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها"، (ص٢٦)

٣١٤ - ينظر: " الأخلاق الإنسانية بين الفطرة والاكتساب"، (ص٦٦٨)

٣١٥ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٧١-٧٤)

٣١٦- ينظر: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، (١٠ / ٤٧١)، و" أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-"،(ص١٤)

٣١٧- ينظر:" الفكر التربوي عند ابن القيم"، (ص ٣١٤)، و" أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام"، (ص١٤)

[٣١٨]- ينظر: " التربية الأخلاقية الإسلامية"، (ص٦٤)

٣١٩ - التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم (ص٧١)

التربية على حسن الخلق:

إن الإسلام دين يقوم على الخلق العظيم والأدب الكريم، ويجعل ذلك من صميم رسالته، بل هو قوامها وعنوانها وثمرتها، وكل العبادات في الإسلام تلتقي عند هذه الغاية فقد حدد الرسول ﷺمهمة رسالته في قوله الكريم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وكان ﷺ ولا يزال، المثل الأعلى في ذلك، وحسبه قول ربه له:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}، كما رتب رسول الله ﷺ كمال الإيمان على حسن الخلق وتمام الأدب، ففي " جامع الترمذي"،(٢٦١٢)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ"، والآداب التي شرعها الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، شاملة وعامة، آداب في الأكل، وآداب في الشرب، وآداب في اللباس والنوم، وآداب في معاملة الناس وآداب في كل شيء، وتمثل هذه الآداب الإسلامية في شتى نواحي الحياة، حضارة رائعة، لأنها شرعت لترتقي بالحياة الإنسانية إلى أعلى مراتب الكمال الخلقي والنفسي والاجتماعي، مشتملة على الولاء والإخاء والمحبة والتعاون على البر والتقوى، تحت نور الإسلام وهداه، قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}٣٢٠، ولما أمر الإسلام بالتزام المبادئ الخلقية والفضائل الحسنة، ونهى عن المساوئ الخلقية ورذائلها، لم يكن ذلك مجرد إخبار، بل إنه حريص كل الحرص على تربية أتباعه في دقة وعموم؛ إذ يرسل أنواره إلى الباطن المظلم ليضيئه، ويكون فيه العاطفة الدينية التي تظلّ سراجا وهاجا، يبعث بنوره ودفئه في كل جنبات النفس٣٢١، ولتحقيق هذه المعاني التربوية بعث الله الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام٣٢٢، إذ لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤا به ﷺ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال٣٢٣. إن الفضائل الخلقية في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحياة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، لم تكن مجرد ادعاءات تجري على الألسن فقط، ولم تكن مجرد إخبار لا واقع لها، بل إنها فضائل عملية واقعية نتيجة: " نظام تربوي يؤثر تأثيرا بالغا في طبع الأفراد والمجتمعات"٣٢٤، وذلك: " بهدف غرس معاني الأخوة الإيمانية المتميزة، التي يتجلّى بها حب الخير والإحسان، ويتحقق بها دوافع التراحم والتواضع، وتسودها مشاعر الرفق والمودة، وتتعامل بأسلوب القول الصادق والكلمة الطيبة، وتقابل السيّئة بالصفح والحلم، حتى أقامت المجتمع الإسلامي الفاضل في ظلال الأمن والسلامة، والمحبة والتعاون، ودفعت

---

٣٢٠ - ينظر:" التربية الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع"، (ص٣٦)

٣٢١- ينظر: " الأخلاق في الإسلام"، (ص٣٤)

٣٢٢ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٩١)

٣٢٣ - ينظر: «زاد المعاد»، (١/ ٥١)

٣٢٤-ينظر: " دراسات في الثقافة الإسلامية"، (ص٣١٩)

عنه شرور الأهواء المنحرفة والشهوات الفاسدة "٣٢٥، أما في الآخرة، فيلحق صاحبها الأجر والثواب والمنزلة العظيمة٣٢٦، وقد أدب الله عباده بآداب كثيرة، وهذه الآداب حلية المسلم تزين نفسه الباطنة، وأفعاله الظاهرة، وترتبط الآداب بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، ذلك أن العقيدة هي التي تحفز الإنسان نحو السلوك الطيب، وأن انتفاء العقيدة عنده سيقود إلى كل الاحتمالات السلبية والتفكك والانحراف، وبناءً على ذلك فإن الآداب الإسلامية هي وليدة العقيدة التي تستقر في قلب الإنسان، وهي العامل المحرك المؤثر وبدون ذلك لا مكانة للآداب بغير عقيدة، ولهذا تنقلب الآداب إلى نتائج عكسية تتمثل في السلوك الذميم كالرذائل والفواحش مثلاً، ذلك إذا لم يكن هناك عقيدة ثابتة صحيحة تتهذب معها النفس ويتقوم بها الاعوجاج٣٢٧

فنقصد **بالتربية الخُلقية** مجموعة المبادئ الخُلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً إلى أن يتدرج شاباً إلى أن يخوض خضمّ الحياة، ومما لا شك فيه، ولا جدال معه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة، والتربية الإيمانية هي التي تعدّل المزاج المنحرف، وتقوّم المعوج الفاسد، وتصلح النفس الإنسانية، وبدونها لا يمكن أن يتحقق إصلاح، ولا أن يتم استقرار، ولا يتقوّم خلق٣٢٨

ومما تتميّز به الأخلاق في الإسلام **ربانية الأخلاق**، والقصد بها " أن أحكام الإسلام، وتوجيهاته مصدرها الأصلي من الرب ﷻ، وليست نابعة من أهواء البشر"٣٢٩، فانطلاقاً من هذا المفهوم، تدخل الأخلاق في الأحكام الإسلامية، والتوجيهات الربانية، التي يُتعامل بها مع النفس ومع الآخرين، إذ أن الوحي الإلهي هو الذي وضع أصولها، وحدد أساسياتها، التي لا بد منها لبيان معالم الشخصية الإسلامية، حتى تبدو متكاملة متماسكة متميزة في مخبرها ومظهرها، عالمة بوجهتها وطريقها، إذا التبست على غيرها المسالك، واختلطت الدروب، وأنه قد ميّز بين محاسنها ومساوئها، ومجملها ومفصلها، وكتاب ربنا ﷻ يوضح ذلك، إذ هو: " الميزان الحقيقي الذي تقاس به الأمور السلوكية جميعا"٣٣٠، إنّ التربية الخُلقية هي روح التربية الإسلامية وعنايتها بالتربية الخُلقية لا يعني إهمال الجوانب الأخرى، فلا بد من العناية بكل ما يتصل بالمتربي إذ أنه بحاجه إلى قوه في جسمه وعقله وروحه وعلمه، لذا نجد أن الجانب الروحي والعباديّ لا ينفصل عن الجانب الخلقي، إنّ الأخلاق في السنة النبوية لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلاّ

٣٢٥- ينظر: " الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية في القرآن الكريم"، (ص٩٩)

٣٢٦ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص١٢١)

٣٢٧ - ينظر: معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه"، و "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص١٥٩)

٣٢٨ - ينظر: "تربية الأولاد في الإسلام "، (١ / ١٣١)

٣٢٩- ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص٤٥)

٣٣٠ - ينظر: " دراسات في الثقافة الإسلامية"، (ص٣٢٧)

رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع في تناسق وتكامل وبناء[٣٣١]، إن الأخلاق الإسلامية شملت كل مناحي الحياة وما من خُلق إلاّ يسهم في بناء المجتمع في جانب من جوانب الحياة، فإذا ما تمسك الأفراد والمجتمع بأخلاق الإسلام، أصبح قوياً تسوده الأخوة، وخلق العفو والتواضع والتسامح واحد من هذه الركائز التي إذا ما اعتمد عليها انتصر المرء بها على أهوائه ونزواته، ونمت فيه نوازع الرحمة والخير والصفح والمغفرة [٣٣٢]، وهذا يؤكد أهمية الأخلاق في رسالة الإسلام، حيث: " إن هذه العناية الفائقة في الاستمساك بأهداف الفضيلة ما هي إلا دعوة حارة إلى التمسك بها والتحلي بمعاليها"[٣٣٣]، وكذلك تتضح أهمية الأخلاق وقيمتها، في أن الأخلاق الإسلامية، تعتبر: " دعامة كل نهضة، وتقدّم، وحضارة، بل هي الحارس الوحيد الذي يحمي الأمم ويقيها من الانهيار والضياع "[٣٣٤]

الأخلاق في الإسلام: " تزجي بالنشاطات والممارسات نحو الخير الشامل في حياة الفرد وبعد مماته "[٣٣٥]، ومما تتميّز به الأخلاق في الإسلام **الواقعية**، أي: أنها " ليست ضربا من المثاليات، التي لا واقع لها، ولا هي من قبيل الخيال الذي يعلو على الواقع، والذي يعزّ على التحقق والتنفيذ في ميدان الحياة، وإنما هي ممارسات راقية تتحقق في واقع البشر بالفعل[٣٣٦]، إن الإسلام منهاج حياة كامل فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها، ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة وينسق بينها جميعاً، ويتجه بها إلى الله في النهاية، ومما تتميّز به الأخلاق في الإسلام **الشمول**، والمقصود به أن دائرة الأخلاق الإسلامية تتسم بالسعة والتعميم، فبناءً على ذلك أنها تشمل كافة مجالات الحياة، وأحوال الإنسان[٣٣٧]، فلقد جاء في المنهج الإسلامي أصول وقواعد خلقية، بحيث لا تقبل التغيير والتبديل، ولا الحذف والتعديل، من مجتمع إلى مجتمع، ومن زمان إلى زمان[٣٣٨]، إذ جميعها منبثقة من الوحي الإلهي التي تتعلق بالقيم المعنوية، والمبادئ الخلقية، والتي فرضها الإسلام، وأوجب أن تتمثل سلوكاً يسري على الجوارح طيلة الدهر من غير تحويل أو تطوير"[٣٣٩]، وأما مرونتها في الإسلام، تظهر في اكتساب أفضلها وأحسنها؛ لذا كان النبي ﷺ، يطلب من ربّه ﷻ الهداية لأحسن الأخلاق،

---

٣٣١ - ينظر: "الخلاصة في أصول التربية الإسلامية"، (ص١٣٨-١٤٠)

٣٣٢ - ينظر: " التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً"، (ص١٣٥)

٣٣٣- ينظر: " تربية الرسول ﷺ لأصحابه في الناحية الأخلاقية"، (ص١١٣)

٣٣٤- ينظر: التربية وطرق التدريس "، (٢٣١/٢)، و"أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٧٥-٨٠)

٣٣٥- ينظر: " دراسات في الثقافة الإسلامية"، (ص٣٤٩)

٣٣٦ - ينظر: "دراسات في الثقافة الإسلامية "(ص٣٤٨)، و"أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٨٧-٨٨)

٣٣٧ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"،(ص٨٢)

٣٣٨- ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص٥٠)

٣٣٩ - ينظر: " دراسات في الثقافة الإسلامية"، (ص٢٢٥)

ففي " سنن النسائي"، (٨٩٦)، عَنْ جَابِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنِي سَيِّئَ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئَ الْأَخْلَاقِ لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ"، وفي " صحيح ابن حبان"،(١٧٧١)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: كَانَ إِذَا ابْتَدَأَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِينِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"، وترويض النفس والممارسة، لكي تصبح هذه المبادئ الخلقية، قابلة للإصلاح والتقويم[٣٤٠]

ومما يؤكد **شمولية** الأخلاق الإسلامية، استيعابها للحياة الاجتماعية كلها، التي تحافظ على كيان المجتمع وقوته[٣٤١]، وتحكم أخلاق الإنسان عليه بصلاحه أو فساده، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}.

وتعنى التربية الإسلامية بغرس الأخلاق الحميدة في الإنسان، وهي تضع مبادئ وقواعد مستنبطة أساسا من القرآن الكريم والسنة الشريفة لتنظيم السلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجود الإنسان، والأخلاق في التربية الإسلامية ذات طابعين: طابع إلهي وطابع إنساني، ويقصد بالطابع الإلهي أنها من عند الله ويراد بها وجه الله، فينبغي أن يلتزم الإنسان بما جاء من عند الله ويطبقه في حياته إذا أراد الصلاح في الدنيا والفلاح والنجاة في الآخرة، والتربية الإسلامية ذات طابع إنساني؛ إذ إنها تضع القواعد العامة لهذا النظام الأخلاقي وتترك للإنسان الحرية في تحديد أسلوب وطريقة التطبيق بحسب الظروف ومتطلبات الحياة، ومن هنا يتضح لنا أن الأخلاق في الإسلام "تعني التمسك بالخير والبعد عن الشر والالتزام بكل ما هو فضيلة والابتعاد عن كل ما هو رذيلة لتحقيق الهدف الأسمى وهو عبادة الله سبحانه وتعالى"[٣٤٢]

---

٣٤٠ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٨٤)

٣٤١ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص٨٥-٨٨)

٣٤٢ - ينظر: «التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها» (ص١٣٦)

٢٧- التربية الروحية:

التربية عملية تكاملية شاملة لجوانب الإنسان الجسمية والعقلية والخلقية والروحية والعاطفية، وتعلم الأنماط السلوك، واكتساب الخبرات الاجتماعية، وهى تربية لضمير الإنسان ولجميع جوارحه الذى يعصمه من الانحراف، التربية هى عملية مستمرة لا يحدها زمن معين، وهى تمس كل جوانب حياة الفرد والمجتمع، وهى أساس صلاح البشرية، وهى قوة هائلة يمكنها القضاء على أمراض النفس وعيوبها، وأمراض المجتمع وعيوبه، ولذلك فهى كل مؤسسات المجتمع كالأسرة، والمدرسة، والسجد، ودور الحضانة[٣٤٣]

وتهتم التربية الإسلامية برعاية الإنسان من حيث البدن والعقل والروح، وتعرف التربية الإسلامية على أنها المنهج الواضح الذى رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها أنها تحضير الإنسان للحياة فى الدنيا والآخرة، وتعتبر التربية الإسلامية المفاهيم المترابطة التى تنضبط بفكر وأساس واحد وتعتمد على مبادئ وأخلاق الإسلام، حيث تبيّن للفرد الطريق الذى يجب عليه أن يسلكه بما يتوافق مع تلك المفاهيم والمبادئ.

التربية الروحية هى التربية التى تتعلق بالروح أو النفس، وتربية الجانب الروحي هو جانب مهمّ من جوانب تكوين الإنسان، إذ أن الإنسان ليس هو هذا الغلاف المادي الذي نحسّه ونراه والذي يطلب حظّه من طعام الأرض وشرابها، ولكن حقيقة الإنسان في ذلك الجوهر النفيس الذي به صار إنساناً مكرّماً سيّداً على ما فوق الأرض من كائنات، ذلك الجوهر هو الروح الذى يجد حياته وزكاته فى مناجاة الله ﷻ[٣٤٤]، وقد جاء فى المنهج القرآنى من الاهتمام بتربية هذا الجانب وتهذيبه، مختلف الأساليب والطرق، والإيمان أساس التربية الروحية فى الإسلام[٣٤٥]، فلم يقتصر دين الإسلام على مجرَّد الدعوة للإيمان بالله فحسب، بل جاء للناس بمنهج تربوي كامل وشامل، لشتَّى فروع التربية التي تستند إليها المجتمعات الإنسانية، في عمليَّة التقدُّم والتطوُّر نحو الأفضل، وفي سبيل تحقيق ما يصبو إليه أفرادها من سعادة ونجاح، وطمأنينة وسلام.

إن **التربية الروحيَّة** نواة التربية الإسلامية وجو هرها، وقد قامت على قواعد قويَّة، وأسس متينة من شأنها توطيد أواصر الصلة بين المسلم وربِّه، وربط أسباب دنياه بأسباب آخرته، وقد رافقتها التربية الأخلاقية كظلِّها، ثمَّ أكملتا بالتربية الاجتماعية، التى كانت بمثابة الطابق الثالث فى بناء التربية فى الإسلام، و إن أهمَّ طاقة تنير هذا البناء: دوام ذكر الله وتسبيحه، وتلاوة كتابه، والاستقامة على عبادته، والتضرُّع إليه بالدعاء، وإن من أبرز سمات تربية الإسلام الروحية، الاعتدال والتوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وأقرب مثال على ذلك العبادات التى تعنى بالجانبين الروحي والمادي في الإنسان، وقد جُعلت متنوِّعة ومتكرِّرة ليبقى المسلم على طهارة روحية متجدِّدة تقرِّبه من الله، وتجذبه إليه كلما نأت به ماديَّات الحياة بعيداً عن الحضرة الإلهية، والتربية الروحية تتصدى للمذاهب والأفكار الهدامة، فهى تنمى فى نفس المربى والمتربى مجموعة من

---

٣٤٣ - ينظر: " مدخل إلى علوم التربية"، (ص٨)

٣٤٤- ينظر: " العبادة في الإسلام"، (ص٩٧)

٣٤٥ - ينظر: "التربية الروحية في الإسلام"، (٤/١)، والإيمان أساس التربية الروحية في الإسلام، د. الأبارة

المبادئ السامية والقيم الرفيعة كالعدل والإيثار على النفس والصبر والعطف على الضعيف والتواضع لله، والإيمان أساس الأخلاق الحميدة التى هى أساس العلم الصحيح، الذى هو أساس العمل الصالح، وتلتقى أركان الإسلام الخمسة عند الغاية التى بعث بها الرسول حيث قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وتؤثر العقيدة القوية فى نفس صاحبها، ولا شك أن الروح قوة عظيمة فى الإنسان يستدل بها على خالقه عز وجل وبها يميل إلى التمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية، والطاقة الروحية فى الإنسان هى أكبر طاقة، وأعظمها وأشدها اتصالاً بحقائق الوجود، فطاقة الجسم محدودة بكيانها المادى وما تدركه الحواس، وطاقة العقل أكثر طلاقة، ولكنها محدودة بما يعقل، محدودة بالزمان والمكان، بالبدء والنهاية ومحكومة بالفناء، وطاقة الروح وحدها هى التى لا تعرف الحدود والقيود، لا تعرف الزمان والمكان[٣٤٦]، إن القيم الروحية قادرة على صقل الانسان ومنحه طاقات لا حد لها من أجل الخير والحق والمحبة، وعلى الرغم من أن معظم الأمم والحضارات، وكثيراً من المذاهب والفلسفات، قد حاولت منذ فجر التاريخ إيجاد هذه التربية المطلوبة لرعاية الفطرة الإنسانية على الوجه الصحيح الذى يحقق للإنسان إنسانيته، ويساعده على أداء رسالته فى هذه الحياة، إلا أن ذلك لم يتحقق بالصورة المطلوبة التى يرتضيها الله سبحانه لعباده فى هذه الحياة الدنيا، حتى أذِنَ الله ببعثة خير البرية ومعلم البشرية النبى الأمى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فجاء بدين الإسلام الحنيف وتربيته الإسلامية العظيمة التى استقت أصولها وأصالتها، وشمولها وتوازنها ، ووضوحها وعالميتها، هذه التربية التي جاءت بمنهج فريدٍ ومتميز يهتم بالإنسان كله، و يُعنى بفطرته التى خلقه الله عليها، فلا يُخالفها ولا يزيد عليها، ولا يُنقِص منها، و إنما يُوافقها و يسير معها فى توافق عجيب، و تكاملٍ بديع بين مختلف جوانبها الروحية، و العقلية، و الجسمية، التي تحظى جميعاً بالعناية، والرعاية، والاهتمام دونما إفراطٍ أو تفريطٍ، أو زيادةٍ أو نقصان، ومع أن التكامل بين مختلف جوانب شخصية الإنسان هو الأساس الذى تنطلق منه نظرة التربية الإسلامية المتوافقةِ مع الفطرةِ السويةِ، إلا أن من مستلزمات هذه الفطرة أن يحظى كل جانب من جوانب شخصية الإنسان بحقه الكامل، وحظه الوافر من العناية، والرعاية، والاهتمام، لأن أي نقصٍ أو تقصيرٍ فى ذلك إنما هو إخلال بأحد مستلزمات الفطرة السوية التي على أساسها يتم بناء شخصية الإنسان المسلم بناءً صحيحاً، ولما كان للفطرة السوية هذه الأهمية الواضحة، والاهتمامُ الكبير فى ديننا الإسلامى عامة، وفى تربيته الإسلامية خاصة، فإن ذلك يفرضُ علينا جميعاً أن نُعنى عناية خاصة بسلامتها، وحمايتها، وصيانتها من كل ما من شأنه الإضرار بها، أو التأثير فيها سواءً أكان ذلك بطريقةٍ مباشرةٍ أم غير مباشرة[٣٤٧]

ففى توازن بديع وتناسق منسجم استطاع الإسلام أن يجمع بين طرفين متناقضين دون طغيان طرف على آخر، جمع بين المادة والروح فى إطار متوازن بما يحقق للإنسان الإشباع المادى والروحى سوياً، فالمادة هى أساس بناء الجسد ليقوى على عبادة الله عز وجل، كما أن الروح هى أساس الجانب المعنوى داخل الإنسان ليستشعر حلاوة الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، ولقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة بقول الله عز وجل: {وَابْتَغِ فِيمَا

---

٣٤٦ - ينظر: «التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها» (ص١٣٥)
٣٤٧ - ينظر: " سبعة مقالات في التربية الإسلامية"، (ص١١-١٢)

آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآ خِرَةَ وَلا تنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا وَأَحْسِن كمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ} [القصص:٧٧]، والمسلم الصادق القوى الإيمان يبتغى بكل شىء وجه الله، وأساس ذلك قول الله تعالى: {قل إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]، فالحياة معبر للآخرة، وبالتالى ينبغى أن نكون كل حركاتنا وسكناتنا مؤطرة بهذا الإطار، لا ينبغى أن نعطى الدنيا أكبر من قيمتها فلا نعيش فيها كأننا لن نفارقها أبدا، كما أنه لا ينبغى أن ننسى حظنا منها، فذلكم المنهج الحكيم الذى جاء به الإسلام هو المنهج الأقدر على تحقيق رغبات الإنسان من هذه الدنيا دون نسيان التزود والاستعداد ليوم الرحيل.

التربية الروحية جهاد متواصل ومعاناة كبيرة، فالإنسان المسلم برغم كل الصعاب والعقبات والانشغالات التى تحاول الضغط عليه لترغمه على هذا الأمر فإنه يقاوم مقاومة الأبطال، ويكد ويجاهد نفسه من أجل ذلك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إِنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كدْحاً فمُلاقِيهِ} [الانشقاق:٦]، ويقول تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ} [العنكبوت:٦٩]، وقد جعل ديننا الحنيف عدة وسائل تعين على هذا الأمر ومن ذلك: قيام الليل، والذكر، وتلاوة القرآن الكريم والمحاسبة والاعتكاف، وكل ما يقوى الصلة بالله تعالى ويحقق الأجواء الإيمانية وينميها ويحافظ على دوامها، فمما تميزت به العقيدة الإسلامية: الواقعية والبعد عن المثالية والتهويم فى الخيال، حيث راعت احتياجات الإنسان بحسب تكويناته الروحية والجسدية، وموازنة العقيدة بين حاجات الإنسان الروحية والجسدية، ولسنا نعني بالواقعية الرضا بالواقع أيًّا كان وضعه، أو تكييف مبادئ العقيدة حتى تساير واقعية الحياة دون اعتبار أو حكمة، ولكن نعنى بالواقعية أن العقيدة تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقى والأثر الواقعى الإيجابى، بمعنى أنها تتعامل مع الحقيقة الإلهية متمثلة فى آثارها الإيجابية، وتتعامل مع الحقيقة الكونية متمثلة فى مشاهدها المحسوسة المؤثرة أو المتأثرة، وتتعامل مع الحقيقة الإنسانية كما هى فى الواقع، من حيث كونها مركبة من روح ومادة، ودم وأعصاب وغرائز، يدل على ذلك اعترافها بخلقة الإنسان، إذ يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ} [المؤمنون: ١٢][٣٤٨]

التربية الإسلامية تتضمن نموذج الإنسان الكامل الراقي الذي يُطلب إلى التربية العمل على إخراجه فى ضوء علاقاته بالخالق سبحانه، والإنسان، والكون، والحياة الآخرة، التى هى ثمرة تكامل الوحى والعقل والحس فى تربية أى إنسان مهما كان انتماؤه العرقى وموطنه الجغرافى، التربية الإسلامية تسعى لتحقيق التوازن بين العلم والعمل، وتركز على الدنيا والآخرة، تهدف إلى تنمية الفرد والمجتمع من كل الجوانب والنواحى، وتشجع على الانفتاح على العلوم والخبرات الإنسانية، هذه التربية تتميز بالمرونة والشمولية والتجديد والوضوح، تحقيق التطور المتوازن والمتكامل فى شخصية المسلم، تهتم بجميع جوانب الشخصية البدنية والروحية والعقلية والاجتماعية والانفعالية، وتحقيق التربية الفكرية والعملية معًا، بحيث يترجم المسلم إيمانه إلى سلوك عملى، تربية السلوك تأتى قبل المعرفة من حيث الأهمية والترتيب الزمنى، وجمعت التربية الإسلامية بين الطابع الفردى والجماعى، حيث تربى الإنسان على الفضائل وتحمله مسؤولية أعماله، وإلى جانب ذلك، فإن التسبيح، والتهليل،

[٣٤٨] - ينظر:" محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص ٧٠-٧١)

والتحميد عبادات روحية تسمو بالإنسان، وتقرّبه من الله سبحانه وتعالى، وتزيل ما به من الهموم والكروبات، وتحط عنه كثيرا من خطاياه٣٤٩

٢٨- الطرق التي اتبعها الإسلام في تعليم القيم:

لقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وبالقرآن الذي يتلوه ويعلمه للمسلمين طرقاً متعددة في تعليم القيم الإسلامية للمسلمين وغرسها فيهم وتنميتها ورعايتها ولم يستخدم طريقة بعينها في جميع المواقف، بل كان يختار لكل موقف الطريقة التي تناسبه وكان أحياناً يستخدم أكثر من طريقة في الموقف الواحد بحسب مقتضيات هذا الموقف.

وأهم الطرق الإسلامية التي يمكن اتباعها في تعليم القيم:

١- القدوة: والدليل على فائدتها أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن يقتدوا به " صلوا كما رأيتموني أصلي " و" خذوا عني مناسككم "، والفطرة السليمة ترى أن القدوة الصالحة من خير وسائل التربية وغرس القيم السليمة، كما أن القدوة السيئة لها تأثير سلبي على المتعلم وعلى الطفل.

أخرج مسلم في " صحيحه"،(٧٤٦)، عَنْ زُرَارَةَ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا فَيَجْعَلَهُ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ، وَيُجَاهِدَ الرُّومَ حَتَّى يَمُوتَ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَقِيَ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَنَهَوْهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ رَهْطًا سِتَّةً أَرَادُوا ذَلِكَ فِي حَيَاةِ نَبِيِّ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَنَهَاهُمْ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ: "أَلَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ؟" فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بِذَلِكَ رَاجَعَ امْرَأَتَهُ، وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا وَأَشْهَدَ عَلَى رَجْعَتِهَا، وفي رواية عند أبي داود في " سننه"،(١٣٤٢)، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: طَلَّقْتُ امْرَأَتِي، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ لِأَبِيعَ عَقَارًا كَانَ لِي بِهَا، فَأَشْتَرِيَ بِهِ السِّلَاحَ وَأَغْزُو، فَلَقِيتُ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: قَدْ أَرَادَ نَفَرٌ مِنَّا سِتَّةٌ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ:"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ".

٣٤٩- ينظر: "القصص في الحديث النبوي"، (ص ٣٢٠)

وأخرج أحمد في " المسند"، (١٣١)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَكَبَّ عَلَى الرُّكْنِ، فَقَالَ:" إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَلَوْ لَمْ أَرَ حِبِّي صلى الله عليه وسلم قَبَّلَكَ وَاسْتَلَمَكَ، مَا اسْتَلَمْتُكَ وَلَا قَبَّلْتُكَ، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١] "

٢- الموعظة: ففي النفس استعداد للتأثر بما يلقي إليها من الكلام، وهو استعداد مؤقت في الغالب، ولذلك يلزمه التكرار، كما يلزم تدعيم الموعظة بوسائل أخرى كالقدوة وتوفير الوسط المناسب الذي يسمح بتقليد القدوة، والقرآن الكريم مليء بالمواعظ والتوجيهات.

وقد تعددت الأساليب التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في إلقاء الموعظة وطريقة عرضها ومن ذلك:

أ- انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب، وذلك بطرح الأسئلة على أصحابه ليثير انتباههم ويحرك ذكاءهم ويقدح فطنتهم ويسقيهم المواعظ المؤثرة في قالب الإقناع والمحاجاة ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في " صحيحه"،(٥٢٨)، ومسلم في " صحيحه"،(٦٦٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: وَفِي حَدِيثِ بَكْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ:"أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟" قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: "فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا".

ب- بدء الموعظة بالقسم وذلك لتنبيه السامع على أهمية المقسم عليه، أخرج مسلم في "صحيحه"، (٥٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ".

ج- دمج الموعظة بالمداعبة، وذلك لتحريك الذهن وإذهاب الملل وتشويق النفس، ومن ذلك ما أخرجه الترمذي في " جامعه"، (١٩٩١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ؟ "، وفي " مسند أحمد"، (١٢٦٤٨)، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ». وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ».

د- الاقتصاد بالموعظة مخافة السآبة، أخرج أبو داود في " سننه"،(١١٠٧)، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ السُّوَائِيِّ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ"، وأخرج البخاري في " صحيحه"،(٧٠)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٨٢١)، عَنْ شَقِيقٍ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، "إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا".

هـ- الهيمنة بالتأثير الوعظي على الحاضرين، وهذا لا يتأتى إلا أن يكون الواعظ مخلص النية، رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة، أخرج الترمذي في " جامعه"، (٢٦٧٦)، عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ".

و- الموعظة بضرب المثل، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦١٢٢)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٨١١)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: "أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ، مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ" فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَذْكُرُونَ شَجَرًا مِنْ شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأُلْقِيَ فِي نَفْسِي أَوْ رُوعِيَ، أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا، فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ، فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا سَكَتُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "هِيَ النَّخْلَةُ"، وأخرج أحمد في " المسند"،(٦٨٧٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: شَكَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْحَوْضِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَبْرَةَ - رَجُلٌ مِنْ صَحَابَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ: فَإِنَّ أَبَاكَ حِينَ انْطَلَقَ وَافِدًا إِلَى مُعَاوِيَةَ انْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، فَحَدَّثَنِي مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ، حَدِيثًا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَمْلَاهُ عَلَيَّ، وَكَتَبْتُهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا أَغْرَقْتَ هَذَا الْبِرْذَوْنَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِالْكِتَابِ، قَالَ: فَرَكِبْتُ الْبِرْذَوْنَ، فَرَكَضْتُهُ حَتَّى عَرِقَ، فَأَتَيْتُهُ بِالْكِتَابِ، فَإِذَا فِيهِ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ،

وَسُوءُ الْجِوَارِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ، نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَغَيَّرْ، وَلَمْ تَنْقُصْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ، أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَوَضَعَتْ طَيِّبًا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تَفْسُدْ" قَالَ: وَقَالَ:" أَلَا إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ - أَوْ قَالَ: صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ - وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ، هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا" قَالَ أَبُو سَبْرَةَ: فَأَخَذَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْكِتَابَ، فَجَزِعْتُ عَلَيْهِ، فَلَقِيَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنَا أَحْفَظُ لَهُ مِنِّي لِسُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَحَدَّثَنِي بِهِ كَمَا كَانَ فِي الْكِتَابِ، سَوَاء، وفي " صحيح ابن حبان"،(٢٤٧)، عَنْ وَكِيعِ بْنِ عُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:"مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا"، وفي " مسند أحمد"،(١١٣٣٥)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ عَلَى آخِيَّتِهِ ، يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ».

وفي " صيح مسلم"، (٢٥٨٦)، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

وفي " صحيح البخاري"،(٥٤٢٧)، و"صحيح مسلم"،(٧٩٧)، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ".

ز- الموعظة بالتمثيل باليد، ففي " صحيح البخاري"، (٦٠٢٦)، و"صحيح مسلم"، (٢٦٢٧)، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»، وأخرج أحمد في " المسند"، (١٩٦٢٤)، عَنْ أَبِي مُوسَى رِوَايَةً قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعَطَّارِ إِنْ لَمْ يُحْذِكَ مِنْ عِطْرِهِ عَلَقَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثَلُ الْكِيرِ إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ نَالَكَ مِنْ شَرَرِهِ».

ح- الموعظة بالرسم والإيضاح، ففي " سنن ابن ماجه"، (١١)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ:"هَذَا سَبِيلُ

اللَّهِ" ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام] "، وفي " مسند أحمد"، (٤١٤٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطًّا، ثُمَّ قَالَ:"هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ"، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ:" هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ "، ثُمَّ قَرَأَ: (وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ).

ط- الموعظة بالفعل التطبيقي: ففي " صحيح البخاري"،(١٦٤)، و"صحيح مسلم"،(٢٢٦)، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَزِيدَ اللَّيْثِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه:"دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ". ثُمَّ قَالَ:"رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:"مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" قَالَ ابْنُ شِهَابٍ:" وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: هَذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلَاةِ ".

ي- الموعظة بانتهاز المناسبة: ففي " صحيح البخاري"،(٥٩٩٩)، و"صحيح مسلم"،(٢٧٥٤)، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

وفي " سنن أبي داود"،(٤٤٢٨)، و" صحيح ابن حبان"،(٤٤٠٠)، واللفظ له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنَّ الْأَبْعَدَ قَدْ زَنَى، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:"وَيْلَكَ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الزِّنَى"، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَطُرِدَ وَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْأَبْعَدَ قَدْ زَنَى، فَقَالَ:"وَيْلَكَ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الزِّنَى"، فَطُرِدَ وَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْأَبْعَدَ قَدْ زَنَى، قَالَ:"وَيْلَكَ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الزِّنَى"، قَالَ: أَتَيْتُ امْرَأَةً حَرَامًا مِثْلَ مَا يَأْتِي الرَّجُلُ مِنِ امْرَأَتِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَطُرِدَ وَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَتَاهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْأَبْعَدَ قَدْ زَنَى، قَالَ: "وَيْلَكَ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الزِّنَى"، قَالَ:"أَدْخَلْتَ وَأَخْرَجْتَ؟ "، قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ، فَلَمَّا وَجَدَ مَسَّ الْحِجَارَةِ تَحَمَّلَ إِلَى شَجَرَةٍ، فَرُجِمَ عِنْدَهَا حَتَّى مَاتَ، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ ذَلِكَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِصَاحِبِهِ: وَأَبِيكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْخَائِبُ، أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مِرَارًا، كُلُّ ذَلِكَ يَرُدُّهُ حَتَّى قُتِلَ كَمَا يُقْتَلُ

الْكَلْبُ، فَسَكَتَ عَنْهُمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ شَائِلَةٌ رِجْلُهَا، فَقَالَ: "كُلَا مِنْ هَذَا"، قَالَا: مِنْ جِيفَةِ حِمَارٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَالَّذِي نِلْتُمَا مِنْ عِرْضِ أَخِيكُمَا أَكْثَرُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَفِي نَهَرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَتَقَمَّصُ".

٣- العقوبة : حين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلا بد من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح ، والعلاج الحاسم هو العقوبة ، والعقوبة ليست ضرورية لكل شخص وليست أول خاطر يخطر على قلب المربي ولا أقرب سبيل " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " ، ولكن الواقع المشهود أن هناك أناساً لا يصلح لهم الوعظ والمعاملة الحسنة أو يزدادون انحرافاً كلما زيد لهم في الوعظ والإرشاد، وقد استخدم القرآن الكريم التهديد والوعيد مرات عديدة، كقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٨- ٢٧٩]، وقوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}.

٤- القصة: ففي القصة سحر يسحر النفوس، وقارئ القصة أو سامعها لا يملك أن يقف موقفاً سلبياً من شخوصها وحوادثها، فهو على وعي منه أو غير وعي يدس نفسه على مسرح الحوادث، ويتخيل أنه كان في هذا الموقف أو ذاك، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة، فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب، والإسلام يدرك هذا الميل الفطري للقصة ويدرك مالها من تأثير ساحر على القلوب فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم.

في " صحيح البخاري"، (٣٤٧٠)، و"صحيح مسلم"،(٢٧٦٦)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ "، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ.

وفي " صحيح البخاري"، (٣٤٥١)، و"صحيح مسلم"،(١٥٦٠)، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو، لِحُذَيْفَةَ: أَلَا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ:" إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ "

٥- العادة : العادة تؤدي مهمة خطيرة في حياة البشرية، فهي توفر قسطاً كبيراً من الجهد البشري بتحويله إلى عادة سهلة ميسرة لينطلق هذا الجهد في ميادين جديدة من العمل والإنتاج والإبداع، وقد بدأ الإسلام بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل، وإما التدرج البطيء حسب نوع العادة التي يعالجها وطريقة تمكنها من النفس، والمنهج الإسلامي في الإصلاح والتربية على القيم الفاضلة يراعي المرحلة العمرية للشخص الذي يتلقى التربية ، فالكبار لهم أسلوب يختلف عن الأسلوب الذي يتعامل مع الصغار، أما منهج الإسلام في إصلاح الكبار فيقوم على أسس ثلاثة لها أكبر الأثر في تعديل الأخلاق وتقويم الاعوجاج.

- الربط بالعقيدة: حيث يتولد عن الكبير الشعور بالمراقبة والخشية من الله في السر والعلن، وهذا ما يقوي في نفسه الإرادة الذاتية ليكف عن المحرمات ويتخلى بأكرم الأخلاق وأنبل الصفات.
- تعريه المنكر والشر: مما يؤدي إلى أن يقتنع الكبير بترك المفاسد، ويعزم كل العزم على التخلي عن الرذائل، بل يكون عنده الطمأنينة النفسية والقلبية لهجر كل ما هو آثم وفاجر.
- تغيير البيئة الاجتماعية: حيث يتهيأ لإصلاح الكبير والوسط الخير والجو الصالح وحياة الشرف والكرامة، بل تنصلح مع الأيام وأحواله، وتزادان مع الزمن وأفعاله وأخلاقه، وأما منهج الإسلام في إصلاح الصغار فيعتمد على شيئين أساسين هما التلقين والتعويد، والمقصود بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية، ويقصد بالتعويد الجانب العملي في التكوين والإعداد.

٦- الملاحظة: ويقصد بذلك ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والأخلاقي، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله، وقد حضَّ الإسلام المربين جميعاً بما فيهم الآباء والأبناء إلى أن يهتموا بمراقبة أولادهم والعمل على إصلاحهم، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في " صحيحه"، (٥٣٧٦)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٠٢٢)، عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، سَمِعَهُ مِنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه

وسلم، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: "يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" ، وفي رواية، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: أَكَلْتُ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلْتُ آخُذُ مِنْ لَحْمٍ حَوْلَ الصَّحْفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "كُلْ مِمَّا يَلِيكَ".

وأخرج البخاري في " صحيحه"، (١٤٩١)، ومسلم في " صحيحه"،(١٠٦٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِالفَارِسِيَّةِ: «كِخْ كِخْ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»، وفي " مسند أحمد"،(١٧٢٣)، عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: أَذْكُرُ أَنِّي أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَأَلْقَيْتُهَا فِي فَمِي، فَانْتَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِلُعَابِهَا، فَأَلْقَاهَا فِي التَّمْرِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا عَلَيْكَ لَوْ أَكَلَ هَذِهِ التَّمْرَةَ؟ قَالَ: "إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ"، قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ" قَالَ: وَكَانَ يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ - وَرُبَّمَا قَالَ - تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ".

٧- الأحداث: أي استغلال الحوادث التي تقع للتوجيه والتربية وغرس الفصائل والتنفير من الرذائل، ولقد قام القرآن الكريم وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيباً عميق الأثر ٣٥٠، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٦٦٧)، ومسلم في " صحيحه"،(٣٩٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم السَّلَامَ قَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وَعَلَيْكَ السَّلَامُ" ثُمَّ قَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا عَلِّمْنِي، قَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا".

---

٣٥٠ - القيم وطرق تعلمها وتعليمها، فؤاد علي، (ص٢١-٢٦)، ومكانة القيم وأهمية غرسها لدى التلاميذ في مرحلة البلوغ (المراهقة)، د. الأشقر

أخرج أحمد في "المسند"، (٢٢٢١١)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

٢٩- التربية الإسلامية تربية عملية متوازنة:

قدم الإسلام الحنيف بناءً تربويًّا متكاملًا للبشرية يحقق لهم السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة ورضوان الله في الآخرة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ويتسم البناء التربوي الإسلامي بخاصية فريدة تميزه عن كافة النظريات الوضعية وهي أن مصدره كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣-٤]، وهذا المصدر الإلهي للبناء التربوي الإسلامي هو الذي يؤكد صدقه وثباته المطلق، وفائدته العظمى للإنسان في الدنيا والآخرة معًا، وينبثق النظام التربوي في الإسلام من النظام التفسيري والرؤية الصادقة للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والإنسان، فالله هو الخالق وهو سبحانه المنظم ومبدع الإنسان وخالقه بنوازعه وجوهرة، ومنزل الشريعة المناسبة له والقادرة على تنظيم شئونه، وعلى تحقيق التوازن أو التعادلية المعجزة لحاجاته الجسدية المادية والروحية والعقلية، وينطلق النظام الإسلامي في التربية من الفهم الصادق لحقيقة الإنسان والهدف من خلقه وأساليب تحقيق أهدافه ومصيره في الآخرة، وهي مقدمات لا بد منها حتى يستوي النظام التربوي غاية ووسيلة، ويحقق أهدافه٣٥١، فقد تميز منهج التربية الإسلامية التربوي بشموله لحياة

٣٥١ - ينظر: «بناء المجتمع الإسلامي» (ص١١١)

الإنسان كلها، وعنايته بجميع جوانب النفس البشرية المتمثلة في الأبعاد الرئيسة الثلاثة: (الروح، والعقل، والجسم)، دونما إهمالٍ أو مبالغة في حق أحدٍ منها على حساب الآخر، وهنا تجدر الإشارة إلى أن عناية التربية الإسلامية لا تتصف بمجرد الشمول لهذه الجوانب الثلاثة، فهي مع شمولها تسعى إلى تحقيق التوازن المطلوب بينها دونما إفراطٍ أو تفريط، فللروح حظها، و للجسم حقه، و للعقل نصيبه، و ليس هذا فحسب، بل إن الارتباط و التداخل بين هذه الجوانب الثلاثة يبرز بصورةٍ لا يمكن معها فصلُ جانبٍ منها عن الآخر، وبذلك يمكن القول: إن أبعاد أو جوانب الشخصية الإنسانية من منظور التربية الإسلامية ثلاثة فقط هي (الروح ، والجسم ، و العقل)، وهذه الجوانب الثلاثة هي الجوانب الرئيسة، أما بقية الجوانب الأخرى مثل الجوانب الأخلاقية ، و الوجدانية ، و المعرفية ...إلخ، فلا تخرج عن كونها جوانب متفرعة عن هذه الأبعاد الثلاثة الرئيسة أو مندرجةً ضمنها، إلا أنها مع ذلك تحظى بحقها الكامل، وحظها الوافر الذي يضمن لها أن تؤدي دورها المطلوب منها بكل ثقةٍ و اقتدار، فتكون المحصلة النهائية لذلك كله بناء وإعداد شخصية الإنسان المسلم بناءً كاملاً متكاملاً[٣٥٢]

- التربية الإسلامية تربية متوازنة عملية[٣٥٣]

القرآن كتاب الله الكريم عبر عن العقيدة بالإيمان وعن الشريعة بالعمل الصالح.

تبدأ أهداف التربية الإسلامية بإخراج الفرد المسلم، والفرد المسلم هو الإنسان العامل الذي يقوم بـ "العمل الصالح"، لأن العمل الصالح المتقن هو علة الخلق والإيجاد، وهو مادة الابتلاء والاختبار في قاعة الحياة الدنيا، وهو مقياس النجاح في الآخرة، {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: ٢] [٣٥٤]، ولذلك قال الحسن، وقتادة في تفسير قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصالِحُ يَرْفَعُهُ}، لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه[٣٥٥]

٣٥٢ - ينظر: " سبعة مقالات في التربية الإسلامية"، (ص٣)

٣٥٣ - ينظر: «بناء المجتمع الإسلامي» (ص٢٩-٣١)، و«وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته» (ص ١٥٠)

٣٥٤ - ينظر:" أهداف التربية الإسلامية"،(ص٤١-٤٢)

٣٥٥ - ينظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، (٢٠/ ٤٤٥)

التربية العملية هي اقتران العمل بالإيمان، وأن كلا منهما مكمل للآخر، بمعنى إذا وجد العمل ولم يوجد الإيمان بالله فهذا العمل غير مقبول، وهكذا إذا وجد الإيمان ولم يوجد العمل، فإن الإيمان غير مقبول، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ}، فانطلاقاً من تلك التوجيهات الربانية، إن الإيمان هو أصل الحياة الكبير الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره، ومن ثمّ يهدر القرآن الكريم قيمة كل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل، ولا يشدّ إلى هذا المحور، ولا ينبع من هذا المنهج، والنظرية الإسلامية صريحة في هذا كل الصراحة، قال الله ﷻ:{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}، وهي نصوص صريحة في إهدار قيمة العمل كله مالم يستند إلى الإيمان الذي يجعل له دافعاً موصولاً بمصدر الوجود، وهدفاً متناسقاً مع غاية الوجود، وهذه هي النظرة المنطقية لعقيدة تردّ الأمور كلها إلى الله ﷻ فمن انقطع عنه فقد انقطع وفقد حقيقة معناه، وذلك لأهمية آثارها التي تعود على الفرد من السعادة والخير في الدنيا، وجزيل الثواب في الآخرة، وأيضاً أكدّ المنهج الإسلامي أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد راعوْا الجانب العملي من **الجانبين**: **الجانب الروحي والجانب المادي**، أما الجانب الروحي: فيتضح من خلال دعوتهم إلى العمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، إذ لم يأتي نبيّ إلا وأصبح قدوة مثالية في الدعوة إلى توحيد الله ﷻ وبيان معانيه ومعالمه، وذلك بأسلوب الترغيب والترهيب، وغيرها من الأساليب التربوية، ومما يؤكد الجانب المادي ما يلي: ممارسة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المهن والأعمال، حيث أعطوا العمل المهني قدره ومكانته، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٢٢٦٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله

عليه وسلم قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»، وفي «المستدرك على الصحيحين» (٤١٦٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ جَالِسٍ عِنْدَهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ: ادْنُ مِنِّي فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَبْقَاكَ اللَّهُ، وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ أَنْ أَسْأَلَكَ كَمَا سَأَلَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: ادْنُ مِنِّي فَأُحَدِّثُكَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أُحَدِّثُكَ عَنْ آدَمَ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا حَرَّاثًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا نَجَّارًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا خَيَّاطًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ دَاوُدَ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا زَرَّادًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ مُوسَى أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا رَاعِيًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا زَرَّاعًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ صَالِحٍ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا تَاجِرًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَكَانَ يَصُومُ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ سِتَّةَ أَيَّامٍ وَفِي وَسَطِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَفِي آخِرِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَكَانَتْ لَهُ تِسْعُ مِائَةِ سَرِيَّةٍ، وَثَلَاثُ مِائَةِ فِهْرِيَّةٍ وَأُحَدِّثُكَ عَنِ ابْنِ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَخْبَأُ شَيْئًا لِغَدٍ وَيَقُولُ: الَّذِي غَدَّانِي سَوْفَ يُعَشِّينِي وَالَّذِي عَشَّانِي سَوْفَ يُغَدِّينِي، يَعْبُدُ اللَّهَ لَيْلَةَ كُلَّهَا يُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَهُوَ بِالنَّهَارِ سَائِحٌ، وَيَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، " وَأُحَدِّثُكَ عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَهْلِ بَيْتِهِ بِأَجْيَادَ، وَكَانَ يَصُومُ فَنَقُولُ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ فَنَقُولُ: لَا يَصُومُ، وَكُلُّهَا مَا رَأَيْنَاهُ صَائِمًا وَيَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ أَلْيَنَ النَّاسِ جَنَاحًا وَأَطْيَبَهُمْ خَبَرًا، وَأَطْوَلَهُمْ عِلْمًا "، وَأُخْبِرُكَ عَنْ حَوَّاءَ أَنَّهَا كَانَتْ تَغْزِلُ الشَّعْرَ فَتُحَوِّلُهُ بِيَدِهَا فَتَكْسُو نَفْسَهَا وَوَلَدَهَا، وَأَنَّ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ»، وكذلك توجيهاتهم التربوية التي تدعو إلى الأساليب الصحيحة في الجهد والعمل، أخرج البخاري في " صحيحه"،(١٤٧٠)، ومسلم في " صحيحه"،(١٠٤٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»، وفي رواية: "لَأَنْ يَحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، يُعْطِيهِ أَوْ يَمْنَعُهُ"، وفي " صحيح البخاري"،(٢٠٧٢)، عَنِ المِقْدَامِ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»، وفي رواية عند ابن ماجه في "

سننه"،(٢١٣٨)، "مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ"، وتوجيه النبي ﷺ لغلام يسلخ شاة، وما كان يحسنها فقال له:« تنحّ حتى أريك »، ففي " سنن أبي داود"،(١٨٥)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِغُلَامٍ وَهُوَ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ" فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبِطِ، ثُمَّ مَضَى فَصلَّى لِلنَّاسِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ.

فيلاحظ من ذلك أن العمل في منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يشمل كل ما يصلح به الدين والدنيا، وأن من عوامل غرس العمل الصالح، الأساليب التالي: الترغيب والترهيب، والتطبيق العملي، والجهد والممارسة، وهو الذي أكده وبينه منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٣٥٦]

الإسلام لا ينطوي على عقيدة فقط، تنظم علاقة الإنسان بربه فحسب، وإنما ينطوي كذلك على شريعة توجه الإنسان إلى نواحي الخير في الحياة، فالإسلام دين عقيدة وشريعة يستغرق ويوجه حياة الإنسان الذاتية والاجتماعية من المهد إلى اللحد، يقول تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ}، تتضمن الشريعة الإسلامية التي تؤسس على كتاب الله الكريم وما صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، أقوى المبادئ، والأسس التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين الناس بعضهم ببعض، وبينهم وبين خالقهم سبحانه، ولعل القيمة الكبرى للتنظيم الإسلامي أنه لا يقتصر على التنظيم القانوني الخارجي وتوجيه السلوك الخارجي للإنسان، لكنه يمتد لتنظيم بناء الإنسان الداخلي، وتوجيه السلوك الخارجي للإنسان، ولكنه يمتد لتنظيم بناء الإنسان الداخلي -الدافعي والقيمي والمعياري- فالإيمان هو ما وقر في القلب -داخلي- وصدقه العمل -خارجي- ويقرن القرآن الكريم دائمًا الإيمان بالعمل، وتقوى الله هي الأساس الأول في ضبط علاقات الإنسان داخل مختلف الجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها الإنسان،

[٣٥٦] - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم"، (ص٣٩-٤٣)

مثل جماعة الأسرة وجماعة العمل وجماعة الأصدقاء داخل المجتمعين المحلي والعام، كذلك فإن التقوى تضبط علاقة الإنسان بخالقه وتضبط سلوكه وتجعله فاعلًا ملتزمًا من الداخل، وليس مجرد رد فعل للمثيرات الخارجية فحسب، قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦] ، وقال تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} [الأحزاب: ٧٠]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرا} [الطلاق: ٤]، أخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٧٤٢)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ" ، وفي " جامع الترمذي"،(٢١٩١)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا صَلَاةَ العَصرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ" وَكَانَ فِيمَا قَالَ: "أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ" قَالَ: فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ وَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهِبْنَا، فَكَانَ فِيمَا قَالَ: "أَلَا إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، وَلَا غَدْرَةَ أَعْظَمُ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامِ عَامَّةٍ يُرْكَزُ لِوَاؤُهُ عِنْدَ اسْتِهِ" فَكَانَ فِيمَا حَفِظْنَا يَوْمَئِذٍ: "أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمُ البَطِيءَ الغَضَبِ سَرِيعَ الفَيْءِ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ سَرِيعُ الفَيْءِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعَ الغَضَبِ بَطِيءَ الفَيْءِ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الغَضَبِ سَرِيعُ الفَيْءِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الغَضَبِ بَطِيءُ الفَيْءِ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ حَسَنَ القَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، وَمِنْهُمْ سَيِّئُ القَضَاءِ حَسَنُ الطَّلَبِ، وَمِنْهُمْ حَسَنُ القَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمُ السَّيِّئَ القَضَاءِ السَّيِّئَ الطَّلَبِ، أَلَا وَخَيْرُهُمُ الحَسَنُ القَضَاءِ الحَسَنُ الطَّلَبِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَيِّئُ القَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ، أَلَا وَإِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالأَرْضِ" قَالَ: وَجَعَلْنَا

نَلْتَفِتُ إِلَى الشَّمْسِ هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ"، وكان من دعاء النبي كما في " صحيح مسلم"،(٢٧٢١)، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى".

وقد تضمنت الشريعة الإسلامية كل ما ينفع الإنسان في حياته وبعد موته، ويكفل قيام مجتمع صالح، والإسلام أقام مجتمعًا فاضلًا في عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين، لأنه ينظم شئون الإنسان في دنياه، علاقاته الأسرية، علاقاته الاقتصادية، وبالآخرين، وبربه.... إلخ، والشريعة معناها الطريق المستقيم، وقد أطلقها فقهاء المسلمين على مجموعة الأحكام التي سنها الله لعباده على لسان رسوله الكريم ليعمل بها المسلمون عن إيمان والتزام ويقين قلبي مطلق، وتتضمن الشريعة الإسلامية أمورًا **ثلاثة**، وهي: المعتقدات، والأخلاق، وأفعال العباد الحسية، وهي ثلاثة أسس حددها الإسلام بشكل يكفل بناء مجتمع يخلو من الانحرافات، ويتسم بالتعاون والتنافس البناء في تقوى الله، ويخلو من الصراعات المدمرة، وتوجب العقيدة الإيمان المطلق بالغيب، وتحث الأخلاق الإسلامية على الصدق والعدل والوفاء ... إلخ، وهي التي تكفل علاقات اجتماعية سليمة، وقد امتدح الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}، ولقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته لأصحابه على التوسط الذي لا غلو فيه ولا جفاء، وذلك بإعطاء كل شيء حقه، فالنفس لها حظها من العبادة والطاعة ولها حظها من الترويح والراحة، والجسد له حقه وحظه من المأكل والمشرب وأن لا يكلف مالا يطيق والأهل من الزوجة والأولاد لهم حقهم من الرعاية العناية ولكل شيء حقه، والإسلام أعطى كل شيء حقه، والرسول صلى الله عليه وسلم سار في تربية أصحابه سيراً متوازناً لم يكلفهم ما يغلبهم ولم يكثر عليهم فيملهم ويسئمهم، ولم يعط جانباً على حساب الجوانب الأخرى بل توسط لا إفراط فيه ولا تفريط، وهذا المنهج هو الأدعى للاستمرار وملازمة الاستقامة والمداومة على العمل وهو المنهج الشامل الصالح لكل البشر.

الْإِسْلَام يتفرد بشمولية منهجه التربوي لهَذَا الْكَائِن وتوازنه، فيعالجه معالجة شاملة متوازنة لا تغفل عَن شيء روحه وعقله وَجَسَده، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاول فِيهَا نشاطه منسجماً مَعَ مناخات العناصر الْأُخْرَى، وَالَّذِي يخول لِلْإِسْلَامِ النجاح فِي هَذَا الْمِضْمَار أَنه دين الله عز وجل وَهُوَ الصانِع والمبدع والخالق لهَذَا الْكَائِن وبالتالي فهو أعلم وأخبر بصنعته وَهُوَ الْحقيق أَن يوجد المنهج الملائم مَعَ هَذِه الفطرة {ألا يعلم من خلق وَهُوَ اللَّطِيف الْخَبِير}، ونتيجة لهَذِهِ الشمولية يتَوَصَّل الْإِسْلَام إِلَى استغلال كل طاقات هَذَا الْكَائِن بل يصل إِلَى الْحَد الْأَقْصى لهَذِهِ الطاقات.

إِن هَذَا التوازن والشمول الَّذِي تميز بِهِ الْإِسْلَام دلّت عَلَيْهِ النُّصوص الْكَثِيرَة، فقد أخرج البخاري في " صحيحه"، (١١٥١)، ومسلم في " صحيحه"، (٧٨٥)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟ " فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصلِّي، قَالَ: "عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ"، وأخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٤٦٤)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٨١٨)، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ" قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ"، وأخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٤٦٥)، ومسلم في " صحيحه"،(٧٨٣)، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ».

فترى من خلال الْأَحَادِيث السَّابِقَة أَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم يهدينا إِلَى أَن الْقَلِيل المداوم عَلَيْهِ من الْعَمَل خير من الْكثير الْمُنْقَطع والقليل المستمر أحبّ إِلَى الله وَرَسُوله وَذَلِكَ مايتواءم مَعَ فطْرَة الْإِنْسَان وَقدرته، فَهُوَ أدعى لتطبيق شَرِيعَة الله دون حرج وَلَا مشقة وذلكم هُوَ الْيُسْر والسماحة وَهُوَ الرِّفْق والتوسط وَهَذِه الصِفَات من سمة الْمنْهَج الإسلامي الرباني وَمن خَصائِص التربية النَّبَوِيَّة، قَال الْبُخَارِيُّ ج١ص١٦: بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ

السَّمْحَةُ»، ثمَّ إن التشدد والغلو والتنطع سَبَب للهلاك كَمَا كَانَ حَال السَّابِقين الَّذين تشددوا فَشدد الله عَلَيْهِم وتنطعوا، ويؤكد ذَلِك الرَّسُول صلى الله عليه وسلم، كما في " صحيح مسلم"،(٢٦٧٠)، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ" قَالَهَا ثَلَاثًا، وَلَقَد كَانَ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم يسير مَعَ أَصْحَابه سيراً واقعياً بَعيدا عَن إِحْدَاث الْمَشَقَّة والحرج مِمَّا يباعد الْمُسلم عَن السَّآمَة والملل، فقد أخرج البخاري في " صحيحه"،(٧٠)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٨٢١)، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ، فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، "إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"، فَهَذَا الْهَدْي النَّبَوِيّ يتناسق مَعَ مَا تَقْتَضِيه سماحة الْإِسْلَام ويسره، وعندما رأى صلى الله عليه وسلم فِي بعض أَصْحَابه جنوحاً عَن التَّوَسُّط وبعداً عَن السماحة واليسر ردَّهم إِلَى سنته وهديه، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٥٦٣)، ومسلم في " صحيحه"،(١٤٠١)، عَن أنس بن مَالك، يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» ، فَهَذِهِ سنته صلى الله عليه وسلم لَيْسَ فِيهَا غلو وَلَا إجحاف فِي حق النَّفس واعطاء لكل شَيْء حَقه، وتوسط فِي الْأُمُور، وَلم يقرّ صلى الله عليه وسلم من يشق على نَفسه بِالْعبَادَة ويتجاوز الِاعْتِدَال، أخرج البخاري في " صحيحه"،(١١٥٠)، ومسلم في " صحيحه"،(٧٨٤)، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟ " قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ، أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ

بِهِ، فَقَالَ: "حُلُّوهُ، لِيُصلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ، أَوْ فَتَرَ قَعَدَ"، وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: فَلْيَقْعُدْ، وأقرّ صلى الله عليه وسلم سلمَان لما أنكر على أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنهما تشدده وتقصيره فِي حق أَهله وَنَفسه، ففي " صحيح البخاري"،(٦١٣٩)، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُوالدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُوالدَّرْدَاءِ، فَصنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُوالدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَ سَلْمَانُ»، هَا هُوَ صلى الله عليه وسلم يقرّ ويؤكد مَنْهَج التَّوَسُّط والاعتدال وَإِعْطَاء كل شَيْء حَقه بِلَا غلو وَلَا تَغْلِيب جَانب على آخر فَأَبُو الدَّرْدَاء رضي الله عنه لما أقبل على الْآخِرَة وآثر الْعِبَادَة والزهد وَغلب ذَلِك على حق أَهله وَجَسَده أنكر عَلَيْهِ أَخُوهُ سلمَان رضي الله عنه فالأخوة بَينهمَا تَقْتَضِي التناصح والتواصي بِالْحَقِّ، وَلما أخبر النَّبِي صلى الله عليه وسلم صَدَّق سلمَان فِي قَوْله لِأَن هَذَا هُوَ الْحق والمنهج الَّذِي يجب أَن يتبع، ونرى فِي قصة أُخْرَى لما علم صلى الله عليه وسلم أَن عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ رضي الله عنه يَصوم النَّهَار وَيقوم اللَّيْل دَعَاهُ وَقَالَ له كما في " صحيح البخاري"،(١٩٧٥)، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ: «فَصمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ»، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام؟ قَالَ: «نِصفَ الدَّهْرِ»، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي

قَبِلْتُ رُخْصةَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، فَهَذَا مَنْهَج النَّبِي صلى الله عليه وسلم مَنْهَج اعْتِدَال وتوسط، وعَلى هَذَا ربَّى أَصْحَابه رضي الله عنهم[٣٥٧]

لذا فالتربية الإسلامية تحقق النمو المتكامل المتوازن لشخصية الإنسان، لا تركز على جانب واحد من الشخصية الروحي أو العقلي أو الجسمي أو الانفعالي أو الاجتماعي وإنما تهتم بجميع هذه الجوانب معًا، فقد أنزل الله سبحانه وتعالى الإنسان من الجنة إلى الأرض، والمعيشة الأرضية تحتاج إلى إشباع حاجات النفس والعقل والروح والجسم معًا، يقول تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: ٧٧]، فالإسلام يطالبنا بصحة الأبدان "إن لبدنك عليك حقًّا"، وبالحفاظ على السمع والبصر والفؤاد {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٦]، والإسلام يخاطب عاطفة الإنسان وقلبه ووجدانه، فهي تربية فكرية وسلوكية وعملية معاً، تربية مستمرة لا تنتهي بفترة زمنية معينة وإنما تمتد من المهد إلى اللحد، تدعم باستمرار عقيدة التوحيد عند الإنسان وتدعوه باستمرار لتحصيل المزيد من العلم والمعرفة، قال تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَاّ قَلِيلا} [الإسراء: ٨٥]، كما تدعو إلى إعمال البصر والعقل في الكون الماديّ والعالم الاجتماعي من أجل التقدم في فهمهما وتحقيق حياة إنسانية أسعد على هذا الكوكب، والحياة لا تسير على وتيرة واحدة فهي في تغير مستمر، ولا بد على الإنسان المسلم أن يساير هذا التطور بل وأن يقوده من خلال إعداد الشباب المؤمن المتعلم المنجز، فهي تربية عالمية منفتحة، فالإسلام دين لكل البشر، وليس لأقوام محددة، وهو يرفض التعصب ويتجاوز الانغلاق الطبقي أو العرقي أو اللوني أو الفئوي، ويقر معيارًا عامًا للتمايز في متناول الجميع، وهو التقوى: "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[٣٥٨]

---

٣٥٧ - ينظر: «وقفات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته» (ص١٥١-١٥٤)، بتصرف

٣٥٨ - ينظر: «بناء المجتمع الإسلامي» (ص١٣٥- ١٤٠)، بتصرف

٣٠- تنوع الأساليب التربوية:

" أساليب التربية "هي:" الطرق التربوية التي يستخدمها المربي لتنشئة المتربين التنشئة الصالحة "[٣٥٩]

الأساليب التربوية، تتعامل مع النفس البشرية، وتبعث فيها الحيويّة والانطلاق، وذلك عن طريق إيقاظ المشاعر، وإثارة الانفعالات، وتحريك العواطف، وإقناع العقل، وانشراح الصدر والوجدان، إذ مصدرها كتاب الله ﷻ الذي يروّع النفوس، ويهزّ المشاعر والأحاسيس، قال الله ﷻ: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}، للقرآن الكريم، وأساليبه التربوية، أثراً مهماً في تجاوب وتقبّل سامعيه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نِعْمَ المربي والمعلم بل أفضل مُرَبٍّ ومعلم لأصحابه رضوان الله عليهم، إذ كان صلى الله عليه وسلم أقدر الناس على الاستفادة من الأساليب التي تقرب المفاهيم إلى الأذهان، وتساعد على ترسيخها في عقولهم وقلوبهم.. ينتقل من أسلوب إلى آخر مراعياً حال المخاطبين فتارة، يبدأ بالقول المقرون بالفعل، وتارة يطلب التطبيق من آخرين، وأخرى يستخدم السؤال والحوار، كما أنه صلى الله عليه وسلم يلجأ في بعض الأوقات، ووفقاً لواقع الحال، إلى استخدام القصة أو ضرب الأمثال أو التشبيه، أو يستخدم أسلوب التشجيع حرصاً منه صلى الله عليه وسلم على أن تنتقل هذه التوجيهات النبوية الشريفة من مرحلة القول إلى مرحلة التطبيق والفعل[٣٦٠]

إن أسلوب القصة:" يتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثّلة في أهمّ النماذج التي يريد القرآن الكريم إبرازها للكائن البشري"[٣٦١]، كما أن أسلوب الموعظة:" يتطرق إلى النفس البشرية الإنسانية من مداخلها الحقيقية"[٣٦٢]، وأسلوب الحوار:" الذي تتبادل به الشخصياتُ مواقفها، وتزايل أماكنها، وتبدّل أحوالها وأشكالها "[٣٦٣]

تعدد وتنوع الأســاليب بما يحقق الأهداف، تعتمد الأســاليب التربوية على التعدد والتنوع، وهذا ما يميزها عن التربيات الأخرى المجردة عن الأســاليب التربوية، ويتضــح هذا بالرجوع إلى القرآن الكريم؛ إذ يؤكد ذلك تعدد الأساليب وأنها تعطي دروساً متكاملة في تنوع الأساليب، وتعددها بما يؤدي الهدف والمقصود.

٣٥٩-ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، الحازمي، (ص٣٧٥)

٣٦٠ - ينظر: " أهمية دراسة السيرة النبوية للمعلمين"، (ص٣٥-٤٢)

٣٦١- ينظر: " أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص٢٣٥)

٣٦٢- ينظر: " منهج التربية الإسلامية في تحقيق الاطمئنان النفسي"، (ص١٧٦)

٣٦٣- ينظر: " القصص القرآني في منطوقه ومفهومه"، (ص١١٩)

إن تعدد الأساليب التربوية، وتنوعها عامل مشوق، فالموعظة التي تحتوي على القصة، وضرب الأمثال، والعبرة المؤثرة، والترغيب والترهيب، تكون أكثر وقعاً من الموعظة المجردة، أو الأسلوب الأحادي، حيث تمكّن المربي من اختيار ما يناسب واقع الحال للمتربي، والظروف المحيطة به، واختلاف تقبّل الناس للأساليب التربوية، يعزز أهمية تنوعها، وتعددها [٣٦٤]، وإثارة الجدية، والرغبة في نفوس المتربين، وإبعادهم عن الملل والسآمة، وتصوير المعاني وإبرازها في صورة محسوسة، وهذه سمة من سمات الأساليب التربوية، يُراد بها " إظهار المعاني بكلمات تكاد أن تجعلها بصورة المحسوس، حتى تهم بلمسها بيديك، وحتى تلج إلى ذهنك مترابطة متكاملة لا تكلف ذهنك مشقة تركيبها، ولا تثقله بمهمة تجميعها، فتقسره قسرا على الفهم والإدراك، بل تفجؤه بانطباعها فيه بمجرد توجهه إليها" [٣٦٥]، هذه السمة، سمة واقعية، شاملة، تبين عمق التربية القرآنية كما يتضح من البيان التالي:

أ - أسلوب القصة: إنه أسلوب تربوي يتابع تصوير المعاني، ويقرّبها إلى الأذهان بصورة حسيّة واضحة، كأنك تراها، وتباشرها؛ لذلك" عندما يأتي القرآن الكريم بالقصة لا يخبر بها إخبارا مجردا، بل يعرضها بأسلوب تصويري، يتناول جميع المشاهد، والمناظر المعروضة؛ فإذا بالقصة حادث يقع، ومشهد يجري، لا قصة تروى، ولا حادثا قد مضى[٣٦٦]

ب - أسلوب ضرب الأمثال: هو أسلوب يقرّب الأشياء من المعقول إلى المحسوس، ومن المخفي إلى المرئي، وبالتالي يفهمها الناس، ويستقرّ في أذهانهم، قال النحلاوي:" لم تكن الأمثال القرآنية، والنبوية مجرد عمل فني يُقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إن لها غايات نفسية تربوية، ومن أهم هذه الأهداف التربوية، تقريب المعنى إلى الأفهام[٣٦٧] ولا يحصل التقريب إلا بعد أن تجعل المعاني الذهنية المجردة في صورة محسوسة[٣٦٨]

ومن هذه الأساليب أسلوب التشجيع، وأسلوب مراعاة الفروق الفردية[٣٦٩]

---

[٣٦٤]- ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص٣٧٥ – ٣٧٦)

[٣٦٥] - ينظر: " دراسات في علوم القرآن الكريم"، (ص ٦٨)

[٣٦٦] - ينظر: " الواضح في علوم القرآن"، (ص ١٩٠)

[٣٦٧]- ينظر: " أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص ٢٤٩)

[٣٦٨] -ينظر:" أساليب التربية"، (ص ٦٤-٦٩)

٣٦٩ - ينظر: " أهمية دراسة السيرة النبوية للمعلمين"، (ص٣٥-٤٢)

الاهتمام بإثارة الانتباه: إن اهتمام المربي بإثارة الانتباه لدى المربي يحقق الأهداف الدعوية والتربوية التي يتطلبها العمل التربوي في الميدان التربوي، وإبراز الأغراض والأهداف التي ترمي لها العملية الدعوية، حتى تشد انتباه وتركيز المتربي[٣٧٠]

استخدام التكرار في التعليم[٣٧١] وله فوائد عظيمة النفع منها: التأكيد على مسألة مهمة، أو حكم هام، ومنها تنبيه الغافل ومن به نعاس ونحوه، ومنها حفظ الشيء المكرر، والاقتصار على ثلاث مرات، أمر قد تكر كثيراً في أحاديث المصطفي صلى الله عليه وسلم، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٩٤)، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ «إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا»، قال ابن التين: فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان.أهـ[٣٧٢] والتكرار قد يكون في الكلمات والجمل، وقد يكون في الأسماء، وقد يكون في غيرهما فالتكرار ثلاثاً غاية ما يحصل به البيان، ولكن قد يزاد فوق الثلاث للحاجة، والتكرار وسيلة ناجعة في حفظ المعلومات، وفي التركيز على النقاط الهامة، وتكرار الاسم يجعل المنادي يتهيأ لاستقبال الخبر.

الأسلوب العملي في التعليم[٣٧٣]الجمع بين الأسلوب النظري والأسلوب العملي في التعليم، من الوسائل النافعة في التربية والتعليم.

الإقناع الفكري: الإقناع الفكري جانب مهم من جوانب التربية الإسلامية، يقصد به" الجهود التي تُبذل في تنمية الفكر وتوسيع أفقه ومداركه، سواء كانت هذه الجهود مبذولة من مربٍّ يشرف على هذا اللون من التربية، أو كانت عبارة عن جهود ذاتية من الشخص في تربية فكره وتنمية وتوسيع مداركه "[٣٧٤]

الحوار التربوي هو:" أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين" [٣٧٥]، ومنهم من يرى أن الحوار هو: " إلقاء مجموعة من الأسئلة المختارة بعناية، والمسلسلة المترابطة على الطرف الآخر من المحادثة، بحيث تؤدي تلك الأسئلة وإجابتها إلى

---

٣٧٠ - ينظر: "أسس التربية الإسلامية"، (ص ٤٨٦)
٣٧١ - ينظر: «المعلم الأول صلى الله عليه وسلم» (ص١٤٨)
٣٧٢ - ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٨٩)
٣٧٣ - ينظر: «المعلم الأول صلى الله عليه وسلم» (ص١٠٣-١٠٩)
٣٧٤ - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص١٦٧-١٦٨)، و" الفكر التربوي عند ابن القيم"، (ص٢٥٣)
[٣٧٥]- ينظر: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص٢٠٦)

المعلومات الجديدة "[٣٧٦]، ويُعدّ الحوار القرآني من أرقى أساليب التربية الإسلامية، حيث إن " الإنسان مع هذا الحوار، لا يحسّ أنه مع تعبيرات من الألفاظ، لا يحسّ أنه يتلو أو يستمع إلى كلام، إنما يحسّ إحساسا دافقاً عميقاً أنه ينفعل مع كائن حيّ فيه حياة، وفيه قوة وراء الألفاظ والعبارات، إن الحوار القرآني يحدث في النفس شعوراً زاخراً بالانفعال، وإحساساً فيّاضاً بالعواطف، وينشئ فيها - بوعي أو بغير وعي- تصوّراً خاصاً للوجود، وميزاناً معيّناً للقيم، ويَرُوْضها على سلوك محدد في الحياة في مشهد من مشاهده، في كل تعبير من تعبيراته، وفي كل حوار من حواراته، وفي كل مثل من أمثاله فيض من نور الإيمان، ومزيد من المعرفة بالكون والنفس والحياة، وجديد من حبّ الحق والخير، وكثير من الانفعال بالحركة والبناء والانطلاق "[٣٧٧]، وهكذا الحوار القرآني بتلك القوّة الربانية، والطاقات الداخلية، يدرك مخاطبة " الكائن البشري كله: عقله، وضميره، ووجدانه، فيحرّك الفكر والخيال، ويلمس الحسّ والبصيرة، ويثير الانفعال والشعور، فيستغل في الإنسان كل طاقاته ومواهبه، وينفذ إلى صميمه من كل منافذه، ويؤثر فيه بكل المؤثرات، لم يقتصر الحوار القرآني على خطاب العقل، فالعقل نافذة واحدة من نوافذه، لم يسلك سبيل الإقناع الذهني المجرد، ولم يعتمد قطّ على أقضية المنطق الجافة، إنما ارتفع بأسلوبه إلى مجال الفطرة الشاملة، وقصد به إلى منطقة الوجدان الحارّة، موطن التحويل والإيمان[٣٧٨]، " فالحوار أسلوب هام من أساليب التربية الإسلامية، وذلك" لما فيه من تشويق وشحذٍ للذهن، وتقريب للمعاني، وتشخيص للحقائق، وتشجيع على المبادرة والمشاركة الذاتية ، والتربية الإسلامية عند ما تستخدم هذا الأسلوب التربوي، فإنها تهتمّ بذلك لتربية المسلمين تربية سليمة صحيحة على " أمور دينهم وركائز عقيدتهم، وتوضيح الكثير من القضايا الدينية والدنيوية التي تهمّهم[٣٧٩]، بهذا يتجلّ أهمية الاهتمام بالأسلوب الحواري، وضرورة القيام به في المجالات التعليمية والتربوية[٣٨٠]،

الترغيب والترهيب: لقد تعددتْ المفاهيم الاصطلاحية لأسلوب الترغيب والترهيب عند العلماء، فمنهم من يرى أن " الترغيب هو التشويق للحمل على فعل، أو اعتقاد، أو تصوّر، وترك خلافه، والترهيب هو التخويف للحمل على ترك

---

[٣٧٦] - ينظر: "الرسول العربي المربي"، (ص٤٥٣)

[٣٧٧] -ينظر: "نهج القصة في القرآن"، (ص١٣)

[٣٧٨] - ينظر: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية"، (ص٢٠٥)

[٣٧٩] - ينظر: "نهج القصة في القرآن"، (ص١٣)

[٣٨٠] - ينظر: "أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام-في القرآن الكريم"، (ص١٩٨-١٩٩)

فعل، أو اعتقاد، أو تصوّر "٣٨١، ومنهم من يرى أن الترغيب هو" وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة، أو لذّة، أو متعة آجلة مؤكّدة خيرة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذّة ضارّة، أو عمل سيّءٍ ابتغاء مرضاة الله، والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة، تترتّب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به "٣٨٢، فانطلاقًا من ذلك المفهوم، فإن الترغيب والترهيب يعطينا درساً تربوياً عظيماً في السعي إلى ما يحبّه الله ويرضاه، والنهي عن ما يسخطه الله ويكرهه.

إن لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية كبيرة في بناء العملية التربوية، وذلك كونه: "من الأساليب الطبيعيّة التي تستند إليها التربية في كل زمان ومكان، ويتمشّى مع طبيعة الإنسان حيثما كان وأيًّا كان جنسه، أولونه، أو عقيدته، فالإنسان يتحكّم في سلوكه، ويعدل فيه بمقدار معرفته بالنتائج الضارّة أو النافعة، والسارة أو المؤلمة التي تترتّب على عمله وسلوكه" ٣٨٣، ولوجوده في كتاب الله العزيز الذي" قد أبعد وأعجز في اتخاذ هذا الأسلوب القوي المحكم، بل الأسلوب السهل الممتع الذي يلذّ الأسماع، ويلمس شغاف القلوب، هذا الأسلوب الذي يميّز لغة الضاد، والذي استطاع أن يفتح القلوب حين فتح المسلمون الأمصار، وأسلوب القرآن دائماً مطّرد في جودة الإفهام وروعته مع سهولة لفظه، ومتانته، وسلامته من التكلف"٣٨٤

إن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة٣٨٥، إن الترغيب والترهيب أسلوب قوي في إثارة الدوافع لدى الإنسان في الحصول على هدف معين، إن أسلوب الترغيب والترهيب مؤثر وفعّال، وحافز ذاتي للنفس الإنسانية ٣٨٦، إن لأسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، والسنة المطهّرة، دقّة في تصوير نعيم الجنة وعذاب الآخرة، ويفهمه جميع الناس٣٨٧، فمن هنا لا يمكن استغناء المربّي - أيًّا كان نوعه - عن استخدام هذا الأسلوب التربوي في" الحثّ على فعل الخير، وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله ﷻ، والكفّ عن

٣٨١- ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص٣٩١)

٣٨٢ - ينظر: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص٢٨٧)

٣٨٣- ينظر: "التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية"، (ص٥٣)

٣٨٤- ينظر: "أسلوب القرآن بين الهداية والإعجاز البياني"، (ص١٢٩)

٣٨٥- ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص٣٩٣)

٣٨٦ ينظر: " الإقناع في التربية الإسلامية"، (ص١٢٥)

٣٨٧- ينظر: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص٢٨٨)

ولوج أبواب الشرّ والرذيلة، وتخويفاً مما يعقبها من آلام ومنغصات، مما يجعل النفوس حريصة على الاندفاع نحو الخير والفضيلة؛ خوفاً من مغبة التراخي والتفريط "٣٨٨

إن التربية الناجحة هي التي تعتمد في تطبيقاتها على هذين الأسلوبين بما يربّي النفس، ويشفيها من انحرافها، ويقوّيها، ويقوّمها، ويضعها في وضعها الصحيح، فمن هذا المنطلق كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على جانب كبير من تلك الصفة العظيمة في وظائفهم التربوية والدعوية، ومن ذلك التزامهم بالحكمة عند استخدام هذا الأسلوب التربوي ومن مظاهر الحكمة في استخدام أسلوب الترغيب والترهيب، التوازن بينهما عند التربية والتوجيه، بحيث: " لا يؤدي الترغيب لوحده إلى التملق، أو المخادعة، أو الخنوع، ولا يؤدي الترهيب لوحده إلى الخوف، أو الضعف، أو الاستسلام " ٣٨٩، وإذا كان هذا التوازن مظهراً مهماً من مظاهر الحكمة عند استخدام ذلك الأسلوب التربوي، فلا بدّ " للمكلّف العمل على وفقه في مخاطبته، ومحاورته للآخرين، فلا يجنح في عمليته التربوية إلى الترهيب فقط، فيغالي فيه غلوًّا يفض إلى نقيض المقصود منه، ولا يميل إلى الترغيب ميلاً كاملاً، يأتي على خلاف المقصود منه، بل يزاوج بينهما بما يجعل العملية التربوية بينه وبين المتلقّي إيجابياً وناجعاً " ٣٩٠

ويمكن الإشارة إلى أن لتنوع الأساليب التربوية أهمية كبيرة في التأثير على المتربي يمكن إيضاحها فيما يأتي٣٩١

١- "أن تعددها وتنوعها عامل مشوق، فالموعظة التي تحتوي على القصة وضرب المثل، والعبرة المؤثرة، والترغيب والترهيب، تكون أكثر وقعا من الموعظة المجردة.

٢- تمكن المربي من اختيار ما يناسب واقع الحال للمتربي، والظروف المحيطة به.

٣- اختلاف تقبل الناس للأساليب التربوية، يعزز أهمية تنوعها، فالبعض يعتبر ويتأثر بالقدوة، والبعض يتأثر بالأسلوب العاطفي، والبعض لا يجدي فيه إلا الأسلوب الحواري"٣٩٢

إن تنوع الوسائل والأساليب الدعوية أمر ضروري لنجاح العملية الدعوية والتربوية، لأن التماثل يفضي إلى الرتابة ومن ثم الملل والفتور، في حين يؤدي التنوع إلى النماء والثراء، وليس هذا في شأن الدعوة والتربية فحسب، بل في

٣٨٨- ينظر: "أسلوب القرآن بين الهداية والإعجاز البياني"، (ص١٣٨) ، و"أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء-عليهم السلام- في القرآن الكريم"،(ص٢٣١-٢٣٤)

٣٨٩-- ينظر: "أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية"، (ص٢٢٣)

٣٩٠ - ينظر: -أسلوب الحوار في القرآن الكريم"، (ص١٣٥)

٣٩١ - ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص٣٧٧)

٣٩٢ - ينظر: " الأساليب التربوية للمراهقين في القرآن الكريم والسنة النبوية"،(ص٨)

كل شأن[٣٩٣]، فقد احتوت التربية الإسلامية بمصادرها المتعددة من القرآن الكريم والسنة الشريفة على أفضل وأجود الأساليب التربوية التي يحتاجها المربي وتُعينه في تربية من وليَّ أمرهم، وجاءت هذه الأساليب متكاملة تهدف إلى الارتقاء بالمتربين وإرشادهم وتوجيههم الوجه السليمة، مراعية للفروق الفردية بين المتربين، وعلى درجة عالية من المرونة، بحيث يستخدم المربي الأسلوب المناسب بحسب المواقف الحياتية المختلفة، وقد يستخدم المربي أكثر من اسلوب في الموقف الواحد بما يتناسب مع المتربين ومراحل وخصائص نموهم، فتتداخل الأساليب التربوية في تربية المتربين وارشادهم وتتكامل، ولا يمكن الفصل بينهم فصلاً تاماً[٣٩٤]، ونجاح العملية التربوية يعود إلى كيفية استخدام المربي لهذه الأساليب التربوية المتنوعة، ومدى قدرته على توظيفها وتفعيلها لتهيئة النفوس وتربيتها، وإلى حسن الاستفادة منها في المواقف التربوية المختلفة[٣٩٥]

والأساليب التربوية المتنوعة تؤدى بمجموعها إلى تحقيق الأهداف التربوية بشكل فعال ومثمر[٣٩٦]

٣١- تحقيق الأهداف التربوية:

الأهداف التربوية هي تلك التغييرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد، وفي ممارسات واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية، فهي تصف الصفات العقلية والنفسية والشخصية التي يتمتع بها الفرد المثقف تثقيفًا عاليًا، وهي تصف أيضا الاتجاهات والخصائص الاجتماعية التي يتصف بها المجتمع الراقي المتحضر، وهذه الأهداف هي الثمرات النهائية للعملية التربوية[٣٩٧]

٣٩٣ - ينظر: " أهمية دراسة السيرة النبوية للمعلمين"، (ص٤٢)، بتصرف، وتنوع الوسائل والأساليب الدعوية، شريفي، الألوكة

٣٩٤ - أساليب التربية في الفكر التربوي الإسلامي ودرجة ممارسة الوالدين لها من وجهة نظر الأبناء، د. المحضار، مجلة كلية التربية بأسيوط، المجلد ٣٧، العدد ١١، نوفمبر ٢٠٢١، ص ١٤٦-١٨٥

٣٩٥ - ينظر: " مقدمة في التربية الإسلامية"، (ص٧١)

٣٩٦ - ينظر: " الأساليب التربوية للمراهقين في القرآن الكريم والسنة النبوية"، (ص٧)

٣٩٧- ينظر: "أهداف التربية الإسلامية"، (ص ١٨)

وأهمية هذه الأهداف أنها تحدد مسارات الأنشطة التربوية وتحدد الوسائل والأدوات اللازمة للتنفيذ والتقويم، وهي تشتق مباشرة من فلسفة التربية[٣٩٨]. وتنبثق عنها انبثاق الثمرة من البذرة[٣٩٩]، فبناءً على هذا التعريف فإن **الأهداف التربوية** تشمل الأهداف الفردية والأهداف الاجتماعية، فالأهداف الفردية تتمثل في الجوانب العقدية والتعبدية والخلقية والجسمية والفكرية والمهنية وغيرها[٤٠٠]، وأما الاجتماعية فتتمثل في أنها تسعى إلى تكوين" أمة عابدة لله تعالى، وأمة تنشر الإسلام، وأمة تطبق منهج الله، وأمة متعاونة على البر والتقوى، وأمة تشيد الحضارة الإسلامية"[٤٠١]، فهي تحتاج في مبناها إلى من يحققها عن طريق الأساليب التربوية، وإلا تصبح مجرد شعارات لا واقع لها[٤٠٢]. فالتربية الإسلامية هي صناعة الإنسان المسلم الصالح الإيجابي القوي الأمين، الذي يبني ولا يهدم.

إن أخطر عملية بناء وتشييد على وجه هذه الأرض هي عملية بناء الفرد المسلم صحيح العقيدة والسلوك، وإن أفضل أدوات بناء الأفراد على الإطلاق هو منهج: **"التربية الإسلامية"**، تلك التي تربط المربي بدينه وبقرآنه وبسنته وبشريعته، فتثمر شباباً غضاً حراً، أميناً على رسالة الإسلام التي سيتحمل أعباءها على كاهله.

مبادئ وأسس التربية الإسلامية:

تقوم التربية في الإسلام على أسسٍ ثلاثةٍ: أسسٍ فكريَّةٍ، وتعبديّةٍ، وتشريعيَّةٍ، ويقوم منهج التربية الإسلامية على أربعة أسس جوهرية هي: الأساس النفسي، والأساس الاجتماعي، والأساس الفلسفي، والأساس المعرفي، ومنهج التربية الإسلامية يربي النفس البشرية، ليكون الإنسان عبداً صالحاً قادراً على بناء المجتمع الإسلامي المتكامل، حيث يتميز المنهج الإسلامي بسيادة الطابع الديني والخلقي، وهذا يعني أن فلسفة وأهداف ومحتويات وطرائق المنهج تدور في

---

٣٩٨ - **العلاقة بين الفلسفة والتربية** علاقة وثيقة ومتبادلة، والدليل على ذلك أنه من الصعب أن نقدم تعريفاً للتربية دون أن يطابق تعريفنا فلسفة ما، الأمر الذي دعا البعض إلى القول بأن الفلسفة والتربية مظهران مختلفان لشيء واحد، يمثل أحدهما فلسفة الحياة، ويمثل الآخر طريق تنفيذ هذه الفلسفة في شئون الإنسان.
تضع "فلسفة التربية" قدمها الأولى في مجال "الفلسفة"، فتستفيد من منهجها المنطقي والفكري في البحث عن "الحقيقة" في القضايا والمسائل والمشاكل والأنشطة التربوية، وتضع قدمها الثانية في مجال التربية لتستقى من خلاصة سيرها وتجاربها وخبراتها ونتائجها مجمل "المبادئ" و "المعتقدات" و"الدعائم" التي ترشد "العملية التربوية" وتساعدها على تحقيق غاياتها المرجوة في تكوين "الشخصية الإنسانية" وتفاعلها الإيجابي المرغوب فيه مع محيطها الاجتماعي والطبيعي، وفق توازن عقلي ونفسي سليم، وتعادل روحي ومادي قويم .
انتهى بتصرف من: الأصول الاجتماعية والفلسفية للتربية، قسم أصول التربية، كلية التربية- جامعة بنها
وقد أسهم الفكر التربوي الإسلامي في تطور علم الفلسفة بإضفاء روح الشريعة الإسلامية في رسم حدوده وتوظيفه توظيفاً يتلائم مع العقيدة الإسلامية وخاصة في توجيه أداة الفلسفة - العقل الإنساني - توجيهاً يتناسب مع القدرات الكامنة به لا يتخطاها ولا يجافيها،...، إن غاية الفلسفة والعقلية الفلسفية لابد أن تتفق مع غاية الإسلام الكبرى وتخدم رسالته العظمى بتطبيق شرعه في تحديد علاقته مع خالقه ومع بني جنسه، ومع المخلوقات من حوله وفقا للقيم والمبادئ والسنن الشرعية والكونية، إن الأساس الدلالي الذي عكسته تعاريف المفكرين المسلمين للفلسفة أقر حقيقة كون الفلسفة علم ذو منهج عقلي خاضع لأسس إسلامية منها العقدية والخلقية والعقلية والعلمية وليست قاصرة على أسس عقلية محضة، ووفق ذلك فالفلسفة ليست عملاً منبوذاً أو فاسداً في المنهج الإسلامي طالما أقيمت على هذه الأسس الصحيحة. انتهى بتصرف من: فلسفة التربية، د. أسرة

٣٩٩ - ينظر: "أهداف التربية الإسلامية"، (ص١١)

٤٠٠- ينظر: "أصول التربية الإسلامية"، (ص ٢٥٢-٢٥٥)

٤٠٢ -ينظر: " أساليب التربية الخلقية الواردة في قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في القرآن الكريم"، (ص٣٦-٣٧)

إطار الدين والأخلاق، وتنشأ في ضوء القرآن والسنة وآثار السلف الصالح، كما أن المنهج الإسلامي يربط بين الأخلاق والتطبيق العملي السلوكي.

إن منهج التربية الإسلامية يحرص أشد الحرص على تنشئة وتعليم الفرد في إطار الدين والأخلاق، من خلال ربط القول بالعمل والنظرية بالتطبيق، وتميز منهج التربية بالطابع الديني والخلقي يمثل جانبا مهما في تكوين شخصية الإنسان، فالدين الإسلامي يفتح أمام المسلم المجال لتعلم ودراسة أي علم أو فن يزيد ويقوي إيمانه، ويساعده على فهم أحكام دينه، وفهم حقائق الكون، فالمنهج الإسلامي لا يهتم بالعلوم الدينية والعبادات فحسب، بل يهتم كذلك بدراسة العلوم العقلية والتربية الرياضية والتذوق الجمالي، كذلك يمتاز المنهج الإسلامي بالتوازن النسبي بين اهتماماته ومحتوياته، وهذا يدفعه إلى الاهتمام بتحقيق النمو الشامل والمتكامل لكل من الفرد والمجتمع، والعناية بجميع العلوم والفنون والنشاطات التربوية النافعة في شيء من التوازن المعقول، الذي يحفظ لكل علم وكل فن وكل نشاط ما يستحقه من الاهتمام والعناية، والمنهج الإسلامي يوازن بين المادة والروح، وبين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب، وبين حاجات الفرد وحاجات الجماعة، والمنهج الإسلامي يمتاز بقابليته للتطور والانفتاح، ويستمد هذا المنهج التربية الإسلامية أهداف ثابتة وأهداف متغيرة، وتنبثق الأهداف الثابتة من القيم الإنسانية الواردة في شريعة الله، أما الأهداف المتغيرة فتخضع لتغير الزمان والمكان والناس.

ويسعى المنهج الإسلامي إلى تحقيق هدف شامل هو إعداد الإنسان الصالح القادر على عمارة الأرض وترقيتها وفقا لشريعة الله، أما الهدف الثاني لمنهج التربية الإسلامية فيتمثل في تحقيق إيمان الفرد بالعبودية لله، ويظهر ذلك في قوله وعمله، بينما ينحصر الهدف الثالث لمنهج التربية الإسلامية في معرفة الله وتقواه، ويتحقق ذلك بعقد الصلة الدائمة بين الإنسان وخالقه في كل فكر أو عمل أو شعور، والتفقه في الدين والتمسك بمكارم الأخلاق، والقيم والمبادئ الرفيعة[٤٠٣]، أخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٦٦٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "المُؤْمِنُ القوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فلا تَقُل لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذا وَ كَذا، وَلَكِنْ قل قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَل، فإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".

٤٠٣- ينظر: «التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها» (ص٣٨-٤٥)، بتصرف

ختاماً:

فَلِيَنْظُرْ الْعَاقِلُ مِقْدَارَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمِّهِ مِنْ دُونِ الْكَلِمِ وَلِيُؤْمِنْ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَاخْتُصِرَتْ لَهُ الْحِكَمُ، فَإِنَّ مَنْ أُعْطِيَ الْعَافِيَةَ فَازَ بِمَا يَرْجُوهُ قَلْبُهُ قَلْبًا وَقَالَبًا وَدُنْيَا وَدِينًا وَرَقَى مِمَّا يَخَافُهُ فِي الدَّارَيْنِ عِلْمًا يَقِينًا، فَلَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءُ بِالْعَافِيَةِ وَوَرَدَ عَنْهُ لَفْظًا وَمَعْنًى مِنْ خَمْسِينَ طَرِيقًا، هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَهُوَ الْمَعْصُومُ عَلَى الْإِطْلَاقِ حَقِيقِيًّا فَكَيْفَ بِنَا وَنَحْنُ غَرَضٌ لِسِهَامِ الْقَدَرِ وَعَرَضٌ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانِ[٤٠٤]

فهذا دعاء عظيم يحتاج المسلم أن يدعو به ربه تعالى عند حلول النقم، كي يجنّبه سبحانه الفتن، ومصارع السوء والمحن[٤٠٥]

إن الإسلام دين شامل ومتكامل يشمل جميع نواحي الحياة البشرية، فالإسلام يريد دائما أن يبني مجتمعاً ساميا وسليما ونبيلا، فيغرس في أفراده أخلاقا مرموقة وقدوة صالحة منذ نعومة أظفارهم[٤٠٦]

حيث تبدأ التربية الإسلامية بتهذيب الفرد ضمانًا للمجتمع الصالح، كما أنها تبدأ في الدنيا تحقيقًا لصالح الناس في الدنيا والفوز برضوان الله وجنته في الآخرة[٤٠٧]، وتوجيه وتكوين وبناء لشخصية الإنسان المسلم في كل جانب من جوانبها، وتأهيل لها للحياة الفردية والاجتماعية المُثلى، والعمل على تكوين الفرد على أن يكون متزنا نفسيا وعاطفيا[٤٠٨]، من هنا يبدو الإنسان المسلم كما أرادت له هذه النصوص أن يكون، إنساناً اجتماعيا راقياً فذاً، تضافرت على تكوينه هذا التكوين الفريد مجموعة من مكارم الأخلاق، نطقت بها آيات الكتاب العزيز، وأحاديث الرسول الكريم، وجعلت التحلي بها دينا يحرص المرء عليه، ولا شك أن لهذه الشخصية بالغ الأثر التربوي الفعال في محيطها الذي تعيش فيه، وذلك من خلال تحليها بالخلال الحسنة، والأخلاق الفاضلة التي ترقى بها في سماء الكمال البشري[٤٠٩]

فالحاجة للتربية الاسلامية حاجة ضرورية، والتخلي عنها يعني وبدون شك لسير بالمجتمع نحو الانحلال والفوضوية[٤١٠]

---

٤٠٤ -ينظر: "بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية» (٣/ ١١٩)

٤٠٥ - ينظر: «التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون» (٥/ ٣٨٣)

٤٠٦ - ينظر: "القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع"، (ص٣٣٥)

٤٠٧ - ينظر: «بناء المجتمع الإسلامي» (ص١٢١)

٤٠٨ - منهج التربية الإسلامية في مواجهة التطرف المضاد وفق رؤية ٢٠٣٠م، العنزي.

٤٠٩ - ينظر: "التربية الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع"، (ص١٨-٣٠)

٤١٠ - ينظر: "التربية الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع"، (ص٣٣)

ومن هنا يتضح أن التربية الأخلاقية أهم مهمة يضطلع بها المربي في العصر الحاضر، حيث تُعد القيم أساس الدين الإسلامي[٤١١]

فما أحوج البشرية اليوم إلى الرجوع إلى هذا الدين عقيدة وشريعة وخلقًا مستمدة حقائقه من مصدريه الصافيين: كتاب الله، وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام[٤١٢]

" فَيَا أَيُّهَا النَّاظِرُ فِيهِ، وَالْمُقْتَبِسُ مِنْ مَعَانِيهِ، أَحْسِنْ بِجَامِعِهِ الظَّنَّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ، فَإِنَّهُ قَدْ زَفَّ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ إِلَيْكَ، وَعَرَضَ بِضَاعَتَهُ عَلَيْكَ، فَلَكَ مِنْ تَأْلِيفِهِ غُنْمُهُ، وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ وَلَكَ صَفْوُهُ، وَعَلَيْهِ عُهْدَتُهُ وَهَفْوُهُ، فَلَا يَعْدَمْ عَنْكَ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانٍ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَالْبُنْيَانِ، وَالْكَرِيمُ فِي نَظَرِهِ مُنْصِفٌ، وَاللَّئِيمُ مُتَبَجِّحٌ وَمُتَعَسِّفٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَأْبَى الْعِصْمَةَ لِغَيْرِ كِتَابِهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ عُدَّتْ هَفَوَاتُهُ فِي جَنْبِ صَوَابِهِ، وَالْمُنْصِفُ الْكَرِيمُ يُعَادِلُ بِالسَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ، وَيَقْضِي عَلَى كُلٍّ بِحَسْبِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ....."[٤١٣]

وَهَا قَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ جَهْدِي وَإِنَّنِي ... مُقِرٌّ بِتَقْصِيرِي وَبِاللَّهِ أَهْتَدِي
وَأَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ..... وَعَزَّ على خيرِ الْبَرايا مُحَمَّدِ
وأصحابِهِ والْغُرِّ مِنْ آلِهِ ومَنْ ..... تَلَاهُمْ بإحسانٍ بِهِمْ ظَلَّ يَقْتَدِي[٤١٤]

٤١١ - دَوْرُ الحَياةِ الجامعيةِ في تَشْكِيلِ النَّسَقِ القِيَمِي لدى طُلاب جامعة الملك عبد العزيز، يوسف جلال

٤١٢ - ينظر: "محاسن العقيدة الإسلامية"، (ص٩٧-٩٨)

٤١٣ - ختام السفاريني لكتابة: «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (٢/ ٦٠٣)
٤١٤ - مستلةً من «منظومة الآداب = الألفية في الآداب الشرعية»، (ص١٠٠)، البيت: (٩٣٧-٩٤٦-٩٤٧)